# وشائج

قصائد
علي عبدالله خليفة

لوحات
شنتال لوبندر

ربيع الشعراء
باريس

الطبعة الثانية

# وشـــائـــع

قصائد : علي عبدالله خليفة، البحرين
لوحات : شنتال لوجندر، فرنسا
ترجمة القصائد : ثريا إقبال، المغرب

جميع الحقوق محفوظة .

الخطوط العربية للغلاف وعناوين القصائد : محمود أحمد الملا، البحرين
مصطفى أمناين، المغرب

إنتاج لوحات شنتال لوجندر : جان ـ لويس دواتو، فرنسا.

الرؤية الإخراجية للقسم الفرنسي : ستيفاني دوبو ـ ليموزالب، فرنسا

تنفيذ القسم العربي والإشراف الطباعي : محمود الحسيني، مصر

الناشر : ربيع الشعراء – فرنسا

رقم الناشر الدولي : ISBN 978-99901-501-1-7

رقم الإيداع بالمكتبات العامة : د.ع 7548 / 2009م

الطبعة الثانية . أبريل 2010
تنفيذ الطباعة : المؤسسة العربية للطباعة والنشر، البحرين

# مقدمات


■ **هذه الوشائج**

علي عبدالله خليفة

■ **الغوص في الذات بحثاً عن دانة الدانات :**

د. نور الهدى باديس

ترجمة : د. بشير قربوج

■ **علي عبد الله خليفة .. الشاعر :**

دافيد دومورتييه

ترجمة : د. نور الهدي باديس

■ **شانتال لوجندر في وشائج الشفافية**

ثريا إقبال

■ **شانتال لوجندر .. خيال متفرد**

إلينا كورنيا

■ **روابط فنية :**

شانتال لوجندر

■ **تراجم**

# فهرس
# القصائد واللوحات

> ص. 58
قصيدة : حتى أراك
> ص. 59
زجاج : موعد

> ص. 62
قصيدة : منتهى
> ص. 63
زجاج : كثافة

> ص. 66
قصيدة : قرنفلة الوقت
> ص. 67
زجاج : تساقط الأوراق

> ص. 70
قصيدة : في وداع السيدة الخضراء
> ص. 71
زجاج : نبع

> ص. 74
قصيدة : في حضرة من أهوى
> ص. 75
زجاج : موعد

> ص. 78
قصيدة : غياب
> ص. 79
زجاج : زجر

> ص. 82
قصيدة : أقحوانة الندى
> ص. 83
زجاج : بواكير

> ص. 87
قصيدة : قراءة أول النجوى
> ص. 89
زيت على خشب : كلام

> ص. 94
قصيدة : قمر وحيد لزنابق الماء
> ص. 97
زجاج : عبور الصحراء

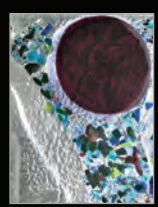

> ص. 102
قصيدة : مرايا الزمن الباقي
> ص. 103
زجاج : الطفل والخسوف

> ص. 106
قصيدة : في التجلي والتضاد
> ص. 109
زجاج : انعكاس قمر

> ص. 115
قصيدة : ازدواج
> ص. 117
زجاج : خشخاش كبير

> ص. 122
قصيدة : أرنبة البياض
> ص. 125
زيت على كتان : النسيان

> ص. 130
قصيدة : زبرجدة في إناء الورد
> ص. 133
زجاج : صندوق

# وشائج

> ص. 139
قصيدة : ذلك الهارب مني
> ص. 141
لوحة : تحول

> ص. 146
قصيدة : غسول المرافئ
> ص. 147
زيت على خشب : خالد

> ص. 150
قصيدة : صدى الأشواق
> ص. 153
زيت على خشب : انسجام

> ص. 158
قصيدة : أنين الصواري
> ص. 161
زيت على خشب : عبور

> ص. 166
قصيدة : حدثيني
> ص. 167
زجاج : نجوى

> ص. 171
قصيدة : لا أحد
> ص. 173
زجاج : هيأة جنون

> ص. 178
قصيدة : عند الباب
> ص. 181
زجاج : الأم

> ص. 187
قصيدة : حورية العاشق ... حرية المعشوق
> ص. 189
زجاج : دعوة إلى الحديقة

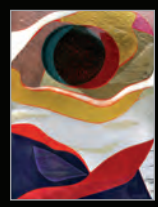

> ص. 194
قصيدة : بشائر
> ص. 195
زجاج : سير كوكبي

> ص. 198
قصيدة : الرمق الأخير
> ص. 199
زجاج : شفافية الزمن

> ص. 202
قصيدة : ثمار الطريق
> ص. 203
زيت على خشب : شموس

> ص. 206
قصيدة : طائر النار
> ص. 207
زجاج : طيران

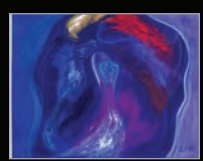

> ص. 210
قصيدة : إختراق
> ص. 211
زجاج : حلم أزرق

# هذه الوسائج

علي عبدالله خليفة

عزيزي القارئ،

الشعر . . هذا الفن العريق الجميل الذي أسلمت إلى هواه قياد روحي، رسم أقدارا صنعتها مهرجانات ومؤتمرات وأمسيات وملتقيات شعرية حول العالم أسهمت في التأسيس لشبكة علاقات ثقافية ولّدت وشائج إنسانية حميمة نتج عنها أخيرا هذا العمل المشترك الذي بين يديك. ففي مارس من العام 2004، التقيت الشاعرة المغربية الرقيقة ثريا إقبال بمراكش بالمملكة المغربية لأول مرة، حيث كنا ضمن مجموعة من الشعراء نشارك في مهرجان الشعر العالمي الذي ينظمه المعهد الفرنسي في الحدائق العامة والأسواق والساحات الشعبية، وهي شاعرة عربية مجيدة تمرست في كتابة الشعر بالفرنسية وقد أصدرت مجموعة أعمال عن دور نشر مغربية معروفة. وتكرر لقائي بالشاعرة في العام التالي بنفس المهرجان المراكشي، وسرعان ما توطدت بيننا صداقة ومودة خاصة قادتنا معاً إلى التعرف في مراكش على الصديق الشاعر بيير فيوجيه المدير الفني لبيت الشعر رون ألب بمدينة غرونوبل الفرنسية. وفي أواخر العام التالي كنت والشاعرة ثريا نشارك بمهرجان خريف فرنسا للشعر بمدينة غرونوبل حيث تم الاتفاق على أن أقرأ قصائدي بالعربية في هذا المهرجان بالبيت الأثري الذي ولد فيه الروائي الفرنسي الشهيرستاندال (ماري هنري بيل 1842-1783) وتتولى هي إعداد ترجمة إلى الفرنسية تقرؤها من بعد قراءتي. أحسست بأكثر من وشيجة إنسانية تجمعني بهذه الشاعرة وهي تنقل كلماتي باجتهاد من لغة النص الأصلية إلى لغة أخرى وتنفعل بما تجد فيها، فازددنا قرباً شمل أنشطة ومشاركات قمنا بها معاً في البحرين ورومانيا لاحقا.

في تلك الزيارة الأولى لمدينة غرونوبل الواقعة عند أحد سفوح سلسلة جبال الألب الشهيرة في نوفمبر من العام 2006 أخذني الصديق الشاعر بيير فيوجيه وهوُيعرّفني على معالم المدينة إلى مرسم الفنانة التشكيلية الفرنسية شانتال لوجندر. كان المرسم هو ذاته بيت سكنى الفنانة، وحين وطأت قدماي المدخل الخارجي طالعتني حديقة صغيرة موزعة في كل أنحائها منحوتات وتماثيل حجرية بمختلف الأحجام والأشكال. وفي صالة البيت التقيت الفنانة شانتال لأول مرة. رحبت بي ثم انشغلت بالحديث مع الصديق الذي قادني إليها وانهمكت أنا في تأمل مجموعة من اللوحات الزيتية والزجاجية والتماثيل الحجرية الموزعة هنا وهناك بطول وعرض الصالة. بعدها أطلعتني الفنانة باعتداد على عدة مشاريع فنية مشتركة بأشكال طباعية مختلفة أنجزتها بالتعاون مع شعراء من بلدان عديدة. أعجبتني شانتال في تعاملها مع النصوص الشعرية وأحسست بانجذاب إلى فنها وإلى أسلوبها في تشكيل صهر الزجاج، وهي عملية تقنية أدركت فيما بعد بأنها شاقة ومعقدة. تكررت زياراتي لمدينة غرونوبل وتكررت لقاءاتي بالفنانة وخضنا معا تجارب فنية أولية مشتركة حققت نجاحات لافتة، فقد صممت الفنانة غلاف الديوان الذي صدر في باريس لترجمات من أشعاري عام 2006 بعنوان (قمر وحيد Lune Solitaire ) وصممت من أشعاري جدارية جميلة بعنوان (الحب ما أوحت به عيناك)، وتعاونا معا لإقامة معرض فني لأعمالها بالبحرين في يونيه من العام 2008 بعنوان ( أصداء) كان الأول من نوعه في منطقة الخليج والجزيرة العربية. وشيئا فشيئا اكتشفت كم هذه الفنانة شغوف بالشعر وكم هي تواقة إلى تشكيل القصيدة وتجسيد خيالاتها وتهويماتها والمضي في كشف مكنونات معانيها!! لا تتحدث شانتال كثيرا لشرح أعمالها الفنية، أو هكذا بدت لي من خلال ما يترجم إليّ مما تقول، إذ ليست بيننا لغة مشتركة سوى الفن وسوى

ما نتبادله من حديث تترجمه ثريا بيننا. كانت روح شانتال الجميلة تشف عن ألق إنساني وإبداعي كثيرا ما يستبق ترجمة حديثها إليّ بالنظر والابتسام والصمت فأخمن ومن ثم أدرك معنى ما تريد، وقليلا ما كنت أخطئ.

شاركت في ديسمبر 2005 في ندوة حول الشعر الحديث نظمها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت ولفتت نظري باحثة تونسية شابة قدمت بحثا في الندوة حول تكريس الأنموذج المثالي لصورة الحبيبة في الشعر العربي وتهيأت للرد عليها خلال المناقشة بقراءة نص من نصوصي الشعرية يخالف ما ذهبت إليه، أقول فيه:

**وشعر حبيبتي شعرٌ**
**طفوليّ الحرير . . مرفهٌ الأطيابْ**
**أعارهُ لها من صانع كذابْ**
**وضاع الوجهُ في الأصباغ والزحمة**
**لقد ماتتْ بساطة أصلنا**
**في الموجة النهمة.**

لكني آثرت حينها ألا أشارك في الحوار لكثرة ما أثار البحث من اهتمام المتداخلين ولضيق الوقت المخصص للنقاش. وعندما التقيت الباحثة الدكتورة نور الهدى باديس على العشاء بمنزل الروائية الكويتية الصديقة ليلى العثمان مساء اليوم التالي وقرأت عليها النص تبادلنا حديثا عابرا عن التواصل الثقافي وعن شح ما يصل إلى تونس من النتاج الأدبي لأبناء الخليج العربي فاتفقنا على أن نتواصل أدبيا، نحن الاثنين على الأقل، فتبادلنا المؤلفات عبر البريد فتكشف لي من خلال قراءة أبحاث الدكتورة باديس بأنني لست أمام ثراء نقدي وعمق تحليلي في تناول النص الأدبي وسبر أغواره فحسب وإنما أمام مشروع نقدي عربي جديد هو أبعد ما يكون عما نقرأ من دراسات نقدية. أعجبتني في هذه الباحثة درجة الصدق الإنساني العالية والصفاء الروحي ونفاذ البصيرة النقدية والترفع عما يطال حركة النقد الأدبي الحديث في الوطن العربي من شوائب ومآخذ. تبادلنا الزيارات وحاورتني الدكتورة باديس طويلا حول مراحل ومفاصل تجربتي الشعرية الممتدة لأكثر من أربعين عاما وواجهتني بأسئلة فكرت مليا قبل الإجابة على بعضها ولم أجد جوابا عندي لبعضها الآخر ثم فاجأتني بدراسة تحليلية معمقة عن مجمل تجربتي الشعرية جعلتني أعيد قراءة كل أشعاري من جديد لأتلمس الخيوط والرموز والكلمات والمعاني التي جمعتها وفتحت بها أفق مسار التجربة. وعندما أتينا معا إلى اختصار هذه الدراسة ليتناسب نشرها مع بقية المواد في هذا الكتاب وجدنا صعوبة في حذف أو اختصار أي جزء منها فهي كل متصل لا يمكن تفكيكه لكننا اتفقنا أخيرا على النص المختزل المنشور هنا.

ولدت فكرة نشر كتاب لمجموعة من أشعاري مترجمة إلى الفرنسية من بعد النجاح الذي لقيته تجربتي مع الأديب المغربي الصديق المعطي قبال في (قمر وحيدLune Solitaire) الصادر عن دار NON LIEU بباريس بمقدمة من الشاعر الفرنسي الكبير جان بيير سيميون المدير الفني لمؤسسة ربيع الشعراء بفرنسا. لم أكن أعرف سيميون من قبل، لكن ما كتبه في مقدمته عن أشعاري في هذا الديوان المترجم أسرني فيه عمق تناوله ودرجة تعاطيه مع التجربة. وأحسست بأكثر من وشيجة تجمعني به كشاعر وكإنسان، وأعجبت بسعة اطلاعه على الشعر العربي الحديث وقربه من تجارب كبار الشعراء العرب الأقدمين. فامتدت بيننا صداقة أخذت تتعمق وتتجذر، سافرنا معا والتقينا في أكثر من بلد فكان المشجع على إصدار هذا الكتاب والمتابع الدقيق لمراحل إنتاجه وربطه باسم مؤسسة ربيع الشعراء بفرنسا.

رأيت أن لا بد في (وشائج) من قراءة نقدية بقلم فرنسي فقام الشاعر سيميون بترشيح دافيد دومورتييه وهو ناقد فرنسي يجيد العربية، قرأ قصائدي المترجمة إلى الفرنسية ثم طلب قراءة مجمل نتاجي الشعري بالعربية وكتب شيئا مختلفا عبر به عن رؤية خاصة جمعتني والشعر والبحر والبحرين ووضعتني في ظمأ كوني حارق إلى الآخرين، وهي ربما ملامسة ذات بعد

وفهم خاص لمجمل التجربة. وعندما التقيت دافيد بباريس عرفني على الوجه الآخر لهذه المدينة، مما كنت أجهله تماما، وتوطدت بيننا صداقة قوية جعلتني أدين لدافيد بخوض تجارب شعورية جديدة مع نماذج بشرية التقيناها معا وعبرت عن هذه التجارب شعرا تم نشره.

لقائي بالفنان الخطاط مصطفى أمناين لعبت فيه الشاعرة ثريا دورا مهما منذ البداية، وإن كان أغلبه عبر ما تبادلناه من رسائل بالبريد الإلكتروني. تحاورنا طويلا حول الخطوط المطلوبة لـ (وشائج) وتم استعراض مجموعة لا حصر لها من التجارب وكنا ننوي في البداية أن يُضمن هذا الكتاب عددا من الحروفيات لكنا عدلنا معا عن ذلك لنترك لأعمال شانتال كل المساحة المقررة هنا للتشكيل دون مزاحمة، واستقر الرأي على حصر الخطوط في عناوين القصائد، ثم التقينا في غرونوبل مع بقية الفريق لمراجعة شاملة أخيرة. وكان لقائي عابرا أيضا بأستاذ الترجمة الدكتور البشير قربوج في تونس، لكن صورة جميلة استقرت في ذاكرتي لهذا المختص وهي صورة الإنسان الدقيق في التزامه بالوقت. . الضليع في مجال اختصاصه دون منازع. ويرجع الفضل في معرفتي الممتدة بالدكتور قربوج إلى البروفيسور محمد عبدالله النويري الذي تابع معي دقائق هذا العمل من بلد إلى بلد أثناء تجوالنا، وأشرف عليه إشرافا أكاديميا فيه روح الإبداع الإنساني وحس الذواق الأصيل.

رشحت الفنانة شانتال المصممة الفرنسية ستيفاني ديبوت (أتيليه جرافيك) لوضع الرؤية الإخراجية للكتاب وتصميم صفحاته والإشراف على طباعته، وقد زارت البحرين لعدة أيام للتعرف على الإمكانيات الطباعية المتاحة فوجدتها بالمواصفات العالمية المطلوبة. لم ندخل في نقاشات مع المصممة حول رؤيتها الإخراجية وتركنا الأمر بين يديها معتمدين على الذائقة الفرنسية في التصميم والإخراج الفني متأكدين بأن السيدة ستيفاني ستعبرعنها أصدق تعبير.

أشكر هنا كل الظروف التي هيأت لي التعرف على هذه النخبة من المبدعين والاحتفاظ بصداقاتهم وتأسيس شراكة فنية معهم، وأقدر لهم الجهد الفني والاختصاصي الرفيع الذي تشكل منه هذا العمل، إلى جانب ما بذلوه من اهتمام وحسن متابعة. وبكل الحب أحيي من فرنسا الفنانة شانتال لوجندر والناقد دافيد دومورتييه والمصممة ستيفاني ديبوت والشاعر بيير فيوجيه، ومن المغرب أحيي الشاعرة ثريا إقبال والخطاط مصطفى أمناين، ومن تونس أحيي البروفيسورة نور الهدى باديس والبروفيسور البشير قربوج والبروفيسور محمد النويري. أشكر مؤسسة ربيع الشعراء بفرنسا على احتضانها ودعمها الفني، والشكر موصول باعتزاز إلى الشاعر الكبير جان بيير سيميون لكلمة التصدير التي تزين الغلاف الخارجي.

كنا فرادى وأغرابا جمعتنا الـ (وشائج) وقربت بيننا. . فذاب كل منا في الآخر.

نرجو أن تجد في هذه الصفحات عزيزي القارئ متعة وفائدة.

**علي عبدالله خليفة**

**البحرين - أبريل** 2009

# الغوص في الذات
## بحثاً عن دانة الدانات

**الدكتورة : نور الهدى باديس**

---

**وشائج . . الحلم والإنجاز :**

وشائج كتاب وفق الشاعر علي عبد الله خليفة في انتقاء عنوانه توفيقا حقق الغاية وأصاب الهدف من حيث كان رمزا اكتنز محتوى المصنف وأهدافه التي رسمها صاحبه رغبة في إدراكها وأملا في تحقيق شيء منها. فلم يكن الأمر اعتباطا أومجرد اتفاق، ذلك أن الوشائج لغة تعني تشابك العلاقات كما تتشابك أغصان الشجر وتشابك الصلة بين الناس بما يرسخ العلاقة بينهم ويوطدها. فهم يقولون الواشجة بمعنى القرابة المتصلة المشتبكة. فهو أمل إذن وهو رجاء في أن يتصل بين الناس ما كان بعيدا ويمتد من الود ما كان منقطعا ويحيى من العواطف ما كان مواتا لا نبض فيه .

ولعل هذا العنوان يكاد يكشفُ وحده روحَ الشاعر المتطلعة إلى أن يحقق بين الناس ما بقي حلما لا يعيش إلا مع شاعر. وهو عنوان يكاد يلخص المراحلَ التي قطعها هذا الكتاب حتى يستقيمَ مصنفا التقت روافد عديدة في خط نهره. فكان ملتقى لجهود متعددة اجتمع عندها المشرق بالمغرب والشرق بالغرب والإبداع بمعاناة النقل والترجمة والخلق بالتدبر والشرح وسبر الأعماق بغية الوقوف على الدلالات. وكان منتهى ما يمكن أن تصل إليه الوشائج تقريب الذائقة من الذائقة ومد الأواصر بين الحضارة وغيرها، عسى أن يدرك الغريبُ موطنَ الإبداع في الغريب، علـه يدرك كم هو قريب.

فإذا انطلقنا من التعريف اللغوي وتوسعنا بعض الشيء في دلالات هذا العنوان أمكننا الوقوف على جملة من المعاني الحافة والضرورية التي بها يمكن الولوج إلى حدائق هذا الكتاب ومباشرة أزهاره بالدراسة والتحليل. إذ التمازج والتداخل في هذا العمل متعدد لم يكتف فيه بالتقاء النصوص الأصل في لغتها العربية بالنصوص المترجمة - وإن كان هذا الجانب مهما - إلا أن الوشائج قد شملت كذلك جملة من اللقاءات العجيبة بين الشرق والغرب، بين شاعر بحريني و مترجمة مغربية، بين دارس فرنسي وباحثة تونسية. فالوشائج تمت بين فنون عدة مشرقية ومغربية، بين مبدع بالكلمات هو الشاعر الذي نهتم به في هذا العمل وإبداع مواز يكتسب أهميته من وحي قصائد الشاعرذاتها بما تمليه على الرسامة من إيحاءات وإلهام يخرج في أشكال عجيبة تجعل النص نصوصاً تلا مس المتلقي في شتى أشكاله وميولاته. فإن كان سامعاً مجيداً انتشى بسماع الشاعر يلقي قصائده، وإن كان قارئا مجيداً استمتع بقراءة هذا الكتاب وتقصي معانيه وتتبع مقاصده، وإن كان فناناً شدته هذه الفنون مجتمعة، وقد أخرجت إخراجاً يشدُّ الناظر ويروق المشاهد العادي البسيط . فمتلقي هذا الصنف من الكتب جمعٌ متعدد يجد فيه كل ناظر بغيته ولعل هذا هو السر الأساسي وراء تسمية الكتاب بهذا العنوان. فالوشائج فنية التقت فيها أشكالٌ إبداعية ومعرفية جمعت بين دارسين من أصقاع مختلفة نائية. والوشائج موجودة في الشعر المنتقى ذاته كما سنتبين في التحليل من ثراء المعاني المدروسة وتنوع المواضيع الشعرية التي ضمتها هذه التجربة وثراء الأشكال واختلافها. فقد ضمت النصوص المنتقاة قصائد فصيحة وأخرى عامية قصائد ومواويل، وكلها أشكال قد تختلف في الظاهر ولكن يجمع بينها خيطٌ رفيع ولكنه متين هو شعرية هذه الأشكال على اختلافها ودورها في

إكساب تجربة علي عبد الله خليفة خصوصية نسعى في هذا التقديم أن نقف على بعض ملامحها وخصائصها الفنية والشعرية. ولئن عُدت ترجمة الشعر من أصعب المهام وأخطرها كما نبه إلى ذلك النقاد قديما وحديثا، ولعل الجاحظ كان من أقدمهم عندما أشارمنذ القرن الثالث للهجرة لما يمكن أن يصيب النص الأصلي من صنوف التغير والتبدل مماقد يذهب بما كان للنص في لغته الأصل من بريق وماء ورونق. إلا أنه في هذه المرحلة يُعد ضروريا ً في التواصل وجمع أكبر عدد ممكن من القراء من أصقاع مختلفة الألسن متعددة. وهذا مظهر آخر مهم للوشائج في هذا العمل. فالشاعر يسعى إلى أن يسمعه الكثير ويقرأ له العديد. والنصوص المترجمة وإن فقدت بعض سحرها وهي تنتقل من نص أول من روح الشاعر إلى نص ثان هو قراءة بالأساس جديدة لمترجم فإن الغاية هي تقريب المعاني للأفهام وإيصال الحاف منها ليلم القارئ بالسياق الحضاري والنفسي والفني عموماً الذي صيغ فيه هذا الإبداع. فإن تحقق ذلك حققت الترجمة الهدف المنشود منها والغاية التي تسعى إليها مصنفات من هذا القبيل. ومن هنا كانت الترجمة وشيجة تربط لا بين خشبتين وإنما بين حضارتين لإيصال المعنى وتقريبه إلى الأذهان والأفهام وكانت بعض الفنون وإن بدت في الظاهر دخيلة في صلب العمل متشابكة تشابكا ً يَعسُر الفصل بينها فكأنه نَسْجٌ قُدَّ على غيرمثال تواشَجَ فيه الشعر والنثروالرسم والنقد والترجمة لإخراج لوحة بديعة منطلقها تجربة الشاعر ومآلها فضاء القراءة اللامحدود المنفتح على المطلق الإبداعي متجاوزاً بذلك المحلية سعيا ً إلى معانقة الكونية في معانيها الفنية الخالدة.

فما هي خصائص هذه التجربة الشعرية؟ وما الذي أكسبها هذه الخصوصية ودعا إلى تقصّي الشعرية فيها ؟

## في خصوصية التجربة وكونيتها :

تعد تجربة علي عبد الله خليفة تجربة طويلة وثرية، فقد عُدَّ صاحبها من شعراء الحداثة الأول ومن المؤسسين الأوائل للشعرالحديث في البحرين. بل اعتبره بعضهم « قيثارة المعاصرة » لما يجمع في هذا الشاعر من غنائية وإيقاع شعري يشدنا إلى أصالة قصائد التفعيلة وما تكتنزه من موسيقى وعذوبة وألحان وبين المعاصرة التي لم تنأ بالشاعر عن هموم مجتمعه وقضايا وطنه والظرف التاريخي الذي ظهر فيه ومختلف المتغيرات التي ألمت بالمجتمعات العربية عموماً والمجتمع البحريني على وجه الخصوص. فكان علي عبد الله خليفة صوتا ً صادحا ً ولحنا ً خالداً متجذراً في بيئته متغلغلا في أدق تفاصيلها محتكا ً بجميع أصناف مجتمعه حاملاً أعباءهم ومؤازراً لضعافهم وحالماً مثلهم بما يمكن أن يسعدهم ويزرع البسمة على شفاههم. لقد كان عاشقا ً للبحرين في مختلف مراحل تاريخها .. عاشقا للبحار.. للنخلة .. للمحرق .. للمرأة تكابد وتجاهد .. لـ (حصة) رمزاً لكل أم .. رمز العطاء والفناء والحب. عَشِقَ العشقَ وتغنى به لأنه حسب رأيه هوسبيل الخلاص وهومسلك كل فرد لعشق الآخر وقبوله ومن ثم عشق نفسَه. فكان في معظم دواوينه لا ينفك يبحثُ عن المعشوق .. عن درةٍ في قاع البحار مستعصيةٍ عن أمهر البحارة وأبرعهم في اصطياد اللؤلؤ واقتناص الدانات.

للشاعر علي عبد الله خليفة إصدارات كثيرة فتجربته تعد ثرية امتدت على ما يفوق الثلاثين عاماً بدأها بإصدار ديوانه الأول « أنين الصواري » سنة 1969 ثم تتالت بعد ذلك الدواوين. وقد ارتأينا أن نتناول هذه التجربة من مدخل بدا لنا مهماً، وهو عبارة عن أصل جامع يستقطب مختلف القضايا. وهو الجذع الذي ستتشابك به مختلف الأغصان، وهو قطب رحى هذه التجربة والمدار الذي عليه ستدور وتتواشج مختلف المواضيع بسيطها ومركبها الأساسي منها والثانوي العابر.. ونقصد بذلك المرأة في شعر علي عبد الله خليفة التي تمثل في تقديرنا بؤرة إبداعية تنبثق عنها سائر الموضوعات المحورية التي تمثل عناوين تجربتها الإبداعية. فالمرأة هي الأم وهي الحبيبة وهي الوطن وهي الحرية وهي القيم التي تنشدها الذات بحثا عن سكينتها وطمأنينتها .. بحثا عن ذاتها.

## محورية المرأة في شعر علي عبد الله خليفة :

لا يمكن للمطلع على شعر علي عبد الله خليفة إلا يدرك من الوهلة الأولى أنه شاعر المرأة، ذلك أنها حاضرة في شعره حضوراً قوياً وأنها اتخذت أشكالاً متعددة لعل أبسطها وأوضحها للعيان المرأة الحبيبة أو المعشوقة. فغايتنا أن ندرس حضور المرأة في القصيدة، كيف عبر عنها الشاعر؟ كيف رسم دورها؟ وكيف جاءت منزلتها الفنية؟ وما هي الأبعاد التأويلية التي يمكن أن ندركها لها في هذا الشعر؟

## المرأة :هاجس الإنسان وهموم المجتمع:

إن الشاعر وهو مدرك لعالم المرأة حق الإدراك كان يعلم أن المرأة وإن لم تركب البحر بحثاً عن القوت بحثاً مباشراً فإن دورها لم يكن سلبياً وقوتها لم تكن مستمدة من لسان الشاعر فحسب فالشاعر قد بلغ بكيفية عجيبة إيمانه بدور هذه المرأة وكيف تتنازعها اهتمامات شتى ومشاغل عدة، اهتمام الأنثى بذاتها تهتبل بجمالها في انتظار حبيبها وتبعث فيها ضحكات الصبايا والصبيان الرغبة في العشق والوصال وبين هموم الانسان يذكرها به ما يخلفها في نفسها غياب الرجل عامة وركوب الأهوال بحثا عن لقمة العيش فعندما تخاطب هذا الرجل فتقول :

**يا أساطير الخليج**
**لي فيك عبرة عند الختام**
**عن جزاء الصبر للقلب المحرق**

فهي بذلك تبلغ درجة من الوعي لايمكن أن تدركها إلا على لسان الشاعر في خلاصة تجعل من المرأة كائناً إنسانياً قبل كل شيء يؤرقه ويؤلمه ويحزنه ما يحزن أهل الخليج مطلقاً ولهذا الجمع بين القلب من ناحية والمحرق من ناحية أخرى أهمية فنية جعلها الشاعر قابلة لقراءتين مختلفتين وكلتاهما مهمة: إما قلب متحرق ملهوف ومتألم فتكون العلاقة وصفية نعتية وإما علا قة بدلية يكون المحرق هنا كناية عن اسم البلد وهو بذلك يستخلص تجربة البحرين ككل وتجربة الخليج بصفة أعم.

فهذه النظرة الشمولية تكسب المرأة بعداً نضالياً مضاعفاً تعكس خبرة الشاعر بنساء مدينته المحرق من ناحية وبهموم المرأة ومعاناتها في تلك الفترة الزمنية الصعبة .

ولعل قراءة مثل تلك القصيدة في الظروف التي ظهرت فيها والتمعن والتعمق في الكيفية التي فيها صيغت وأخرجت يجعلنا نقف فيها على مواطن عجيبة تنطلق من هموم المرأة البسيطة إلى هموم الانسان مطلقاً ولا أعتقد أن المرأة كانت غريبة عن تلك الهموم ولا ما جرى على لسانها مسقطا كل الإسقاط كما قد يتبادر إلى البعض. وفي الحقيقة فمثل هذه القصيدة كما رأينا هي قادرة على أن تفتح لنا طرقا في القراءة مختلفة ووجوهَ في التأويل مغايرة. ولعل شعراً يُبيح لنا من الحرية في التناول والحيرة في القراءة لا يمكن إلا أن يكون شعراً جديراً بالدراسة والبحث والتقصي. فالشاعر لم يكن منفرداً في خوضه هذه التجربة بل لعل جيلاً بأكمله كان مسكونا بكشف ما يعانيه مجتمعه وما يصيبه فيه من القلق والأسى باعتباره واحدا من أبناء ذلك المجتمع يصيبه ما يصيبهم ويعنيه ما يعنيهم. ولذلك لا نذهب في تقييمنا للدواوين الأولى مذهب من يستنقص من قيمتها ولا يرى فيها جدة وخصوصية وقد بيَّنا كيف أنه يكفي الوقوف على خيط ناظم لهذه التجربة وسلك ينتظم فضاءها لنقف على نتائج مغايرة وأسرار عجيبة تحتاج إلى آليات مختلفة في السبر والدرس.

ولعلنا نميل إلى اعتبار أن القصائد الأولى المنتقاة في هذا المؤلف تعكس طبيعة تجربة الشاعر علي عبد الله خليفة من حيث خصائص العبارة الشعرية والفنية ولعلنا نلمس فعلا خصائص للعبارة المباشرة في تصوير عناء « التباب » الصغير مثلا يغادر أبويه فتشيّعه الأم بدموعها ويودعه أبوه متشبثا برجائه في الله .. يغادره إلى البحر وعنائه باحثا عن « دانة » لم ير الغواص حسنا مثلها أو حوى قلب المحار « دانة » يعشقها إلى حد العبادة وهي في كون الممكن البعيد أو الحلم الذي يداعب آماله:

وإذا جئت إلى محارة عذراء
في يوم سعيد
ورأيت الحظ فيها
درة براقة تزهو الخريد
فاحمد الله، وبارك

يومك المعطي الجديد

إنه حلم جميل ينوء بحمله جسمه العياء و « شرعة البحر تريد الأقوياء » فالعبارة الشعرية على ما فيها من ألق وإتقان تبقى عبارة مناضلة كادحة تعكس نضال الشاعر ومؤازرته للكادحين من أجل قوت يومهم:

كن جلوداً.. لا تخف، كن كالحديد
فالذي تقصد جبارعنيد
(...)
إلزم الإبحار ياابن الكادحين
طائعا للكل (تبابا)ظريف

لايمل الجري من ركن إلى ركن.. خفيف (أنين الصواري)

فلعل العبارة فعلا في هذه المرحلة كانت إلى النضال أقرب منه إلى الشعر في معناه الكثيف الثخين الذي لاننفذ إلى باطنه بمجرد قراءة أولى وهو أمر قد مر به كبار الشعراء من أمثال درويش وغيره وسيغادر الشاعر هذا المنحى في تناول القضايا المدروسة ومنحى القول أو فنيات الكتابة فيها شيئا فشيئا كلما اشتد عود تجربته وتمرس بمضايق العبارة الشعرية وأنحاء صياغتها.

ومع ذلك فالقضية التي حاول الشاعر الدفاع عنها في تلك الفترة باعتباره حاملا لقضايا شعبه وهمومه لم تنأ به عن أناقة في العبارة وشعرية في الصورعجيبة قل أن اجتمعت في تلك الحقبة لشعراء عديدين. ذلك أن الدفاع عن القضايا المباشرة في كثير من الأحيان قد غيّب الجانب الجمالي لهذه الأشعار فأنطفات بانطفاء القضية التي كان عنها يدافع :

شرعة البحر تريد الأقوياء
وأنا جسمي عياء
(...)
إيه يا بحر حكايانا كثيره
ملها الليل ومجتها الظهيره
كدني الغوص وما زلت أسيره
هاهم قد خلفوني..

كالبقايا ..من نفايات حقيره (أنين الصواري)

إن تجربة البحار الأليمة مع البحر وعناءه جعلاه يتمرس به ويعرف حقيقته وقد خبر عسر الاتحاد به وخطورة الاحتكاك به والارتماء في أحضانه ليخلص بعد طول التجربة ونضالٍ لا حد له بحقيقة مفادها أن البحر جبار قوي ولا يرضى بغير من يضاهيه عنفا وقوة وصمودا فهو يدرك مسبقا ما ينتظره من مخاطر. والزمن شاهد على معاناة الفرد بليله وظهيرته ولكن لاخيار للمكافح من أجل لقمة العيش من الدخول في غياهب المجهول وتحمل القلق والانتظار والإمكان. فـ « أنين الصواري » في نهاية الأمر هو أنين البحار الصغير وأنين الكادحين والفقراء الذين يغامرون من أجل لقمة العيش فيركبون المجهول ويكابدون الويلات لأن الأرض ظمآى والنخلة عطشى فكان الغوص في البدايات غوص الكادحين بحثا عن لقمة العيش ولكنه في الدواوين المتأخرة سيتحول الغوص من الغوص في ما هو خارج ذات الشاعر إلى غوص في أعماق الشاعر وذاته.

**في وجهة الشعر نحو ذاته :**

لعل أطرف ما في هذه التجربة وأعجبه أن السجلات والمصطلحات التي اعتمدها الشاعر في بداياته لم تغب ولم يستعض عنها بأخرى مع تطور التجربة ونضجها. وإنما تحول التوظيف الشعري للسجل اللغوي من الاستعمال البسيط الواضح المباشر في المرحلة النضالية الأولى - إن جاز لنا استعمال هذه العبارة - إلى استعمال أشد وعياً بنضج المرحلة وضرورة العمل على حبك العبارة وسبك القول الفني ليخدم الأبعاد الرمزية للتجربة والفضاء الشعري الفني الجديد المتولد عنها. فلم تعد العناية بالصياغة عناية لافتة فيها جهد واضح وإنما أصبحت أكثر سلاسة وتفاعلا مع جدة الصور والمعاني التي يفرضها فرضاً التطور الشعري لهذه التجربة. فلم يعد هم الشاعر في هذه المرحلة المتأخرة العناية بالعبارة وتحسينها لأن المعنى واضح مألوف كما تبينا ذلك في القصائد الأولى وإنما صارت الكتابة الشعرية عنده رؤية وموقفاً فلسفياً أقرب إلى المذهب الوجودي منه إلى التعبير عن قضية معينة اجتماعية أو اقتصادية أوعاطفية. لقد صار الشعر نفسه مشغله الشاغل وقضيته الأكبر ودانته التي يبحث عنها ويصيبه القلق وهو يكابد ليجدها ولكنه لن يجدها خارجه كما كان يعتقد في بداية التجربة. كان يبحث عن لؤلؤ حقيقي خارج ذاته في أعماق البحار فصار يبحث في ذاته عن دانة روحه .. عن الجوهرة المكنونة في أعماق كيانه. فغير آليات البحث وغاص في أعماق ذاته يبحث عنها من جديد عله يلقاها، وإذ يلقاها فإنه بذلك يلقى ذاته الحرى أبدا التائقة إلى الحرية وإلى اعتناق الوجود الأبدي .. إلى الحياة .. إلى المطلق. فكان لا بد أن يمر في هذه التجربة بكل تلك المراحل السابقة والتي إذا ما فصلناها عن هذا المسار العام والكلي نكون قد اقتلعناها من جذورها ومارسنا عليها عنفا شوّه جمال التجربة ككل ونال من خصائص الإبداع فيها، ولهذا كانت تجربة علي عبد الله خليفة تجربة متكاملة سعت إلى تطوير ذاتها وهي تبحث عن الخلاص من كل ما يقيدها ويكبلها لأن القلق كان سمتها الكبرى وكان الشاعر لا يهدأ ولا يرضى بما يعتقده الدانة التي يبحث عنها أوالعشق الذي يرضاه فكانت تجربته تجربة غواص يجوب أعماق البحار وأعماق الذات بحثا عما يسكن جوعاً بداخله إلى الحب الصوفي الأبدي في معناه الأسمى. إنها تجربة فريدة يمثل الحب أوالعشق عمودها الفقري وقطب رحاها.. حب للطبقة الكادحة في هذا العالم وفي البحرين على وجه الخصوص .. حب للأطفال يعانون صغارا ألم الكد والبحث عن لقمة العيش ومرارة الحرمان من الآباء يضطهدون ويناضلون في صمت .. حب الأمهات يذرفن الدموع في صمت ويصبرن صبر النخلة تكابد كل أهوال الزمان وغدر الطبيعة والإنسان .. حب المرأة تبعث الخفق في القلب وتمثل بارقة الأمل في واقع يكتنفه الظلام ويسوده الضباب.. حب الشعر ملاذه ودواؤه ومفرج كربه، فيه يفرغ أدواءه وإليه يعود لحظة الوحدة والألم والشقاء ولحظات الفرح والرخاء والضياء. وأخيرا .. حب الحياة وحب الأنا يغوص فيها بحثا عن كل ما يؤرقه من أسئلة ومن ألغاز لا يجد لها إجابة في الواقع وأحجية لا حلول لها خارج ذاته. فتكون الرحلة في الأعماق والغوص في دواخل الذات عل هذه الروح القلقة أبدا تسكن وتهدأ وتسعد. ولكن روح الشاعر الحق لا تهدأ ولا تعرف السكينة ولا الأجوبة المسكتة. ولذلك ستظل هذه الروح مسكونة بالبحث والسؤال والحيرة مادام ينبض قلبه بالعشق وينبض قلمه بالصياغة الشعرية وتتأجج جعبته بالعبارة الفنية.

**تنهد قلبي وقال**
**لفاتنة من بلاد الشمال**
**تميس على خصرها أغنيات الهوى**
**وتشعل في البال شيئا عزيزا ..**
**بعيد المنال**
**وتختال في دلها فرسا مطهمة**
**وخاطرة محرمة يقترفها الخيال**

كان قلبه في بحث متواصل عن حب يفي بالفرس الجموح داخله وبالطير الناري يأبى الجمود والسجن والحدود ولكن كل ذلك كان داخله ولا يجد له سبيلا للانعتاق وللتمثل في العالم الخارجي الذي كان دوما يبحث فيه عن حبيبة لا مثيل لها وعن قلب لايضاهيه قلب وجمال ليس كمثله جمال لذلك كلما تخيل أنه التقاها أفنى روحه من أجل إسعادها وقدم لها الأغلى والأنفس للإبقاء عليها :

تنهد قلبي وقال :

**حبيبة هذا الفؤاد الوحيد، تمني**
**فإني لأجل الشهد في عينيك**
**يطربني المحال**
**تمني، فإني أحس الحياة مقبلة إلي**
**(...)**
**تمني، فقالت :**
**أريد غزال**
**من براري الجنوب**
**وأسماك زينه**
**من بحار اللآلئ والشطوط الحزينة**
**وأسراب طير تغني**
**لعشق عظيم يدق باب المدينة**

إن ما تتمناه هذه الحبيبة صعب المنال تشترك جميع هذه الأماني في قدرتها على تجاوز القيود وإرادة العيش في السماء والجبال وفي أعماق البحار .. في الأماكن القصية التي لايبلغها إلا المستميت من اجلها المجاهد في سبيلها .. إنها الحرية تطمح إلى من يستحقها .. إلى من كانت به مواصفات الحر الأبي الكريم العاشق، لذلك لم تر هذه الحبيبة أجدر من الشاعر وأنسب حين قالت له :

**أريدك أنت شراعا**
**يقود قلبي سفينة**
**وأحتاج كأس رحيق**
**وقبلة وقصيدة**

لقد لخصت هذه الكلمات الاخيرة شغف الروح إلى الحياة الحق، إنه بيان الشاعر فيه أوجز مفهومه للحياة في العشق والشعر. فلم يتفطن هونفسه إلى هذه الأمور من قبل فكان في انتظار حبيبة بمواصفات معينة حبيبة مختلفة هي التي ستقول عنه ما لم يقله من قبل وستناضل من أجل حريتها وحريته معا فقالت مالا يقال إيحاء ورمزا جميلا فيه الكثير من الوقع الدلالي والإيقاع الشعري الداخلي .

**تنهد قلبي وقال**
**إنني أفتديك**
**أفتدي فيك هذا الذي لايقال**

**هذا الذي لا يقال** ( الذي لا يقال)

وما كان الشاعر ليبلغ هذه الدرجة من التطور والنضج لولا الشعر الذي كان لسانه الذي عنه يصدح وبه يناضل ويعبر عن قلقه وسكونه.. عن سعادته وشجونه.. عن خيبته وانتصاره، كان عشقه للشعر وعشقه للحبيبة وجهين لعملة واحدة يعسر الفصل بينهما والوقوع على ما يميز بينهما :

**اللّه، يا أنت، يا قدري ، يا اقتداري**
**الشعر كل خيبتي وانتصاري**
**والشعر، لوتدرين يا ليلى جنوني وانتحاري**

**الشعر طائر النار يغني في دمي**
**(....)**
**والشعر لو تدرين يا ليلى**
**كيف بالشعر أهيم في أزقة الحواري**
**وأنثر القلب شظايا صامتات..**
**وأسكت الروح مليا كي أداري**
**غضبة العواصف التي**

**بداخلي تنذر بانفجار**

كان يدرك أن بداخله غضبا شديدا وحزنا كبيرا وهموما كثيرة تؤرقه ولا يجد لها من ملاذ يخلصه من بعضها إلا بالشعر فكلما ضاق العالم من حوله تدفق الشعر داخله أنهارا تروي ظمأه وتداري عواصف الغضب داخله:

**أقول الشعر ظامئا..**
**أطارد الذي يلوح لي على مشارف الصحاري**
**عذاب الشعر يستفزني ..**
**يبعثر انتظاري**
**كلما داهمني الشعر اعتراني**
**شعور نهر لا يقر إلى قرار**
**فاقبليها نتف القلب، وقومي ..**
**للتوحد الجميل**

**قد آن أوان الانصهار.** (طائر النار)

## المطرف الطموح والروح الجموح :

لقد استحال الاتحاد بين روح الشاعر وشعره طائراً أسطورياً قادراً على تجاوز كل المحن والظروف الصعبة التي تواجهه في بيئته ومجتمعه وكان كثيراً ما يشعر بالعجز في التغلب عليها ومواجهتها فالشعر يقويه ويقلب يأسه أملاً وعجزه قوة:

**لماذا أحس بأني حين أسافر**
**أطير اليك وحين أعود**
**أحس بأني رجعت إليك ؟**
**وأني إذا باشتياقي اشتعلت**
**إلى المنتهى**
**أحس بأن اشتياقي إليك ابتدا؟**
**(...)**
**وأن احتياجي إليك**
**فضاء لطير شغوف الجناحين**

**في حبسه مسهدا** (منتهى )

فالمعشوقة غير محددة ملامحها وماهيتها، كل ما يدركه الشاعر أنه في حاجة ماسة إليها وأنه في اللحظة التي يتصور أنه وقع عليها وروى ظمأه يعاوده الشوق والظمأ من جديد وتبدأ رحلة البحث من جديد والتحليق في سموات بعيدة نائية للوقوف على هذه المعشوقة التي لها قدرات عجيبة على الشاعر وقد تبدد ما يحزنه ويقلقه ويبعث الألم في نفسه وروحه التائهة. ولكن سرعان ما يعاوده الحزن من جديد وتطفو الخيبات على سطح هذا الشعر وتسود في قصائد عدة الأحزان والآلام .

ولكن هذه الهموم الاجتماعية وهذا الوعي بالظروف الاقتصادية الصعبة التي يمر بها البلد وبالخيبات المتتالية التي يلقاها الانسان المسكون بالأمل في غد أفضل وعيش أرحب سرعان ما ستتخذ أشكالا مختلفة متنوعة في الصياغة تتطور بتطور تجربة الشاعرواستقامتها وبداية تشكلها في فضاء متكامل اقتضته متغيرات عدة ودعت إليه مستجدات في بناء القول مغايرة. فما كان نفساً خطابياً فيه شعور بدور الشاعر كمناضل في بيئته يحمل هموم شعبه يقاسم أحزانه وآلامه

**يا بأسنا الدامي على مر العصور**
**ياحزن أحبابي، وياصمت القبور**
**يا أيها البؤس الذي**
**عاشت به الأيام قهراً في البيوت**
**لا، لن نموت**
**فالشمس تشرق من جديد** (أنين الصواري )

صار وعيا بأهمية الشعر في ذاته بقطع النظر عن القضية التي يحملها صار الشعر بدوره مبحثا يتطلب نضالا مغايرا وكيفية في العبارة جديدة. كان العشق موضوعا منفصلا عن الشاعر والحبيبة كيانا مستقلا عنه يريده ويبحث عنه دوما فلا يلقاه وكان الشعر وسيلته للكفاح والنضال والبحث عن القيم المثلى في مجتمع بدأ يفقد الكثير من ألقه وجماله وإشراقه. فكان عشقه مختلفا وكثيرا ما صبغته الأحداث الخارجية بالقتامة والخيبة والمرارة مما جعله يصرخ أحيانا :

**.. ولن أهوى**
**لأن الحب يفجعني ،وينزفني إلى القاع**
**لأن محبتي بحر**
**فمن ذا يرتضي بحرا يغرقه ..**
**لكي يهنا بإمتاع**
**ولن أهوى..وأمعن في مغالاتي**
**لأني أرتمي كلي على قلبي**
**وأعصر كل طاقاتي**
**وأبحر في دنى حبي**
**بلا ريح تعوقني ولا حبل بمرساة**
**وأدفق كل تحناني**
**على أبواب مالكتي**
**وقد أنسى كتاباتي..**
**وأشعاري** (لن أهوى ، أنين الصواري)

فكان بحر العشق يفزعه ويفزع حبيبته وكان الشعر شيئا خارجا عن أعماق الشاعر يمكن لحبيبته أن تنسيه ذاته وكلماته لذلك قرر في البدايات ألا يهوى وإن فعل فعلى حذر.

### قلب الشاعر : ينبوع النور المنشود :

كثيرا ما ارتبط الحب في بداياته بالطبيعة بمختلف مظاهرها وأشكالها فكان يستمد من البحر وعمقه وخطره والمجازفة في إتيانه مواقفه من تجارب العشق فيخاف حينا ويفزع ويتردد أخرى ويرتمي فيه أحيانا دون تفكيرودون اعتبارللعواقب. كانت الأنثى مصدر إلهامه، منها يستمد مواقفه الصريحة المباشرة سواء ما تعلق منها بالحياة عموما من غدر الأصحاب أو جحود الوطن أو تنكر المدينة

لنقاء الطبيعة وبراعتها وسعيها إلى تدنيسها والذهاب برونقها وجمالها وليس أدل على ذلك من تأمل بسيط لدواوينه وكيف تتداخل الطبيعة والأنثى في معظمها لتبرز لنا هذا الايمان الواضح بأنهما وجهان لعملة واحدة. ففي « وداع السيدة الخضراء» تأكيد واضح على هذه الجدلية بين النخلة كعنصر طبيعي والمرأة فكل الأحاسيس والآلام التي كانت النخلة تعانيها ومن ورائها الشاعر وردت وكأنه صدى بوق تطلق فيه امرأة موقرة أناتها وآهاتها من عبث الزمن بمكتسباتها ومقوماتها وما جنته من المدنية ومن اكتساح المباني العصرية من فقد في روحها وظمأ في أعماقها، ولا شك أن هذه الاستعارة التي اعتمدها الشاعر من أهم ما جاء في هذا الديوان وغيره من تماهٍ بين الطبيعة والمرأة لعل ما تعانيه كل منهما في واقعها من نكران وتجاهل وظلم قد جعلاهما تشتركان في مواقف متشابهة وتعانيان من أوضاع متماثلة .

**كنت امراة البحر، يذوب البحر وجداً**
**عندما يجثو كليماً ..**
**يغسل الأقدام حباً ثم يرحل**
**فإذا عاد، شربت دمعه المالح، كنتِ**
**خادم البيت، ملاذ المتعب المضنى**
**وأم الفقراء**
(...)
**ما الذي يمكن يا سيدتي الخضراء،**
**والدنيا تغادر**
**لونها الاخضر،**
**والأرض التي كان لها عرس البذار**
**فتتلت أشواقها الحرى**
**وقالت للرجال الجوف، هاتوا**
**كل ما تبقون إسمنت وقار ؟** (في وداع السيدة الخضراء)

ولكن هذه الصفات العظيمة التي نسبها إلى النخلة وما ترمز إليه من عراقة وأصالة وظلال تحمي الفقير من القيظ وتدر عليه بطعام يغذيه ويقيه الجوع والبرد وقسوة القيظ ولفح البرد لم تكن دوما الصفات الغالبة على أشعاره فكثيرا ما اتخذ من الطبيعة ومختلف عناصرها ملاذا يحتمي به من حي غادر أو فشل ما في حياته وكثيرا ما كان النخل والبحر والطير عموما وسائله في معانقة الأمل الذي ينشده والقيم المفقودة عموما التي يتوق إليها في واقعه فكان يجد في وحشة النخل ووحدته ما فيه عزاء لقلبه عن خطئه في الوقوع على الحب الحقيقي الذي ينشده فيجد في عناصر الطبيعة ما يشد أزره ويخفف بعضا من ألمه فيشعر أنه ليس الوحيد الذي غرر به ووقع في وهم الحب وعانى ويلات الظلم والأسر:

**تسألني كيف قضيت الزمن الماضي**
**دون هوى عينيها الرائع ..**
**كيف عشقت سماء ما عبرت فيها**
**أطياف النجم، و لا ذاقت طعم**
**رماد الشمس، و لا جن بها طير مغرم ؟**
**كيف عشقت نساء لا يرقى فيهن**
**الحب و لا يسمو .. ؟**
(....)
**خبرها يا قلبي الطالع من شجر ينبت**
**في ارض عاقر ..**

**كيف يمر دبيب الوحشة في غابات الليل البارد**
**كيف بكل جنون الحب يعيش النخل وحيداً**
**في أطراف النهر الناضب.**
**يا امرأة لاينساها القلب**
**(....)**
**أيا حباً ضيعني دهراً**
**أضرمني خشباً**
**شرّبني ماء بحار الدنيا**
**أطفأني**

**ألقاني هشيماً يذروني خيط الريح الجامح** (النخل وأطراف النهر الناضب)

إن هذه الأسطر تعكس مرارة وخيبة لاحد لها عاناها الشاعر في حبٍ له وها هي المرأة تسأله من جديد عن زمنه الماضي وكيف قضاه بدونها وكأنها لم تكتف بعذابه بل تريد أن تحرك النار الخامدة فيه من جديد فتزيد من لوعته وتتلذذ بتأجج مشاعره من جديد فكان سجل الطبيعة في مثل هذه المواقف وسيلة الشاعر في المقارنة بين ما كان منه وما يعانيه ويشعر به فنسب إليها كل ما له صلة بالشراسة والنكران والجحود والافتراس أوالعقم فسلب من كل عناصر الطبيعة معانيها الإيجابية ليجد ما يلائم غدر هذه المرأة التي تصور أنها حبيبته واعتقد يوما أنه لن ينسى عشقه لها وولهه بها فإذا هي امرأة تشبه سماء « ما عبرت فيها أطياف نجم .. ولا ذاقت طعم رماد الشمس .. ولا جن بها طير مغرم » وهو يلوم قلبه الذي تعلق بشجر« ينبت في أرض عاقر» إنها تركته فريسة تنهشه « طيور الذكرى» طيور شرسة جارحة.إنها امرأة غريبة قاسية لاروح فيها ولا حياة « ما أقساك امرأة جُبِلت بسكون البركان الخامد ». لقد قيده هذا الحب ومنعه من الحرية التي ينشدها ومن السماوات الرحبة التي يطمح لمعانقتها والبحار العميقة التي يصبو إلى الإبحار في أعماقها:

**ما أقساك امرأة، لا أذكر في حبي معها إلا سفناً**
**لا تبحر، حتى في بحر وادع**

لكن هذا الألم وهذه المعاناة ما كانت لترمي به في متاهات اليأس والانكماش والبكاء المر على ما مضى فرغم وعيه بأن « الليل طويل » وأن الظلم والمرارة لن ينقشعا بسرعة إلا أنه مؤمن بحتمية طلوع نجم الصبح وبأن الأمل لن يزول من هذه الحياة رغم هول الخيبات ومرارة الهزائم فبحر الشاعر واسع لا ينضب عشقا وأملا في الوقوع على المنشود وتحقق الأمل الموعود :

**الليل قصير يا نجم الصبح الطالع .**
**(...)**
**يا امرأة، لم أنس جروحك، لم أنس هروبك**
**عذبني العشق كثيرا.. لكني،**
**ما زلت أفتش عن شيء ضائع .** (النخل وأطراف النهر الناضب)

فرغم الآلام والأحزان لا ينقطع الشاعر عن رحلة البحث عن الحب المفقود الضائع. لم يقف عليه. قد يخطئه وقد يمر بجانبه ولايراه. وقد يقع في شرك حب غادر ولكنه لا ييأس أبدا ولا يثنيه ذلك عن البحث والجهاد من أجل معانقة ما يصبو إليه وينشد .

فكثيرا ما كان يستمد من الطبيعة قوة يناضل بها ويستقي منها أملا يزيح به الهم الرازح على صدره ويتخذها بلسما لكل مظلوم وقلب مقهور ينصحه بالتشبث بالأمل والاقتداء بالتوازن الموجود في الطبيعة :

**مازال يومض في المدى النجم،**
**فابتسمي**
**والنخل، ما زالت له سيرة**

في الناس تروى،
ويرطب صيفها دبساً على قدمي
والبحر هذا، إن تلوث، وانشقت عباءته
في المد والجزر تبقى لنا فيه
روعة الحلم
مدي عناقيد اللقاء، يا مكسورة القلب
وخاصري، للرقص فوق النار، واضطرمي
فالطير، حتى الطير،
(يرقص مذبوحا من الألم). (تجوع الحرة)

فالألم كثيرا ما منح الشاعر قوة وصلابة مكنته من مواصلة التجربة والصمود في وجه كل العراقيل التي تعوقه عن بغيته وعن إدراك ما ينشد وكثيرا ما كان يجهل بالضبط ما يبحث عنه يحس بضرورته في حياته لاكتمال تجربته لكنه لا يدرك سره على وجه الدقة. كان يقارب ما يصبو إليه تقريبا. لايكاد يدرك كنهه إلا لماما. وهذا ما جعل القلق يصاحبه في مسيرته. ويشعره دوما بأن فراغا ما يطغى على روحه فيجعلها كئيبة ضائعة تبحث عن سبل لخلاصها وملاذ لقلب ظامئ للعشق .

لذلك رأيناه في مواقف متبرما يشكو قلقا كثيرا ما صاحبه في تجربته وجعله يصل مرحلة لا يرضاها لنفسه لأنها لاتلبي لبانات روحه إلى الحب وظمأ ذاته إلى امتلاك الوجود واحتضان العالم بأسره وهذا القلق جعله يشعر أحيانا بأن القلب مأسورحينا وحينا حر منطلق إنه بؤرة الألم والسعادة في آن معا يريح ذات الشاعر ولكن سرعان ما يعاوده القلق والفزع من المجهول :

عاشق مجنح القلب
مأسور به ومنطلق
يعالج الكون بالحب
وفي أتون الحب يحترق
موزع الوجد، لا تهنأ له سنة
تناهبت قلبه الشطآن والأفق
يسري كسيف النار في غضب
أنى تناديه البروق الشفافة الودق يأتلق
ممعن في روعة الشعر
يا طول مسراه مجبول بها، قلق
هم النيازك يحدوه
(.....)
وحين يغني للهوى طربا
تزهر الأقلام بين يديه،
ويعشب الورق. (في وداع السيدة الخضراء، يعشب الورق).

لا شك أن الشعر في هذه الأسطر قد استحال ملاذا يتيح للشاعرراحة روحه التائهة التائقة إلى الأمان .. إلى الحب .. إلى العدل .. إلى الإخاء، إنه المتنفس الذي تلتقي عنده الروح وينفتح عليه القلب لينسى غدر البشر وظلمهم ومرارة الواقع وآلامه فالشعر يبدد الغيوم ويعطي صفاء لكل شيء قاتم يحيط به :

إذا خامرتني
هواجس خلق القصيدة
وأحسست أن سمائي غيوم جديدة

**ولي عند أقصى الأعالي بروق**
**وبي في الذرى تضاريس رعد وأمطار نار**
**كأني بركان شوقٍ**
**مضى ألف عام**
**وها هو في لحظة الانفجار**
**ألوذ بداخل قلبي، وأبدو**
**كبلورة في جحيم الصفاء**
**وأستل نفسي من كل قيدٍ**
**فأصفو..أرق..أطير**

إن التركيب التلازمي الذي وردت فيه هذه الأسطر مهم جدا من حيث التشويق الذي تحدثه في القارئ ليصل إلى الإسناد الأصلي للجملة فتتالى المعطوفات في تراكيب اسنادية فعلية وإسمية متعددة تبلغ ذراها ومداها من التوق والإطلاق والحرية فترتبط القصيدة بعوالم عجيبة من الرحابة والعلو والانفجاروالإطلاق تجعل الشاعر في عالم يعانق الروح ويجمع شتات النفس وتغدو الكلمات نثارا من الروح يدرك الشاعر لذته ومتعته ويحاول إدراك مصدر ذلك ومنبعه فيشعر بالمتعة ويحاول الوقوف على الأسرار التي يحسها و لايدرك على وجه التحديد منطلقها:

**وأدنو من كتلة النور عند المدار**
**أجمع بعضي ..قليلا ..قليلا ..**
**فينهال من مكتنز الروح شيء لذيذ**
**هو الروح لكن، تشظت نثار.**

إنها تجليات صوفية تبلغ بالروح منتهاها من النور والتجلي والضياء والصفاء. صفاء يرى فيه الشاعر خلاصه من « الجليد » الذي يحيط به والذي يحاول الأعداء أن يحيطوه به ويخنقوا إرادته إلى معانقة الجمال والنور والحب فيهرب إلى الشعر حينا وإلى الروح حينا وإلى القلب والحب حينا آخر:

**إذا فاجأتني يد غادرة**
**وبانت ذئاب بثوب صديق**
**وعاينت دفء العواطف حتى بدا**
**وميض الرماد جنون حريق**
**ألوذ بقلب الرفيق الذي**
**يوسّع في الكون وهو يضيق**
**تلامس روحي شيئا بعيدا**
**فأصفو ..لعل صفائي يكون حديد**

لقد كان الشعر والحلم والقلب والروح دوما تنويعات وتفريعات لأصل واحد جامع يمكن أن نوجزه في سبل الخلاص التي يبحث عنها الشاعر دون ملل ودون يأس في أحدها أو فيها معا .. عن الراحة والأمل في حياة أفضل وفضاء أرحب، ولذلك حفلت معظم قصائده في هذا المجال بصور فنية عجيبة قامت على استعارات بديعة كان الغرض منها فتح باب القراءة على مصراعيه أمام القارئ عله يقف على الأسرار التي تكمن وراء قضيته الأساس وهي البحث عن الذات في العشق أو في الشعر. و لم يكن أبدا على يقين من النتائج التي يمكن أن يصل إليها وكان الملاذ يخترقه أحيانا اختراقا بحدس إلهي أوصوفي عجيب أويرد في شكل احتمالات عدة تحتمها عليه حالة القلق التي لا تكاد تبرحه :

وما حشد الذكريات الذي يأتي ويفجعني ..
إلا حنينا إليك يفت في جلدي
وما عذاب الروح الذي نفنى ويبعثنا ..
سوى أني وإياك نلوذ بنار في ذرى الأبد..
يا فتنة الحلم .. أيا لغة للشعر
مسحورة على لسان العاشق الوجد ..
تأتين من واد إلى واد مجنحة
والحلم يوشك يكمل دورة الأفلاك
ويقظة الجسد
أهواك مشتاقا ومحترقا
يجيء هواك اختراقا
واحتمالات بلا عدد . (اختراق)

فكأن بداخله هم يسكنه وكأنه عصفورة مرعوبة شاردة إنها استعارة بديعة لنفس حيرى لا تهدأ ولا تجد الخلاص في كل ما يحيط بها :

لقد باغتتني الحياة
وألقت لدرب هواي
بعصفورة شاردة
منتفة الريش مكدودة
دمعها يستغيث ..
(...)

كانت تلك روحه الأبية وذاته القلقة المسكونة بالعشق والحب والإخاء والجمال الحق في واقع لم يعر نداءه سمعا ولم يقابل إحسانه بيديه المشرعتين دوما لضمه إلا بالنكران وغير قليل من الغدر والإساءة:

أحرقت شمعا كثيرا من العمر حتى
أنيرلها في الطريق الحلك
دخلت حروبا مع الناس من أجلها
أخاصم أهلي
وأحرق كل خيام الصديق
وأدخل في معترك
(....)
وحاولت إطفاء كل النجوم لتبقى
هي النجمة الواحدة

## تيه الذات بحثا عن الذات :

كان هذا البحث الدائم عن الذات في تجربة علي عبد الله خليفة من أهم ما ميز هذه التجربة وأكسبها جدتها وطرافتها وكان الوصول بالذات إلى هذه الدرجة من الصفاء والنقاء يتطلب جهادا ومعاناة ومراسا ومكابدة لم تكن بالأمر الهين، ولهذا ضحى بالكثير من أجلها وأرادها أن تتجاوز كل الأدران البشرية الفانية والقيود المادية البسيطة المحدودة لتحلق في فضاء الحرية الرحب في عوالم الحب الذي لا يحد، لذلك كان السبيل إلى تخليصها من كل ما علق بها عسيرا وشائكا وكانت هذه النفس كأنها طائر عليل متعب مكبل.

فبعد مراس ومداواة بدأت هذه النفس تتماثل للشفاء شيئا فشيئا وبدأت في نهاية هذه التجربة تتخلص من كل ما كان آسرا لها في العالم الخارجي وفي الحياة المحيطة بها. لقد صارت ذات الشاعر حرة في نهاية هذه التجربة ومع تطور رؤيته الفنية صار يدرك أهمية الحرية في معناها الفلسفي العميق فلذلك يقول :

**فلما تعافت ..**
**وأحسست أشواقها للبعيد**
**فتحت لها النافذة**
**وقلت: الفضاء فسيح**
**فما خلق الطير كي يمتلك**
**وكنت أود بألا تطير**
**وألا يطير الفؤاد الذي أيقظت**
**أحاسيسه الخامده** (في حرير دمي )

إن هذه التجارب العديدة التي مر بها الشاعر قد فتحت عينيه على حقيقة كبرى وهي أهمية القلب في الحياة ودور العشق فيها وأن الانسان مهما جابه من غدر وألم ومهما عانى فلن يحقق منجاته وخلاصه إلا بالحب وبالقلب الذي كان مرحلة أساسية وضرورية حملت العنوان نفسه في الديوان الأخير للشاعر وهو: « على قلب واحد ».

فالقلب كان دوما وسيلته لتخطي كل غدر وكل خيبات يمكن أن تصيبه فتؤلمه وتجعله يشعر أحيانا بالغبن في واقع يمد إليه يده فيرفضها أويفتح له قلبه فيصده ومن هنا كانت المواقف متضاربة أحيانا وكان القلق خانقا يبلغ درجة من القيود التي تلف نفس الشاعر وتضيق عليه السبل فتجعله يضعف ويشعر بالرغبة في العزلة والانقطاع عن هذه الدنيا وآلامها ويفضل الاعتكاف .

**سأغلق خلفي بابا وباب**
**أسد النوافذ .. أرخي الستائر**
**أحكم حولي الرتاج**
**وأطفئ أنوار بيتي إلا القليل القليل**
**وأبقي على شمعة واحدة**
**ألوذ بصمت جميل**
**يعيد سكينة نفسي**
**يكفر عما اقترفت من الهذر**
**وعما اعتقدت به من قصور الكلام**
**ألوذ بصمت جميل**
**يعالج روحي** (احتمالات)

ويصبح الصمت هو خيار الشاعر في واقع لا يسمع نداءه ووسط أناس لا يعيرون فكره اهتماما ولا شعره إنصاتا، ولكنه صمت المتأمل في مسيرته الباحث في تجربته المقوم لما بلغته تجربته وما يمكن أن يكون فعلا الملاذ الحق والسماء الأرحب لما يصبو إليه ويتوق. فلن يكون اعتكافه يأسا مطلقا ولا صمته أبديا ولكن الأمل سيظل كامنا في ذات الشاعر متربصا ينتظر معالجة الروح لتعود إلى سالف نشاطها وتوقد نارها وتوهجها المعهود فقد خبر الكلام ولكنه لم يحقق به ذاته فقرر أن يجرب الصمت عله :

« يعالج روحه .. ويدخله في ملكوت التأمل .. ويجعله قطرة من دموع الغمام .. وريشة حب في جناح الحمام .. مليكا يتوج في مملكة .. يضر بها البوح .. ويفسد في أهلها أن يقال كلام .. ألوذ بصمت جميل ...»

لكنه لن يطفئ كل الأنوار ولن يخمد كل الشموع بل يبقي على قبس من النور داخله يهديه إلى ما يريد ويحاول أن يمسك بيده ويهديه إلى سبل الخلاص الحق. فكيف الخلاص وما هي سبل النجاة ؟

إن هذه القصيدة تعكس بجلاء ما قلنا عن كيفية في التعامل مع السجل اللغوي ودلالاته الاستعارية تعاملا مغايرا مختلفا في المراحل الموالية. فالشاعر ينحت من المعين نفسه، معين عناصره البحر والغوص والعشق والشعر والنخل والطير والقلق، ولكن وجوه تصريف هذه السجلات سيختلف من مرحلة إلى أخرى ومن فترة في تجربة الشاعر إلى فترة. كان متعبا يبحث عن دواء وعلاج كان يبحث عمن تتربع على عرش القلب فتكون هي السيدة سيدة القلب بلا منازع :

**يا سيدة القلب المتعب**
**إني متعب**
**مكسور في هذا العالم ..**
**مهزوم ووحيد**
**أعطيني من نبعك قطرة ماء.. تنقذني**
**فأنا من زمن أبحث عن نبع صاف كي أشرب**
**فلماذا نبعك ناء سيدتي،**
**والدرب إليه طويل ...؟**
**يا سيدة القلب المتعب،**
**إني في صمت أنزف احزاني**
**(...)**
**فأحسك في صحراء القلب غزالا مرعوب..**
**وقوافل أفراح تترى**
**وأحسك نورا، وخياما، وطيوب**
**وأحسك شيئا يشعلني**
**وأحسك شيئا يطفئني**
**ويمد حنانا يسعف لوعة**
**هذا القلب المنهوب** (في وداع السيدة الخضراء )

فالصور الغالبة على هذه القصيدة قائمة أساسا على المطاردة ومحاولة القنص فالهوى قد استحال غزالا مرعوبا والحب سرابا يتلألأ من بعيد فيوهم بالارتواء وبالعلاج لروحه وأشجانه لروح بدت من كثرة عذاباتها قد أفرغ الشاعر منها ولم يعد قادرا على استعادتها من جديد. فكان أمله في هذه السيدة علها « ترد إليه الروح » و « تؤنس غربته » اختزلت كل مشاعره في ما يتراءى له أو ما يعتقد أنه فعلا الحب الذي ينشد وأنها « سيدة القلب » التي يريد.لكنها ظلت في آخر القصيدة بعيدة عن إدراك الشاعر فإذا استعصى الإمساك بالغزال فكيف به إن كان مرعوبا ؟ فكل الألفاظ المتعلقة بوصف هذه السيدة وهذا الحب قد جرت مجرى يفيد البعد والنأي والقلق وصعوبة الظفر إن لم نقل استحالته (الإبحار،سفن من ورق،حمائم ليل،صحراء،غزال،نور) ،ألفاظ جميلة تلامس القلب وتدور في فلكه ولكنها لا تحقق الاكتمال وغنى الروح الذي ينشده الشاعر فهي قريبة بعيدة تتراءى له يقترب منها فلا يلامسها يدركها، يحسها ولكنها لا ترويه ولا تشبع نهمه إلى الشوق الأبدي والعشق السرمدي .

ولهذا كانت رؤية الشاعر دوما ضبابية يكتنفها الغموض والتخيل تتراءى له يشعر أنه يرى وأنه قريب من هدفه ومما يريد فإذا به كلما اقترب ازداد تيقنا من استحالة الرؤية ومن عسر اليقين وصعوبة إدراكه .

### لحظة الكشف : عندما يكون البصر بالقلب :

كانت الرؤية التي ينشدها منبعثة من أعماق قلبه وكان مؤمنا دوما بأن للقلب قدرة على الإبصار دونها حاسة النظر. فقلب الشاعر دليله وعصاه التي تهديه إلى اكتشاف العالم حوله ومن ثم اكتشاف العالم داخله. فلم يعد يكترث بنور الطبيعة وضياء النهار يهديه إلى

الرؤية الواضحة وينير له سبل اكتشاف العالم من حوله. لم يعد يرضى بهذا القدر من الرؤية، رؤية يقاسمه فيها الناس جميعا وإنما كان ينشد رؤياه الخاصة التي لا يدركها إلا شاعر خبر الحياة وأهوالها وأدرك مواطن الجمال فيها وموطن القبح. فالرؤية تحولت معه إلى رؤيا والبصر إلى بصيرة والنور المنبعث من أعماق الذات هاديه ليدله إلى غايته التي رسم آفاقها بمداد قلبه وأدركها من أعماق وجدانه وسار إليها تحدوه روحه ويهديه نبع الحب المنبثق من أعماق الوجدان. فأراد أن يبلغ مصاف الأنبياء والعاشقين الخلص والمتصوفة حيث العشق فناء وحلول.. الحلول في المعشوق ورؤية ما لا يرى فيه غيره من الجمال والإطلاق. لذلك لم يعنه أبدا ما يبصر في النهار ولا ما تراه العين المجردة : فكان الليل حبيبه وكان القلب دليله :

**عاصف ليلي، ومن قلبي أرى**
**فيما يرى النائم ، أني**
**شجر في بلد**
**وجذوري في بلد**
**وبأني حجر الياقوت في مكمنه**
**وبأني الدر في خافي الصدف**
**وبأني موجة خجلى تنمي سحباً**
**تتسقاها تضاريس الأبد**
**وبأني قادح البرق وذوب من برد**
**وشعاع عبقري، في احتمالات النطف**
**وبأني رجفة الظبي ، طريداً**
**وأسى قلب صريع، قد همد .**

فقلبه يهديه إلى ماهيته ويحاول من خلاله أن يقف على معرفة ذاته وخباياها فتتتالى الجمل الخبرية التقريرية المتسارعة وفيها لهاث واضح وشوق إلى اعتناق الذات ومعرفة حقيقتها ولكن التعاريف المنسوبة إلى الذات توهم بأن الشاعر قد وقع عليها أخيرا وأنه في طريق تحقيق السعادة القصوى ولكن النعوت الواصفة تحد من هذه الغلواء وتكسب هذا السعي وهذا الاندفاع كوابح تشده إلى الوراء وترمي به من جديد في عوالم من القلق والخوف والتردد وعدم اليقين فلا شك في قيمة هذه الذات التي ينشدها ولكنه ينشدها في الكون بأسره إذ هو « شجر في بلد وجذوره في بلد ». هو يدرك أن بداخله شيئا نفيسا «حجر ياقوت ، در ، موجة تنمي سحبا ، قادح البرق ، ذوب من برد، شعاع عبقري،... » ولكن كل هذه الصفات العجيبة إضافة إلى ندرتها فهي عصية عن الإمساك يخيل للمرء أنه يمسك بها ولكنها تزول في لمح البرق وتجعل البحث عنها يتواصل من جديد ولذلك كان الشاعر دوما مسكونا بشعور الأسى والحزن وبمن يشعر أنه يرى ولا يرى في الآن نفسه يشعر بعمق ما بداخله وعظمته إذ هو يتجاوز حدود الزمان والمكان « أني شجر في بلد وجذوري في بلد » وبأنه أبدي وسرمدي لا يزول ما بداخله ولايصيبه البلى « إنه ياقوت ، در» ولكنه ياقوت في مكمنه ودر في خافي الصدف ولا بد من الجهد والعنت في الوقوع على ما بهذه الصدف واقتناص ما بداخلها من روح علية لا يقف عليها إلا صفوة القوم ومن تحلى برؤيا تتجاوز العالم الخارجي البسيط إلى كوامن الذات والإيغال في بواطن الروح وعوالمها السرمدية المطلقة:

**وأرى فيما يرى النائم ،أني**
**أبجديات وأعياد ميلاد لحرف**
**وبأني ذلك المعنى الخرافي الذي أومض**
**في أبهى خلد**

إنه معنى العالم بأسره وهو يدرك أنه لا يفهم من عصره ولايشعر بالانسجام مع من حوله من رجال ونساء فقد ناضل من أجل معرفتهم والتقرب منهم وسعى إلى اعتناق الحب أنى تراءى له أنه واجده :

**فإذا بي نقرات، عذبة الإيقاع**
**في أطراف دف**
**وأراني زهرة،**
**وأراني نحلة،**

**وفراشا يتلظاه الصهد**

كان يريد الحرية وينشد الجمال والإطلاق ولكنه في كل مرة يكاد يحترق يصيبه الصهد ويشعر بجمود المحيطين به وأنهم أحياء كأنهم موات. لا شيء يجمع بينه وبينهم لأنه يتوق إلى روح تشتعل وجدا وقيما من حوله تبيح الخصب والجمال من حوله وتبعث الارتواء وتقضي على كل أشكال الجدب الروحي والمادي :

**وإذا حولي رجال من رخام**
**يتسلون بنقش**
**كان يوما في حجر**
**(....)**
**ونساء من خزف**
**غارقات في بحار المسك، لكن**
**ليس للمسك أريج، وعلى الشاطئ**

**سيف لشهيد، وحمام يذرف الدم بدد.**

كل هذا التمزق وهذا الشعور بالقلق جعلاه دوما في بحث متواصل عن الذات حاول أن يجدها في الوطن وفي أبناء قريته وفي كل العالم المحيط به لكنه في كل مرة يصاب بالإحباط والخيبات. ناشد الحب وارتمى في لذائذ الجسد وإغراءاته عله يجد ما ينشده إلا أنه في كل مرة يخرج واهما خائبا منكسرا لا يقف على ما يريد ولا يرى ما يبعث فيه الحياة الحق وما يحقق له الخلود والعشق الروحي المطلق الذي يراه من بعيد ولكنه كلما اقترب وكاد يلامسه أدرك أنه أخطأ الطريق وضيع الدانة ولم يعثر على الجوهرة.

**وأرى فيما يرى النائم، أني**
**بلبل غنى ..وغنى، واعتكف**
**وبأني غارق في ابتهالات محياك**
**واحزاني الصحارى دون حد**
**وبأني طرفك الناعس عند الصبح**
**صلى، وارتجف**
**وبأني صرت عبداً وملاكاً**
**وأسيراً لغوايات الجسد**

كان يشعر بأنه يتعذب وأنه يبحث عن شيء ما ولكنه لايدرك بالضبط أين يمكن أن يقع عليه يحس داخله بقلق وعذاب وألم وفي الآن نفسه رغبة جامحة للحب ولاعتناق الآخر ومبادلته كل الأحاسيس الجميلة التي تعتمل داخله كل هذه المتناقضات التي يعيشها داخله جعلته يدرك أنه عبد وملاك في الآن نفسه وأنه يعيش حالة فريدة هي مخاض رهيب يهيئ لولادة جديدة في معرفة العالم وسبرأغوار حقيقته بوسائل في النظم والكتابة مغايرة تحاول أن تنير له العالم من حوله والعالم بداخله. إنه عذاب الشاعر يتأرجح بين الحقيقة والوهم بين العشق والحق وزيف الواقع وقصور الجسد ولكن لم تحن بعد لحظة الخلاص ولم يصل بعد إلى معرفة ما يريد وبلوغ ما ينشد فظل العذاب هو سيد الموقف وظلت روح الشاعر ضائعة خائفة مكنونة، وأدرك بعد سعي مرير أنه في هذا الزحام « لا أحد » :

**ثم أني في عذاب لمخاض، كله**
**كان جوابا، لسؤال من زبد**

**وبأني كلما فاض بي الشوق**
**توزعت على البعد نتف**
**ذاهلا أجري .. وأجري**
**ناكرا كل تواريخي ،كأني**
**في زحام الكون هذا .. لا أحد** (لا أحد).

فعم يبحث الشاعر وما السبيل إلى إدراك غايته وهل ستمكنه تجربته وتطورها من الوقوف على مبتغاه ؟

## رحلة الغوص في أعماق النفس بحثاً عن الذاتة .. عن الذات :

إن المتتبع لتجربة علي عبد الله خليفة الشعرية لا يمكنه أن يتغافل عن أهمية القلب في حياته كسراج منير يضيئ له الطريق كلما انسدت الطرق في وجهه وغلب عليه اليأس وأعياه الفشل وتتالت الخيبات في البشر، لذلك كانت مسيرته رحلة متواصلة دائبة على البحث لا تكل ولا تمل. وكان ديوانه الأخير معبرا جدا عن المآل والملجأ الذي اطمأن إليه ووصل به بر الأمان « على قلب واحد « كان العنوان رائعا يعكس أمل الشاعر في معانقة العشق الأبدي وتجاوز كل الأحقاد والآلام والارتماء في أحضان الحب الذي سيهديه إلى الخلاص ويمكنه من معرفة الآخر ومد اليد إليه فهو قد بدأ يدرك ذاته إذ هو عرف غيره وأحبه ووصله وأحدث بين نفسه وبينه تلك الوشائج التي جاء هذا الكتاب ليؤكد من جديد فلسفة الشاعر في الحياة وسعة الفضاء الشعري الذي يدور فيه. وبعد الضياع والشعور باليأس في فضاء يحس فيه بالغربة ولايدرك فيه باب الخلاص والنجاة:

**قطار الحب يا قلبي، تراه فات أم طول ؟**
**أم الساعات خانتنا، فما عادت كما الأول ؟**
**هل الأحزان عرتنا،**
**فجن الشوق ملهوفا ولم يكمل ؟**
(....)
**هباء كل ما تعمل**
**إذا لم تختلج مره**
**وتحيا الحب في سكره**
(...)
**عجيب أنت يا قلبي**
(...)
**أمازالت ظنون الغدر والخيبه**
**تحز النبض في أعماق أهوائك ؟**
**نعم بالزيف أقمار تعيش العمر للآخر ..**
**نعم للشك سلطان يعري نصفك الناخر**
**ولكن في المدى لا بد من نجم**
**أصيل اللمح معطاء** (أنين الصواري)

فرغم الانتظار الدائم « على رصيف المحطة » لقطار الحب الذي يبدو أنه يخطئ الشاعر كل مرة ولا يبلغ به مبتغاه فإنه لم ييأس ولم يعزف عن الانتظار فهو يشعر أن خلاصه أكيد ولكن لايدرك زمان ذلك ولا مكانه.

كانت مسيرته مسكونة بالحذر والخوف لما أصابها من ألم وخيبات ولذلك كان في البدايات متشككا مضطربا كان يشعر أن جدول الحب بعيد عنه في الطرف الآخر يلوح له من بعيد ولكنه لايدرك سره ولا ينفذ إلى كنهه وقد مثل ذلك أجمل تمثيل في حوار قام بينه وبين

امرأة في مكالمة هاتفية :

**أأنت .....؟**

**نعم إنني .....؟**

**أمازلت ترقب عند الرصيف**

**وترقب فجر المنى والأمل ؟**

**أحقا تعيش خلي الفؤاد ؟** (أنين الصواري)

لكن هذه الحيرة وهذا الألم وهذه الشكوك جميعا ستتبدد شيئا فشيئا بتطور التجربة ونضجها واقتراب الشاعر أكثر فأكثر من ذاته ومن إدراك الدانة الكامنة فيه والتي ستكون نبراسه الذي يهديه إلى الخلاص من كل الآلام والأحزان. إنه الحب وحده القادر على تطهير النفوس والارتقاء بها درجات ودرجات في عالم الجمال والانسانية التي تتخطى كل الحواجز وتتجاوز كل الحدود لمعانقة الآخر وكسبه والاتحاد معه ليصبحا في النهاية واحدا «على قلب واحد». ولم يكن وصول الشاعر إلى هذه المرحلة من الوعي يسيرا هينا فقد كانت مسيرته محفوفة بالمخاطر والآلام. فكثيرا مادارت معاني الاحتراق والاختراق في قصائد عدة للشاعر .. معاني لازمة ضرورية في العشق أكد من خلالها رحلته في تطهير النفس وتخليصها من كل الشوائب. فلا بد من الاحتراق لتتطهر النفس ولا بد من طهارة الروح لتخلص لعشقها ففي قصيدة موسومة بـ « اختراق « غلب على النص ضمير المؤنث متعلق بالحبيبة وهي وإن كانت فردا في الظاهر فإن منتهى الدلالة فيها يفتح على متعدد. فالحبيبة هي المرأة وهي الأم والوطن والطبيعة في سعتها وثرائها. يبدو المقصد في ظاهره واحدا ولكنه في أبعاده الدلالية متعدد لا يكاد يقف عند حد. وهي في كل ذلك المعين الذي ينطلق منه ويعود إليه ينبوعا متعاضدا لا يكاد ينضب لأنه ينبع من أعماق الوجدان .. أعماق الإحساس بالحياة في حركتها وسكينتها .. في جمالها وقبحها .. في راحتها ونصبها .. في كل ما يجعلها حياة جديرة بأن تعاش وأن يتمسك بها الانسان وأن يسعى في رغباتها وملذاتها وأطايبها التي لا تكاد تقف عند حد :

**معشوقة أنت والحلم الذي يراودني ..**

**ومجنون حداء العيس دون الأهل والبلد..**

**وما حشد الذكريات الذي يأتي ويفجعني ..**

**إلا حنينا إليك يفت في جلدي ..**

**وما عذاب الروح الذي نفنى ويبعثنا ..**

**سوى أني وإياك نلوذ بنار في ذرى الأبد .** (لا يتشابه الشجر)

فالاحتراق هنا اختراق لان الاحتراق هو الذي يهيىء الروح حتى يمكنها أن تلج فضاءها وحتى يهيىء لها حالها إلى اختراق كونها. فالحلم يقظة واليقظة حلم والعذاب راحة والراحة عذاب والحنين يفت في جلده وينال من امتداد قامته ولكنه نيل وفت ينبعث على أساسها طلقا جلدا وسيان هنا أن يجيئه الهوى اختراقا أو يخترق هو له طريقا. لأن الأهم بالنسبة إليه أن يجد وجوده في هواه .. أن يعثر على معنى لحياته .. ان يجد حياته في يقظته. فكل اختراق من أجل قضية هو نشأة وتجدد وانبعاث سواء كانت هذه القضية الوطن أو الحبيبة أو أية قضية إنسانية متسامية متعالية تسعى إلى أن ترقى بالانسان ومشاعره.

فتستحيل لحظة الحنين امتدادا للحظة الحب وتعلقا بها وفناء فيها لذلك لا تتحول الحبيبة فقط إلى مجرد معين يمد اللغة بمدادها وحروفها وكلماتها وإنما هي الكون الشعري الذي يرتقي بالنص من فضاء الوجود إلى فضاء فردوسي تجنح فيه العاطفة من واد إلى واد سعيا إلى معانقة لحظة الاكتمال لحظة الفناء في الحبيبة فناء أبديا :

**يا فتنة الحلم ،أيا لغة للشعر**

**مسحورة على لسان العاشق الوجد ..**

**تأتين من واد إلى واد مجنحة**

**والحلم يوشك يكمل دورة الأفلاك**
**ويقظة الجسد**
**أهواك مشتاقا ومحترقا..**
**يجيء هواك إلي اختراقا**
**واحتمالات بلا عدد.** (لا يتشابه الشجر)

تفنى الروح فيستيقظ الجسد منبعثا في حياة مستجدة مجنحة لا تستقر تفتح على الممكن الذي لا يحد والمطلق الذي لا يقيد. إنها الحرية في شتى أشكالها ومظاهرها وفي احتمالاتها المتعددة الممكنة المستعصية على الضبط والتحديد.

فيصبح العشق حدثا كونيا وتصبح المعشوقة بحجم الحياة والوجود بأسره إنها الحرية المنشودة « حورية العاشق » يبحث عنها كل حر أبي ويتحمل في سبيلها الأهوال ويكابد الآلام عله يقف عليها في نهاية مشواره الصعب في رحلة البحث عنها .وحتى يكون خليقا بعشقها فينبغي أن يكون في قامتها امتدادا وانطلاقا وكسرا للحواجز وتخطيا لسجف الدياجير وامتدادا إلى أبعد مسافات الإمكان فيصبح العشق متجاوزا لعتبات اللا ممكن .

**لها نموت في الجوى .. لا ننتهي**
**والموت ضرب، في هواها من فنون الجلنار**
**عينان من رحيل القبرات**
**ومن ظلما قوافل محملات**
**بالبن والبهار**
**إذا شربت من أسفارها**
**توزعت أسمال روحي في الشتات**
**أحسست أنني المدى**
**ونبتة وحيدة تئن في القفار** (حورية العاشق )

فعاطفة الانسان هي بوابته على المطلق وإطلالته على اللامحدود هو كيان متجدد في ملكوت العبق والطيب والبخور وأريج الزهور المتضوعة حيث اللاممكن والسرمد حيث الأزل:

**كأنما من عبق قد خلقت**
**يفوح عطر يومها ويبهج الحياة**

من هنا فالمعشوق لا يتحدد لأنه أوسع من أن يضبط ويقنن ويحد :

**أيتها الأسيرة في يومنا**
**طليقة في دمنا بهية في الحلم آسرة**
**عجيبة بين الورود والنخيل والبلاد والنساء**
**مأخوذة بالرقص والمخاصرة**
**والعزف والغناء**
**ومسرح ابتهاجك الذي يليق**
**روعة الفضاء** (حورية العاشق )

إنها الحرية في معناها الأسمى حيث تتجاوز كل حدود لتعانق الكون والفضاء بأسره .إنه مدرك أنه قد يحترق في سبيلها ولكنه حتما سيحظى بالحياة الحق وسيدرك ذاته إذ يدركها :

**كأنما اليوم أراك ..أو أرى هناك**
**خيال قنديل بزيت الله**
**في الدجى مضاء**

**فاخترقي الديجور ..واصلي**
**واحترقي فراشة الطيب**
**بنور سرمدي**
**ليس أجدى من عناق النور**
**حتى الموت**
**في ليل طويل دونما أي انتهاء.** (حورية العاشق)

فإذا كانت القضية التي ينشدها الشاعر تستحق المعاناة فالموت في سبيلها يستحيل حياة والحرية من هذه الناحية هي ما ينشده ويتوق إليه فيشعر أنه قد يدرك كنهها وقد يسعى إلى تعريفها ولكنها تظل دوما مستعصية أبعد من أن نحيط بها لنمسكها لذلك غلب على الشاعر بهذا الوعي سجل استعاري مهم قام على مفهوم الغوص واقتناص الدانة فاستحال الشاعر غواصا يبحث عن دانة جديرة بعشقه لعلها الحبيبة لعلها الحرية أو لعلها رحلة البحث عن الذات والغوص في أعماقها لتخليصها من كل ما يشوبها ويحزنها في هذا العالم وكان العشق في هذه الرحلة القادح الذي يلهمه القوة والصبر والمقاومة وكان القلب سراجه الذي به يستنير .. يختبر الكون وعلى ضوئه يكتشف الأفق .لذلك لم يكن يرضى باليسير البسيط وإنما كان يتوق إلى الأجمل والأكمل والأروع .

والدانة من هذه الناحية شأنها شأن كل الأشياء الجميلة التي يطمح إليها الشاعر ويحلم بحيازتها لا تبدو قيمتها في الحصول عليها فحسب ولا في وقوعها في يد الشاعر وإنما تكتسب أهميتها في ما تمثله له من حلم وطموح. فهي لا تحقق نفاستها بالنسبة إليه من حيث أنها ممكن واقع في حيز الحصول وإنما من حيث هي ممكن واقع في حيز الحلم. كذلك تبدو الدانة وتبدو المعشوقة حرية كانت أو حبيبة قمرا لايعنيه أن يدركه وإنما يعنيه أن يتأمل جماله وأن يفتتن بسحر نوره إنه العشق الأبدي والافتتان الذي لا يقف عند حد. إنه الشوق من أجل الشوق والعشق من أجل العشق إنه اعتناق للعشق مذهبا ودينا فهو حب للدانة لأنها دانة وحب للقمر لأنه قمر ومن هنا نفهم أهمية تركيب الحصر في قصيدة علي عبد الله خليفة « حدثيني « عندما يقول :

**أنا لا أطلب إلا**

**أن أرى البدر اكتمالا**

فالشاعر بهذا التركيب يؤكد استحالة حصوله على مبتغاه رغم أنه يوهم بعكس الفكرة المقصودة. فما أبسط هذا الطلب وما أصعبه في الآن ذاته.

وكأن الشاعر كان يدرك في قرارة نفسه سعة ما يطلب ونفاسة ما يبحث عنه فكانت اللغة المتوسل بها تعيش هذا العسر في البحث عن المنشود فتعددت طرق التعبير عن المبتغى وعن المطلوب فتواشجت الفصحى بالعامية واخترقت العامية بسلاسة عجيبة أعماق الشاعر وأعماق المتلقي حتى يشارك الشاعر رحلته وحتى يتحد معه في درب العشق والقلب الذي انتهجه مذهبا في معالجة كل ما يحيط به. فاحتوى ديوانه «على قلب واحد « قصائد عامية عجيبة فيها نضج واضح وتطور في إدراك الذات والغوص في تقصي الدانة. فلم يعد الشاعر يكترث للشكل الذي فيه يصوغ فضاءه الشعري هل هو قصيدة التفعيلة أو القصيدة الفصحى أو العامية أوالموال .. فكل هذه الأشكال تتساوى مادامت التجربة تتسم بالثراء والفضاء بالجدة وما دام الشاعر يحمل هموما شعرية عنها يكتب ومن أجلها يصوغ ما يصوغ. فالدانة المنشودة قد تكون خارج الكتابة وقد تكون في تصور للكتابة الشعرية نفسها لم يستقر الشاعر بعد على منهج الكتابة وشكل نهائي يرتضيه. فكان دوما يبشر بالممكن تحققه ولكنه لم يتحقق لأن آماله وأشواقه أكبر من الممكن .فنراه يقول في «بشاير» :

**أشواقي ما فتحت**
**أشواقي ما بانت**
(...)

دانة حنيني بصدف
ماصادها ف بحر العشق غواص
وطيوري ف اشجار السحب
ما راعها حابل و لا قناص
ازروعي ما تنوصف
وانهاري ما تنعد
أحلامي بوسع الفضا
وقلبي عشق ينزف.  (على قلب واحد)

فكل ما هو واقع يراه ويلمسه لا يرتضيه لأنه يبحث عن الأكمل في كل ما ينشد فيشعر أحيانا أنه محاصر وأن الأفق مسدود أمامه وأن حواجز رهيبة تفصل بينه وبين معشوقته لكن صوتا نابعا من أعماقه يدفعه ولايتركه عرضة لليأس. فهو مؤمن أنه يحمل رسالة في الحب رغم أنه في زمن لا يؤمن بالرسالة كأنه زمن غير زمنه لأنه لا يكاد يتسع لوهج العشق فيه وحرارة الايمان المتدفقة من أعماق كيانه :

والمبتلي في عذابه شقي
يبحث عن الحب وسراج العشق
في ذا الزمن طايف  (الجوهرة، على قلب واحد )

فهو يسعى إلى أن ينير المنطفئ ويعيد الحياة إلى الميت ويجدف ضد التيار حتى وإن أنهكه التجديف بحثا عن المفقود وتنقيبا عن المستحيل وتوقا إلى الممتنع الصعب اشتياقا إلى جوهرة ليست ككل الجواهر يبحث عنها يائسا حينا و مؤمنا غالب الأحيان بأنه قد يعثر عليها فيقد فضاء أمله بيديه قدا :

أبحث أنا من زمن عن جوهره
سر أسرارها تكوينها الصافي

يبحث عنها من زمن وسيظل أزمنة يبحث عنها. فليس مهما أن يجدها. الأهم من ذلك أن يظل باحثا عنها مستحضرا آلاءها وصفاتها غائصا في سر أسرارها. في داخله يدرك كنهها تكاد روحه تعانقها وإن كان متعذرا على جسده أن يصلها:

سر أسرارها تكوينها الصافي
أكبر من جحيم الجسد
وأبعد من نعيم الروح  (على قلب واحد)

جسد يحترق جحيما ويتحرق صبابة وشوقا إليها وروح متنعمة مطمئنة إليها وهو باحث عنها :

في بحار ما لها آخر

ولما كان الجسد جاهلا لا يعرف والروح وحدها تدرك كنهها أطلقها باحثة ونذرها في كل بحر عساها تطفئ جحيم الجسد :

نذرت روحي لها و وزعتها تبحر
على كل يم و تسافر

فهو بحث الشوق والعذاب .. بحث التوق والأمل .. بحث اليأس والإحباط .. متناقضات هي المأساة لولا أن جذوة الأمل لا تنطفئ :

يارب ليش عذبتني بهالمصير
مجبور ومعلق
(...)
أظل أبحث و لا ألاقي أثر ينبان
كلما انفتح لي باب على درب
انهارت جسور وانسدت معابر  (الجوهرة،)

ولكن الشاعر غواص لا ييأس وإن عاد مرات خاسرا لأن الغواص لا يبالي بأيام الخسران. فلحظة فوز واحدة تجب كل ما قبلها ولحظة الفوز وإن عزت فمن أعماق روحه نابعة لا بد أن يقف عليها في يوم من الأيام. لقد طالت رحلة البحث عن العزيز المنشود فغاص في أعماق البحار وتصور أن البحر ملآن جواهر ومرجان ولكن تجربته في الحياة أكدت له :

**لكن مو كل الصدف عمران**
**ولا الجواهر جواهر**
**ولا المرجان متيسر في كل وقت وحاضر**

لقد تعلم الشاعر من تجاربه في الحياة الكثير :

**غواص البحر ما ينحسب كم مرة طلع خاسر**
**لكن يحصى بالدانات عمره**
**وينحسب نهش الكواسر.** (الجوهرة،)

وربما خسر بعض الأمور وخيبت آماله في أناس وضاع رجاؤه من آخرين ولكنه فاز بمعرفة ذاته فغاص في أعماقها وتاه في البحث عنها مرات ومرات ولكن التجربة في ذاتها كانت مكسبا له وفضاء شعريا بديعا وقف فيه على أهمية صفاء الروح ودور العشق في حياتنا وكيف يمكن للقلب أن يتصدر مشاغلنا ويمتص خلافاتنا ويمد أواصر الحب بيننا ويواشج بين كل المختلفات وكل الخلافات والتمايز ليعيش العالم في سلام ويعم الحب والإخاء الكون بأسره:

**العشق لك معنى كبير**
**أحتاج أنا أتعلمه**
**أدخل حدود الكون به**
**واشفي ديار مهدمه**
**(....)**
**أفهم معاني الشوق فيه**
**تطلع حروفي من الضوى..وتكلمه**
**واكبر مع قلبي ..فداك**
**في كل ليله ملهمه** (قمر وحيد)

ولعل أبرز ما يميز هذه التجربة والأحرى بأن يبقى عالقا في الذاكرة تفتحها على الآخر من حيث هي تنفتح على الذات وشوقها إلى البعيد من حيث هي تغوص في أعماق الروح لذلك كان نوسان المعنى الشعري حول معنى الوجود هو في بعض مظاهره نوسان حول النفس يسبر أغوارها. وكان سعيه إلى فهم الذات هو عبر سعيه إلى فهم الآخر. وكان غوصه في أعماق البحر بحثا عن الدانة النادرة انعكاسا لغوصه في أعماق الروح بحثا عن العزيز المنشود وكانت حركته الشعرية كما في حركة البحار يصارع أمواج البحر في هذه ما في تلك من مكابدة وعناء واضطراب وحيرة وخوف ورجاء. لا يحركها إلا الأمل الذي لا ينطفئ مهما طال العذاب وامتد القلق وزادت الحيرة.

وكان شعره امتدادا لظمأ روحه إلى لحظة الارتواء التي كلما اقترب إليها انبعث ظمؤه طارئا مستجدا لا يكاد ينعم معه براحة. فهو المدلج أبدا الساعي إلى ارتواءة تطفئ عطشه وتشفي غليله. ومن ثم أمكن لنا أن نتبين أن تجربته الشعرية ظلت أبدا مشروعا منفتحا على الممكن تماما كما كانت تجربته العاطفية أملا منفتحا على الآتي الذي لا يشك في قدومه وإن كان لا يأتي أبدا. لذلك كانت طمأنينته إلى ذاته، يجد في أعماقها ما لا يجد في سطح الوجود. ويطمئن إلى أن الدانة ثمة استكنت لا يستطيع أن يحددها لكنه واثق أنها هناك. هي أوسع من الوجود وهي أكبر من القول وهي أثمن من كل الدانات مجتمعة. هي الممكن يأمله ولكن كل قيمتها أنها تظل ممكنا لا يقع في حيز الحصول لأن الحصول عليها نهاية للشاعر.

إن هذا الكتاب لا يعكس تجربة الشاعر علي عبد الله خليفة فحسب وإنما يدل على طبيعة روحه من حيث هو إنسان في تطلعه إلى الآخر ومد اليد إليه من أجل تحقيق ما ينبغي أن يكون بين الانسان والانسان من تعاون وتضامن وحب وتآلف .هي روحه التي يحيى بها لا تطمئن إلا إذا حققت إنسانيتها في تقريب الانسان إلى الانسان ومد أسباب العاطفة بينه وبينه. هذه الروح انعكست على تجربته الشعرية فكان شاعر الحيرة والقلق من أجل إدراك سكينة روحه التي لا تسكن إلا بسكينة أرواح الآخرين ولا تسعد إلا من خلال سعادة شعبه الكادح وشعوب الأرض المتطاحنة المتصارعة من أجل أشياء هي في تقديره أهون من أن يتصارع فيها .

إنها تجربة من أجل الانسان فيه ومن أجل الانسان في الآخر أوغلت في تراث الانسان بغية إدراك البلسم الذي يحقق روح الجميع وأمنهم وسلامهم. فكانت تجربته تجربة عشق كأنها صوفية أو أفلاطونية أوأي صنف من أصناف الحب الذي يشد العاطفة إلى العاطفة ويسمو بالروح حتى تعانق الروح وحتى تبلغ مواطن خفية محتجبة فيها تستكن دانة الدانات وجوهرة الجواهر، الروح التي لا تنعم إلا حبا وشوقا وأملا وسلاما وجمالا وخيرا وعدلا، ولذلك كان هذا المصنف وشائج متجها إلى الآخر من العرب وغير العرب وخاصة غيرهم يدعوهم إلى الألفة والحب والسلام والإخاءوالتواشج . أليس الانسان مهما تباعدت السياسات ومهما اختلفت العقائد ومهما تباينت الشرائع هو أخو الانسان من قبل ومن بعد ؟تزول الدنيا ولا تبقى إلا شرعة الحب متسامية تدعو إلى تجسيد الأخوة بين الناس .

**د. نور الهدى باديس**
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ـ جامعة تونس
تونس ـ 2007

# علي عبدالله خليفة .. الشاعر

**دافيد دومورتييه**

نعيش عادة من خبزنا الموضوع على الطاولة، فتات يتساقط منه حولها وعلى الأرض. هكذا يتوزع الخبز. فالبلدان قد تختلف أحيانا على غرار البحرين التي لا تملك إلا فتاتا ، هناك، واقعا إزاء سعة صحراء الجزيرة العربية ومياهها الأجاج الشاسعة. البحرين في العربية تعني "مثنى بحر". إنها بلد البحرين معا المحاصر بالخليج العربي وخليج عمان.

البحر، هو أيضا، هو دائما، حتى عندما يتعلق الأمر بالشعر. فالبحر في العربية هو بحر الشعر. ما يقاس به الشعر. قد يكون بحرا قصيرا أو طويلا .. إنها جملة من المعاني المختلفة لكلمة لا يمكن أن تينع في مكان إيناعها في البحرين (مثنى البحر).

إنه بلد الشعر لأننا لن نعرف أبدا أيان يتسع للغة المساء أن تفصح عن خارطة عالمنا. لعلها تعطينا موعدا عند منتصف الليل. ولكن ينبغي أن نضبط جيدا يوم موعدنا : فقد يكون قبل يوم أوقد نتأخرعنه نحن بدقيقة.

إنه هذا البلد، بلد الجزر والنجوم هو الذي أشاد به علي عبد الله خليفة في مصنفه الموسوم ب "وشائج".

**وأنا أجمع في البحر شتات الأرخبيل** (زبرجدة في إناء الورد).

فالوشائج يمكن أن نعبر عنها بجملة من المترادفات كالتعالق والتشابك والتظافروالتعاقد:

**فامتلأت كل العروق،**

**واشرأب الزهر في الرمان للمخاصرة** (ازدواج)

إن شعر علي عبد الله خليفة يصر على جمع ما هو مبعثر فينا، التاريخ، حياة الناس، الحب، الظلم، الأغاني الشعبية، فساتين النساء، الحيوانات، الرب وهذا الظمأ الذي يأسرنا.

في السبعينات والثمانينات كان الشاعر أستاذ الموال وهو شكل شعري وجد منذ القرن السابع في العالم العربي وهو يتكون عادة من سبعة أشطر مقفاة. وقد أعاد تناولها بشكل مغاير في مجموعته "عطش النخيل" المنشورة سنة 1970 أو في المجموعة الأخرى "عصافير المسا" المنشورة سنة 1983 . وبعد ذلك أراد أن يتحرر بالاتجاه نحوالأشطر الشعرية الأكثراتساعا.

واليوم تبدو ريشته تقليدية للغاية بسبب الأغراض والمواضيع المتناولة ولا سيما إحالتها الواضحة على التراث البدوي كالتغني بالحبيبة وبالغزالة المستعصية والقرى البدوية والبكاء على أطلال الحب والليل والخيام .

**حدثيني يا مها نجد، بأشعار النزوح** ( حدثيني )

فمنذ القصيدة الأولى ننغرس في يومي العرب وصحرائهم التي هي خيمة من نار :

**واغسل الجرح بماء البحر، واسكن خيمة النار** (حتى أراك)

أو قوله أيضا في هذين البيتين :

**وفتات الزمن الباقي من الليل**

**مرايا للتشظي والمحن** (مرايا الزمن الباقي )

أبيات شديدة الارتباط بالشعر الجاهلي فكأننا نسمع امرئ القيس في قوله: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ولكن ينبغي ألا نقف عند هذا التأثر المتجذر في أعماق الأدب العربي فحسب وإنما لا بد من الإشارة إلى أن علي عبد الله خليفة تناول كذلك عالمنا اليوم

بمظالمه وآلامه ويعمد من خلال ذلك عبر عالمنا الراهن أن يكشف عن شوقه هذا باعتماد الأنا والأنت شوق يجعله إنسانيا عاما في قصيدته " بشاير " :

**أشواقي ما فتحت**

**أشواقي ما بانت**

**وأشواقي ما عمرها قالت ولا باحت** (بشاير)

**(....)**

**خذني ندامى ليلتك**

**أعشق بشاير طلتك**

**واعطر ترابك**

**واقول تالي العمر :**

**زهر علي الورد.** (بشاير)

فهذا المحورالمتكرر للمحبوب يتلون بألوان الشاعر العباسي الكبير أبي نواس أو الشاعر المصري محمد النواضي مع شيء طبعا من المعاصرة والشهوة والجرأة خليقة بجان جينات ولا سيما في قصيدة علي عبد الله خليفة الرائعة: "غسول المرافئ" :

**وأبعد عني الدخان، وأنجو**

**من الظن حتى كأن الظنون**

**غسول المرافئ عند المطر**

**وأن السماء بلا رجفة للغيوم . .**

**بلا رعدها والبروق**

**مجرد لون على صفحة من ورق**

**وأن النجوم اللوامع في مجدها الأبدي**

**زجاج تناثر فوق رثيث الخرق .** (غسول المرافئ)

" فمسألة بريست" تتراءى لنا من خلال ذلك وحسية البواخر هذه تتتابع في قصيدته " صدى الأشواق" من خلال أسطر شعرية مفعمة بمعجم بحارة البحرين المخصوص وغنائهم، الهولو، وترانيم الأمواج، والنهام، ومركب اللؤلؤ:البشت، وفساتين النساء:النشل، ليغوص بعدها في تساؤلاته المظلمة:

**هل ترى كل نساء الحي مثلي؟**

**في اندفاعي؟**

**عندهن اللهفة الهوجاء في حر التياعي ؟**

**(.....)**

**ما الذي ألبس يا مرآتي الرعناء .. قولي**

**(نشلي ) المزدان بالنجمات والكم الطويل؟** (صدى الأشواق)

ويذهب الشاعر أبعد من ذلك في قصيدته الرائعة " أنين الصواري " قصيدة الحب هذه المهداة للبحرالذي خبر ظروف البحارة والكادحين وهي قصيدة مهداة خاصة إلى والده :

**يا أبي، كيف اللقاء؟؟**

**ربما عز اللقاء.** (أنين الصواري)

ولد علي عبد الله خليفة في هذه البيئة المتواضعة جدا للغواصين على اللؤلؤ. لقد خبر قيمة الأيام العصيبة وعناء الأعباء تحملهاعواتق الأطفال. كان والده من أولئك ولم ينس الابن شيئا. لم ينس حتى الفتنة المرتبطة بتجارة حبات اللؤلؤ التي تخلقت في جوف المحار (إن تلك الأصداف هي أيضا تعمل) عندما تدعى إلى أن تشير بطرف إلى من يدفع ثمنا أعلى وهو متربع بين "الطواويش" (وهم تجار اللؤلؤ الذين يأتون على مراكب لشراء اللؤلؤ من الصيادين في عرض البحر).

**وأبي يرجو من الله بأن أغدو كبيرا . .**

**أحمل العبء وأرتاد الغمار**

**باحثا عن لؤلؤ يغري (طواويش) البحار(...)** (أنين الصواري)

لقد كان للشاعر دين تجاه طفولته وذويه يقول في هذه القصيدة التي تئن فيها أخشاب الصواري تماما كما تئن مفاصل الأيدي المهترئة من العمل:

**هات من دينك هات** (أنين الصواري)

**وأحس في مهجتي لك دين**

**تحضنيني قبيلة وخيمة وضوى قنديل(...)** (عند الباب)

إن قراءتي للقصائد التي يتوجه بها للمحبوب مهما كان فيها من فتنة قد تكون على الأرجح مخدوعة بحيل من حيل الشاعر. فينبغي ألا نقع في فخ الظاهر من عبارته.

فكفاح الرجال تحت الشمس أو القمر هي رقصة ساحرة جذابة لا تفتأ تتكرر في لا وعي معتنقيها. .إنها رقصة أسكرهاعيش الرجال حيث لم يعد للجسد أي دور . وهذه النشوة ستتخذ في ذهن الشاعر أو الصوفي معاني أخرى مختلفة وكذلك في ذهن الشاعر الصوفي الذي يرى فيها السماع (وهي الحلقة الشهيرة للدراويش ) المتفانين الفناء كله في المحبوب.

ولما كانت اللغة العربية لا تستعمل الحروف البارزة في بدايات الجمل كان يسيرا على العارف بالكلم أن يترك المجال حرا سابحا في الفضاء إلى ما لا حد له من المعاني فقد تجد النشوة الكبرى في الحروف الضئيلة البسيطة المتناثرة هنا وهناك.فاستعمال عبارة " يا حبيبي " مثلا المتواترة في الشعر أو في الأغنية أو الخطاب العادي والمستعمل مع عدم وجود فارق بين الجنسين لا يخلو من غموض في الغرض:

**قال الرب (إن كان الرب هو المتكلم)،**

**فقال، تجلى، أسوي حديقة عشق**

**وأجعل رضوانها للبرايا**

**مفاتيح كل الجنان**

**(...)**

**وأنفخ في الطين نارا**

**أصيره كوكبا مستثارا**

**وأعطي له ما يفوق التوهج في الاشتعال**

**وأوصل منه التماع النهى**

**بمكنون ما يحتويه المدار.** (في التجلي والتضاد)

أو قوله أيضا:

**كل نبع كان يروي قصة**

**ويداري مس شيء**

**نابض في القلب، مستورا، مدارا** (قرنفلة الوقت)

فمعاشرة الممنوع والعواطف المتأججة وخمور الانتشاء والعيش عيشا إراديا متواصلا مع المحظور لإقصاء الحب العادي البشري والبحث عنه، هو في ذاته المتعالية، ذاك هو الطريق الذي اتخذه الشاعر ليبلغ الصور المحجبة.

هذا العالم الخفي والمأمول سيجد حتما وقعه في نتف الهايكو المضمنة في القصائد. سيعيش هذا العالم منصهرا في دفق العبارات وفي مطولات قصائده التي تكاد تكون محيطات. وإذا كان العديد من الشعراء العرب المعاصرين قد أبدعوا في فن القصيد الموجز مثل الشاعر الأردني زياد العناني فإن علي عبد الله خليفة قد اختار التحصن بالنفيس تلك الاستعارة العجيبة للؤلؤة المخفية في رحم الصدفة حيث مفتاح الأسرار المخفية في خياشيم السمكة، سمكة من حكايات ألف ليلة وليلة .

**زرعتني الأرض عشبا**

**في طريق الكلمات** (حتى أراك....)

أو قوله :

**هجعت وحيدا**

**إلى شجر في الضحى**

**توالد، وامتد غابا، وأفضى**

**إلى سدرة في بهاء اليقين** (قمر وحيد لزنابق الماء)

أو قوله :

**جلست إلى بحر نورك**

**في هدأة الليل ..**

**ذات مساء**

**وكان خريف الأغاني**

**يمد على الأفق خيط ابتسام،**

**وخيط بكاء**

(....) (في حضرة من أهوى)

أما الإحالة الأساسية الأخرى على التصوف في "وشائج" علي عبد الله خليفة فهي ظهور السيدة الخضراء في قصيدة له بعنوان: "في وداع السيدة الخضراء".

والسيدة الخضراء أم الفقراء والمساكين. أمامها يسجد البحر وتمتد الخضرة الضرورية للحياة وهي رمز لمقاومة التصحر واسفلت المدن. إنها واحة تتضح بعد غزوات عدة ضد قساوة التجارب. فهذه الصورة الروحية تتجلى وسط المآسي البيئية التي يكابدها اليوم كوكبنا الأرضي.

ولكن حضور السيدة الخضراء في هذا المصنف يذكرنا خاصة بشخصية الخضر، الملهم الروحي للصوفيين. فالشاعر الأندلسي ابن

عربي كان قد رآه على ما يبدو ثلاث مرات وكان اللقاء الثاني قد تم في ميناء تونس ذات ليلة على متن مركب . تقدم الخضر نحوه ماشيا على الماء وحياه واضعا قدميه إحداهما على الأخرى. وفي قصيدة " في وداع السيدة الخضراء " كان البحر يغسل أقدام ملهمة الشعراء بكل جلاء:

**وكنت امرأة البحر، يذوب البحر وجدا**

**عندما يجثو كليما..**

**يغسل الأقدام . . حبا ثم يرحل** (في وداع السيدة الخضراء)

وتقصي بواطن الأشياء ليس بالأمر الهين . إنه يتطلب تعلما طويلا يقتضي مهارة للأطفال و مهارة للطفل الذي يكبر فينا. ففي مصنف نشر في فرنسا منشورات " نون ليو" خاطب علي عبد الله خليفة قارئا لا سن له فقال :

**عندما تكبرين غدا**

**(....)**

**سيبدو لك الحال في غير ما تعرفين**

**وتكتشفين الدواخل عكس الذي ظاهرا قد بدا** (عندما تكبرين)

البحرين بلد ذو وجهين كمعظم البلدان تقريبا. فمن ناحية نجد طبقة ثرية من رجال الأعمال والمنحدرين من الممالك العربية المتوارثة في الخليج ومن ناحية أخرى نجد طبقة كادحة هي غالبا من الآسويين في خدمة الطبقة الأولى.

كان علي عبد الله خليفة رجلا شريفا حاول أن يبحث أبعد من الانقسامات الطبقية الاجتماعية، كان عمله عما يؤسس قلب الانسان ونبله في قساوته. لقد وجه الاصبع إلى المظالم، يمتزج الجمال عنده بالألم:

**نعيما**

**وخصلات شعرك لما تجف ،**

**ولما تغادرها نكهة العود والزعفران**

**وأنفاس ظبي صغير**

**تعذب يجري من الطرد**

**حتى استكان.** (أقحوانة الندى)

أو قوله أيضا في هذه القصيدة المنشورة في المصنف الفرنسي المذكور آنفا:

**سمع البحر غنائي، وأفاق**

**يُلبس المد رداء أرجواني الورود**

**من ثياب الأخوة القتلى . .**

**أخاطته جراح السجناء** (لغة الظمأ الأرجواني)

لأن البحث عن لوح الله المحفوظ هو ألا نترك في الحياة التي نحياها في دنيانا ألا نترك عيوننا تتبهر بأقنعة السهولة والبساطة.

وتأثره بالصوفية يمكن أن نتبينه أكثر من خلال الحضور المتواتر لصور الحيوانات في أشعاره النفيسة :الظبي والحربائية والغزالة والنورس المحجل والقطط والقبرات والفراشات والنحل وإن كان الشاعر لا يتحاور معها شأن سليمان في سورة النمل في حواره مع الهدهد:

**تماديت ،أهجس بالشجو للطير،**

**لكنها غادرتني خفافا** (قمر وحيد لزنابق الماء)

ولكن الشاعر يدرك منتهى الإبداع عندما يخصص لأرنبة البياض حكاية طويلة .

## أرنبة البياض :

إنها فعلا تعد أجمل قصيدة في هذه المختارات، فكل الأحداث تدور ليلا في عالم الأشباح الثقيلة. يبدو القمر في متناول اليدعلى منارة. إننا في مدينة وسط قذارتها ونتنها، مخلفات نفاياتها هنا أمام أعين كل واحد. كلاب تلاحق أرنبة بيضاء. تريد افتراسها. إنها كثيرة وهي وحيدة ببياضها المرتجف. دفعها الكلاب إلى خندق ولا يمكنها النجاة إلا بالتعلق بخشبة صغيرة عائمة على الماء. مازالت الكلاب تلاحقها . . تنبح . . تكشر عن أنيابها . . يسيل لعابها. لا شيء يثنيها ، تواصل الضغط. لا يقل الماء قذارة عن المدينة. فقط فرو الطريدة أبيض. مسكينة هذه الأرنبة البيضاء، أرنبة الأعشاب النقية. إنها لا تريد أن تموت . . أن تموت غرقا. حتى الحشرات قد بدأت هي الأخرى تتفنن في تعذيبها ثم تتوالى الأمراض ويخنقها مرة أخرى طوق : إنه كابوس. تبلغ القسوة ذروتها في هذه القصيدة.

فالمشهد العام يخدم العين والأنف على حد سواء. فلا يغيب إلا صراخ الحيوانات ليدخل بذلك القارئ في حالة من الفزع.

فيتراءى لنا أنطونان أرتو يطوف في ناحية ما:

**إن الحياة هي دائما موت كائن ما .** (أ.أرتو، المسرح وتوأمه)

لقد أبرز الشاعر الصراع والاحتضار وفضاعة التعذيب إنها لحظة عطاء عجيب تفنن الشاعر في إبراز هذه الهدية الرائعة للكلاب. أما عن الحبال والعصي الطويلة وكل أداة عائمة لإنقاذ الغرقى فالشاعر يدعونا لأن نحذرها لأنها قد تكون خدعا وخناقات تزهق أرواحنا.

إن قصيدة ( أرنبة البياض) هذه ضربة معول جاءت لتشطر المجموعة إلى نصفين.

ولا يمكن لعلي عبد الله خليفة أن يكون شاعرا دون عنف النص هذا الذي ألحقه بكبار النصوص الأدبية كحكايات أندرسن وألف ليلة وليلة وحكايات إيزوب وشخصية كوزات إذ كانت في خدمة الخنازير منذ صغر سنها.

لقد أمسك هذا الشاعر بالمرآة فلا ذنب له إلا هذا .

ولكن لنعد إلى طريدتنا الصغيرة.إنها أرنبة مرعوبة تريد أن تعيش مثلما يتمسك بالحياة كل الأحياء الذين يراد لهم الموت. إنها راغبة

في أن تمنح فرصة أخرى من يدري. وهي تدرك جيداأن فروا كثيفا سيكون حتما أكثر إقبالا عليه من جلد كلب. إن العالم مسكون بالنهابين والفرائس. إن هذه الحيوانات الطوطمية هي استعارة القوى المتصارعة التي تكاد تجعل من شعر علي عبد الله خليفة أثرا غيبيا.

**وماشيت ظلالا غيرظلي** (مرايا الزمن الباقي)

هناك شيء من الصقيع في هذه الكلمات، إنها تعويذة للروح ولكن فيها أيضا نفس القبلية الجاهلية :حيوانات محفورة في القصيدة مثل أسود على واجهة قبور نبطية. إنها قصائد تبعث القبائل العربية التي تحمل أسماء الحيوانات مثل قبيلة قريش قبيلة القرش الصغيرالتي اكتسبت شهرة بفضل النبي محمد حيث كان رسول الله(ص) أحد أفرادها.

**ربما ننسى، ولكن الندوب**

**باقيات لا تموت**

**كان نقشا على الصخر**

**وحبرا وورق.**

**كانت القطة في حضن الحرير**

**وهي الآن مع القصف تجوع**

**في خرابات المدائن .** (زبرجدة في إناء الورد) .

أو قوله :

**لماذا تكونين من بين كل النساء**

**شذا للورود**

**وأرجوحة للندى؟**

**وأن احتياجي إليك**

**فضاء لطير شغوف الجناحين**

**في حبسه مسهدا.** (منتهى)

فالسيدة الخضراء والحيوانات والمحبوب كلها مواضيع تقربنا من الطرق الصوفية .ولكن هناك عنصر آخر لا بد من الاشارة إليه وهو حضور المعادن.

## الأحجار :

**وإذا حولي رجال من رخام**

**يتسلون بنقش**

**كان يوما في حجر** (لا أحد)

أو قوله أيضا :

**وقامت بحار، ومدت فلاة**

**لأغلى وأدنى صنوف المعادن، مدت سهول**

**وسلسلة من عروق الزمرد** (في التجلي والتضاد)

إن الجسد تيه يسجن ملامح الوجه ويمكن أن يضيع فيه المحبوب. فالزبرجدة والزمرد والرخام والصخروالدانة كلها علامات لا تخطئ ولا تضيع، على عكس الجسد الحيواني فهويتعلق بالطبيعة الصلبة للحكمة. لقد كتب ابن عربي نفسه "فصوص الحكم" واضعا بذلك الحكمة في الفضاء المعدني للأحجار الكريمة .

**فأي الجواهريوما ستغني**

**بديلا لحنجرة صادحة ؟**

**(....)**

**لماذا على النهر، دوما، تراءى**

**فتى من رخام؟** (قمر وحيد لزنابق الماء)

يعرف الشاعر أن غناءه زائل مثل غناء زامبنلا في رواية بلزاك "سراسين" وكان سراسين يشتغل في الأحجار. . توجد فنون قابلة

للتلف أكثر من غيرها . . فما تعيد إنتاجه المجتمعات وأنظمتها ستكون حتما أشد صلابة وأكثرترسخا من أغنية أو قصيدة أوسحابة . . ولما كان الشاعر واعيا بهذه الأمور شأن كل إنسان ورع . فقد اكتفى بالدوران حول الحجارة حيث تظل كعبة مكة رمزها الأقوى.

فالدوران والمشي والبحث والتقصي والضياع في الصحراء وكل هذا التيه أنهك الشاعروأصابه بالجفاف وجعل من علي عبد الله خليفة شاعر الظمأ إلى الآخر.

**علي عبد الله خليفة، شاعر الظمأ :**

أن يولد المرء بين الصحراء الأشد قساوة والمياه المالحة للبحرين جعل الظمأ في قلب كل الصراعات.

**أقول الشعر ظامئا . .**

**أطارد الذي يلوح لي على مشارف الصحاري**

**عذاب الشعر يستفزني . .** (طائر النار)

فخلق قصيدة هومعاناة تؤلم ألم الصدفة تخلق اللؤلؤة. إنه ثمن الندرة. . فزهور الرمال قد تنشأ هي الأخرى في نفس هذا الظمأ، ظمأ الصراع من أجل الجمال. ذلك أن الظمأ ليس إحساسا بالنقص وإنما هوعلى العكس وفرة جفاف داخلي يخدر الشاعر ويهبه رؤاه. فنوح وهو محاط بمياه الطوفان الهائلة كان هو الآخر يكابد هذا الظمأ فيلقي بسطله ويشرب. وهذا دليل صارخ على أنه حتى وإن نزلت علينا من السماء أمطار غزيرة يظل النداء داخلنا قائما في كلماتنا.

هذا الظمأ لطريق نخلقه كل يوم :

**يا طريقا كلما أوغلت فيه**

**ملك الحب رتاجي، وتولاني،**

**وأفضى بي إلى غيرطريق** (زبرجدة في إناء الورد)

إنه ظمأ لمعرفة ظمأ الآخرين، وليحقق ذلك سيتسمر الشاعر على سلالم ماخور، إنه المكان الأفضل ليكون في قلب الفيض.

**كنتِ في السوق طريقا**

**للبغايا والجنود الغرباء** (لغة الظمأ الأرجواني)

فالشاعر في الصحراء نبتة تئن منفردة. ففي التجارة المتبادلة بين الرجال كان يشعر بالظمأ إلى القوافل المحملة بالبهار والبن وكل المرافقين العائدين من شهوة بداية السفر يحملون في حقائبهم هولو رجال البحر. من هنا فصاعدا يصدر الشاعرلغتهم إلى البلاد الظمآى، المتعطشين إلى الكتب لأن كل كاتب جيد سيدعو إلى قراءات أخرى.

إن علي عبد الله خليفة هو ذاك الذي يتغنى بجواهرالبحرين، بجزرها، بالنورس بكلمات البحارة النادرة، بحبة الرمل الخفية وسط ما يشبهها من أخواتها.

**دافيد دومورتييه**

ترجمة :د.نورالهدى باديس

باريس - 2007

# شانتال لوجوندر

## في وَشَائِجِ الشَّفَافِيَّة

**نص : ثريا إقبال**

---

فمي دواة
لتنهلي
حمرة كلماتك
خطواتنا تعتنق
بصمات الوقت
في غبار
الدروب الخفية
عندما تتقاطع
نظراتنا
لترسم الأفق

**شانتال لوجوندر (شنات)**

أناملي على حافة الوقت
أغوص في دواتك،
فمي يمتلئ بكلماتك
أغرق في صرة العالم،
كون يتفجر على شفتيك/ شفتيَّ
سِفرٌ أنا وأنت
مَنجذبا بظمأ للجمال
محمولا على تأجج العشق
يبحث عن اللاموجود
في ثنايا ما لا يرى
وما لا يقال

**ثريا إقبال**

كانت أول مرة التقيت فيها بالفنانة التشكيلية والنحاتة شانتال لوجوندر( شانات) في نوفمبر 2005 بدعوة من صديقنا الشاعر بيير فيوكي. كنت بصحبة الشاعر البحريني علي عبد الله خليفة. كنا الضيفين المبرمجين في آخر لحظة من فعاليات مهرجان الخريف الشعري المنظم من طرف بيت الشعر الفرنسي لجهة رون آلب. كنا الضيفين المفاجأة على حد تعبير القائمين على المهرجان، لأن كلينا كان متواجدا بالصدفة بفرنسا آنذاك.

لعل أولى الأعمال التي أتيح لي رؤيتها وتأملها بإعجاب ، تلك التي تعرفت عليها في لقائنا الأول، ومن وقتها مافتئت تلك الروائع تغذي خيالي الشعري ومساري الإبداعي وتثري رؤيتي الفنية.

ذهلتُ بلوحات شانتال و شدَّني جمالها الخلاب قبل أن أتآلف مع سحر الشفافية والألوان والأشكال وفن إعادة بناء العالم برؤية كونية متفردة نابعة من وجدان الفنان.

عبر تواصل كثيف عن بعد لم ينقطع البتة، تعرفت عميقا على شانتال وأدركت مدى قرب تجربتينا الفنية والشعرية. ومن ذلك الوقت نشأت بيننا صداقة توطدت أواصرها بحكم أحاسيسنا المشتركة، رهافتنا وقوتنا وكل الروابط التي تجمعنا.

ومن وقتها أيضا وأنا شاهدة على الطريقة التي تشتغل بها شانتال لوجوندر، إذ بمنتهى الحب وبلا هوادة، بتمرد بين خوف ورجاء تنحت الزجاج، تلك المادة التي تحتوي على قوة لاينضب معينها وتمثل شبه معجزة للخيال الخلاق.

تنتج شانتال بلا توقف، و تُتابع العالم عبر رؤيا داخلية فهي إذ ترسم مختلف اتجاهاتها على اللوحات الزجاجية عبر صورة مستبطنة، فإنما لتدون الصلة الوثيقة مع العالم. بالنسبة لها، لاتعتبر التمثلات سوى إحدى الوسائل المتاحة، فالنظرة التي تحط على اللوحة هي التي تملأ بالضوء وتجعل الناظر/ المتأمل للجمال الظاهر والباطن يسمو عاليا فوق ذاته و وعيه.

الحلم باللانهائي أمام البحر، مصاحبة الجدول، توليد العنزة، المشي على حافة النهر في اتجاه المياه المنسابة، التآلف مبكرا مع عالم النباتات والحقول، الشعور بنوع من الحنين البطيء أمام البحيرات الساكنة والحالمة، مصاحبة القطيع،مداعبة الماعز لخصلات الشعر عند الاحتلاب.. كلها تجارب تجعل الحلم كونا قائما بذاته.. كلها مساعي استكشافية في مجالات عدة، عملت على أن تجعل من العودة إلى الطبيعة في سن مبكرة، ملمحا راسخا في شخصية شانتال وفي حياتها ومسارها.

..." ولكني متعطشة إلى المعرفة..." قالت لي شانتال.

إن هذه المعرفة الفطرية هي التي تحول المحبة الكائنة بالقوة والمكونات الشعرية لروح الفنانة الشفيفة إلى تحفة من التناغم والبهاء.

لذلك فان كل لوحة تحمل جزءا منها، الأكثر حميمية، الأكثر ألما ربما، لكنه الأكثر صدقا دون شك، كل لوحة تكشف للعيان وللقلب ما تحمله من جمال ومن لون وضوء وشفافية، من متضادات وأحاسيس ومعان متعددة.

" أن تقذف الضوء في قلب الإنسان، هو ذاك دور الفنان" كتب شومان من حين.

إن الضوء المنبجس من أعمال شانتال لوجوندر يهدأ الشك الذي يعذب النفوس الحائرة ويزيل غشاوة القلق التي

تحجب عنها الجمال.فالعين المحدودة المتعودة على الارتطام بغياهبها تتفاجأ بضوء تفجره الفنانة بأنامل تنهل من رحيق الداخل وتستلهم الشعلة التي تنير طريق الكنوز المخفية في أعماقها.

هكذا عرفت شانتال، وهكذا استأنست بعملها وفنها.

"... واليوم لازلت متعطشة أكثر للمعرفة... لازلت أبحث عن الخيط الرفيع الذي يصلني بتلك الطريق..." قالت لي مجددا. من جهتي أيضا، أحاول أن أقبض على الطرف الآخر من الخيط ليصلني بالطريق، بالسر الذي أعتبره سر وجودي، مبدأ آلامي ومنتهى سعادتي، موضوع بحثي وهمزة وصلي بالحياة وبالآخر.

وهكذا فإن شانتال وأنا كل يسبح في رحلته وبحثه. كل التجارب التي عشناها على حدة رغم اختلافها تتشابه، تجارب مدهشة مرة، لاتصدق مرات يجمعها سر خفي وحكمة نسائية.

خلال عامين اشتغلت مع شانتال، كتبنا معا، تقاسمنا لحظات هامة واستثنائية... بسعادة تامة، قدمت بعض معارضها.

... ثم كانت المغامرة التي أقدمنا عليها معا مع صديقنا الشاعر علي عبد الله خليفة... ثم كانت "وشائج"... وليس من باب الصدفة أن تكون هذه المغامرة مع علي خليفة، قامة شعرية وتجربة تمتد على مدى أجيال، لكن أيضا علي الإنسان، إنسان القلب والوجدان،إنسان الإحساس المرهف والعطاء دون قيد ولاشرط...

منذ لقائنا الأول ، شعرنا بوشائج تجمعنا حول الجمال والشعر والجانب الإنساني فينا...

أدركنا مبكرا أن مصائرنا تتقاطع لنمشي بعض الطريق معا... فوُلدت "وشائج" من رحم رغبتنا الثلاثية في بناء شيء مشترك، فلم نجد ألطف من نور الفن و كيمياء الكلمات وسحر الترجمة للسعي في ترك بصمة صغيرة في كتاب الحياة الضخم.

وسعيا لذلك، كان انجاز شانتال لوجوندر الفني هذا ، عبارة عن 27 لوحة، منها ماهو زجاجي (17) ولوحات زيتية أو على الخشب (8)، ثم لوحتا باستيل. وهي أعمال تشترك في جمالية وشعرية محاورة قصائد الشاعر علي خليفة، مواجهة راقية يحاول أطرافها الإمساك بما لايرى والقبض على مالايقال.

وهكذا فان القصائد النابعة من القلب تناجي أعمالا فنية، تخترق القلوب بروعتها دون عناء.

وهكذا ولدت اللوحات الزجاجية :

| | | |
|---|---|---|
| – موعد | – كثافة | – اعبال |
| – فيض | – تدفق | – نافذة |
| – انحسار | – مقدمات | – عبور الصحراء |
| – الطفل و الخسوف | – انعكاس القمر | – شقيق النعمان الكبير |
| – جواهر | – مُسارَّة | – الأم |
| – دعوة للحديقة | – سير كوكبي | – شفافية الوقت . |

وكلها تعبر عن حوار داخلي في غياهب الذات حيث يختبئ النور الحقيقي. حوار يذهل بجماله، يرفع صوت القلب ويفتح دروب المجهول، حوار غريب لأن سره المخفي في ثنايا النص، وذروة اللوحات لاينكشف إلا للبصائر ورؤى القلوب.

إن اللوحات هاته صرخات حب وتمرد، فرح وألم أمام هول الظلم والوحشية، لكنها أيضا همسات أمل لإذكاء الإنساني والجمالي فينا.

بعيدا عن الهشاشة التي قد توحي بها هيئته،فان الزجاج مادة مذهلة لما تحمله من طاقات وما تتطلبه من تهيئ لاستقبال عملية كيميائية محولة تضاهي التجربة الروحية. شفافيته تؤهله لاستحالة الضوء حسب أوقات اليوم ليعكس صورة متجددة على غرار الروح المستنيرة دائمة الدأب والحركة.

إنها صور تتجدد وتتحول بتجدد النظر إليها إذ تستمد معناها من ضرورتها الداخلية.

كمرآة تعكس لكل عين ناظرة جوهرها الحقيقي، فان كل لوحة فريدة ومتعددة في آن، لا تتكرر أبدا.

إنها صور تخفي أكثر مما تظهر لأنها لاتنفتح كليا إلا للنظرة الحية المتيقظة التي تستطيع التقاط اللامرئي والإمساك بالفيض المتدفق من الداخل نحو الخارج.

أما الألوان فإنها تتخذ طابعا استثنائيا ومغايرا لتشكيلها المعهود في الذاكرة، ألوان تأخذ من الزجاج والضوء سر وجودها لتنطلق كائناتها المفترضة في فضاءات الخيال. إن اللون في لوحات شانتال الزجاجية يبدو عنصرا شعوريا أكثر منه زخرفيا إذ يتحول إلى كتلات لاتجد حاجة للاقتران بهيئة واقعية. ألوان تتخذ منحاها ومعناها من الخطوط المنسابة بعفوية في مدارات خيال الفنانة التي تتعنى في الحفاظ على نقاوة الحلم والابتعاد عن الوضاعة واللامبالاة في محاولة تخليص عالمها من قبضة الواقع المحبط.

هكذا ترى الفنانة عملها الفني : عطاء من فضاءات خيالها تضعه بكرم في متناول المتلقي. أما فيما يخص اللوحات الأخرى للديوان، أي:-

| | | |
|---|---|---|
| - كلمات | - تحول | - اجتياز |
| - انسجام | - شموس (زيت على خشب) | - إقلاع |
| - أبدي | - النسيان (زيت على قماش) | |

ثم « حلم أزرق» و « سرعة جنونية » (باستيل) ،فإنها أعمال تنتمي إلى مرحلة سابقة من تجربة شانتال الفنية. مرحلة لاتقل أهمية عن تاليتها لأنها تسائل الكائنات والأشياء عن قابليتها للتحول كما أنها تهيئ بامتياز لمرحلة الشفافية.

إن قوة الفنانة شانتال لوجوندر تتجلى في أصالة وخصوصية توجهها، في الإلمام التام بتقنياتها وأدواتها، باستعدادها الدائم لاحتضان الأحاسيس الجديدة واستبطان أصدائها. تجربتها تتسم بعفوية لايشوبها تأثير أية مدرسة أوموضة.

هوس شانتال بالتناغم بين الطبيعة والكائنات جعلها لاتتوقف عن استكشاف ماكان منذ الأزل يشكل أصل الكائن في الوجود. لهذا ، ومثل حكيم، ما فتئت الفنانة تتوسل في الصور المؤسسة للحياة ذاك المعنى الأول الذي لا ينفصل عن الجانب الرمزي الصوري واللامفصح عنه. تنتج شانتال في هذا التركيب الذي ينشد تأويلا جديدا وجذريا للكون عبر تأملية مثرية ومثيرة. وهكذا تضع أمامنا كونا بدون تناقضات ولاانقسامات، كل شيء فيه له معنى، كل شيء في انسجام تام. كل شيء يحمل رسالة ظاهرة أم باطنة، مستمدة دوما من الضرورة الداخلية. لا مجال للتصدع ولا للتفاهة... كون يستكشف الأصيل ويسعى لتأصيله.

... في «وشائج» تعيد شانتال رسم فضاءاتها وشخصياتها ملبسة إياهم تارة حلة تمثلية ترصعها دقة الحركة وبهاء

الضوء وتارة شكلا تجريديا يتناسق فيه الخط واللون في تسام تأملي.

تهتم أعمال الفنانة بأدق التفاصيل ساعية لرؤيا خاصة ووعي متجدد.

مرة أخرى، تدعونا شانتال إلى رحلة شيقة عبر «وشائج» في شاطئ الفن الذي يصبح سلوكا داخليا وسفرا لاينتهي.

انه البحث المستمد من حرية داخلية تبنيها الفنانة وتراعيها باستمرار، حرية بدونها لاشيء ينفتح وبها يصبح التطلع لما يتجاوز الكائن ويسمو به لا ينفصل عن الشمولية التي يشكلها الفنان والعمل في آن.

هكذا تشكل الفنانة لغتها من ذاتها في تواصل يصيب ويؤثر حيث كل حركة رمز، كل إيماءة إشارة، كل أثر يجد منابعه في معيش فريد وعميق وراق. كل شيء فيه يحتفي بالجمال وبالفن، فن الحياة الرفيع الذي ينير عتمة الليل الذي يلفنا، فن يفتح آفاقا لتعبير يضطلع برحابة الحياة وتناه الموت، فن يخلد الحياة ويهزم الموات، فن يبحث عن الجمال والتناغم و الشعري و الروحاني والإنساني في كل منا.

**ثريا إقبال**

مراكش. 2008

# شانتال لوجندر

## خيال متفرد

إلينا كورنيا

تنتمي أعمال شانتال لوجوندر إلى جمالية و أخلاقية متفردة.....

عندما تتناول بعض الفنانات الرسم وهن متحررات من كل تصور مسبق و قطعي فإنهن يُدِرن ظهرهن للواقع و الحياة اليومية و يبتكرن أسلوبهن المنمق الخاص. غالبا ما يكون موضوعهن المفضل هو المرأة و الطبيعة، النساء التي يرسمن لها وجوه و أجساد مبتكرة فيما الطبيعة الحاضرة كليا في أعمالهن لا تبدو حية و مضيئة كما لدى التعبيرين بل كما لو كانت تمر عبر مصفاة.

الخيال الأنثوي متفرد

تراعي لينور فينيً أناهاً التي تمتزج عضويا مع العالم النباتي و المعدني . أما في أعمال البندقية مانينا فتخترق طبيعة طيفية جسم المرأة. و إذا كانت أعمال شانتال لوجوندر سليلة النسب الشعري ذاته، فإن لوحاتها الزيتية و الزجاجية تسهم في تلك الجمالية العجيبة التي تبدو موحاة مباشرة من اللاوعي.

هي أيضا ترسم أساسا نساء ومناظر طبيعية، قد يذكرنا ذلك بالقبرافائيليين لكن عند الفنانين الإنجليز يبقى تمثيل المرأة وجسدها و مفاتنها مدين لأخلاقيةً فكرويةً و غريبة فرمزيتهم مدركة و مصاغة فيما رمزية شانتال لوجوندر و لينور فيني و مانينا تشارك خيالهم الأنثوي في الجوهر.

سلفات شانتال لوجوندر الضعيفات البنية تجهل قوانين الجاذبية، حدس و استشعار يجعل أجسادها و وجوهها تمتزج مع كينونتها، مثلما الشجرة و الأرض، و الأرض و الكون بأكمله....

ماذا تعني الأنوثة بالضبط ؟

في لوحات شانتال لوجوندر، تلتئم الألوان مثنى مثنى، فالأصفر الذي يذكر بغموض الذهب يساير الأحمر القرمزي، أما الأصفر الذهبي فيتناغم مع الزنجفوري الغريب، الأزرق أيضا يرتبط بالأصفر الذهبي الذي يتردد دوما، إذ لا شيء بريء تماما في هذا التآلف اللوني.

إنه يبتكر أضواءً وسوائل و يُوِّلد كيمياء عالمة للقوى المتحركة. إنها استعارة الطبيعة، و الطبيعة امرأة.

في طلبها للانسجام هناك نوع من التكلف التصنعي، كما أن هذا البحث التشكيلي عن المطلق يسعى إلى التوفيق بين الأضداد.

لا شيء أيضا بريء تماما في خيال المرأة لكن كل شيء فيها في خدمة الحياة.

مناظرها تتخذ بعدا لا زمانيا و تعبر عن شيء رؤيوي، عن عالم في حالته الأصلية، فالفنانة تسمي أعمالها « إلهام » و « وادي الأمل ».

في لوحاتها الزجاجية يحط ربيع الصقيع على نتوء الجبال و الوديان حيث يبدو هذا العمل الرائع على المادة كأنه مجتث من جليد ساحلي أو قطعة من الطبيعة قبل مجيء الشمس، قطرات مثل قطرات المطر ستتحول إلى قطرات دموع لتعكس صورة عالم سيأتي.

**إلينا كورنيا**

رومانيا ـ 2008

## روابط فنية
## شانتال لوجوندر

عندما اجتاز الشاعر علي عبد الله خليفة و الشاعرة ثريا إقبال عتبة منزلي – محترفي في نوفمبر 2006، نُسِجت أواصر فنية وصداقية بيننا في اللحظة ذاتها.
تفاهم فوري، تواصل رهيف حول أعمالي ،طرق جابها كل منا كُتب لها في تلك اللحظة من اللقاء أن تتقاطع في نفس المفترق.
بعد ذلك، في المساء،كنت أنصت باهتمام لنصوصهما بالعربية ثم بالفرنسية.
علي عبد الله خليفة، بإنشاده النافذ جعلني أحس فورا ببحثه القلق و بأسئلة روحه.
ثريا إقبال بتأكيد شاعريتها جذبتني دون رجعة إلى يقين وجودها لنزع الحجب عن سر الحياة و الوقت المتسرب.
الاثنان يشاطراني العطش للمعرفة عبر العمل المنشود، الاثنان يضعان معي، كشرط أولي للإبداع التفاني في العطاء وضرورة الإخلاص المطلق.
من وقتها نمت رغبتنا المشتركة يوما بعد يوم، و إنها لسعادة كبرى أن يسفر تواصلنا الذي لم ينقطع البتة عن هذا العمل المشترك كانعكاس للأواصر التي تربطنا.

*شنتال لوجندر*
باريس ـ 2007

## علي عبد الله خليفة:

- صوت شعري بارز في حركة الشعر العربي الحديث ، وشاعر أسهم في التأسيس لحركة الشعر البحريني الحديث.
- جاء من مدينة المحرق بمملكة البحرين حيث البيئة البحرية التي كانت مهدا لأنشطة الغوص على اللؤلؤ والفنون الغنائية المرتبطة بها.
- رئيس المنظمة الدولية للفن الشعبي www.iovworld.org ـ فرع البحرين منذ العام 1988.
- رئيس مجلس إدارة الملتقى الثقافي الأهلي www.almultaqa.org منذ العام 1994.
- عضو مجلس كلية الآداب بجامعة البحرين 1998 - 2008.
- مدير إدارة البحوث الثقافية بالديوان الملكي بمملكة البحرين منذ العام 2001.
- الأمين العام المساعد لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بالمنظمة الدولية للفن الشعبي (IOV) العاملة تحت مظلة اليونسكو منذ مايو 2007.
- المدير العام لأرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر منذ نوفمبر 2008.
- رئيس تحرير مجلة (الثقافة الشعبية) www.folkculturebh.org منذ يناير 2008.

**الإصدارات الشعرية :**

- أنين الصواري ـ دار العلم للملايين ـ بيروت 1969.
- عطش النخيل ـ دار العلم للملايين ـ بيروت 1970.
- إضاءة لذاكرة الوطن ـ دار الآداب ـ بيروت 1973.
- عصافير المساء ـ مجموعة شعرية بالعامية (ألبوم يحوي الديوان مطبوعا رفقة أربعة أشرطة كاسيت عليها القصائد مسجلة مع الموسيقى بصوت الشاعر) ـ دار الغد ـ البحرين 1983.
- في وداع السيدة الخضراء ـ دار الغد ـ البحرين 1992.
- حورية العاشق ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت 2000.
- يعشب الورق مختارات شعرية ـ أسرة الأدباء والكتاب ـ البحرين 2005.
- لا يتشابه الشجر ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت 2005.
- على قلب واحد ـ (ألبوم يحوي الديوان برفقة قرص مدمج CD بصوت الشاعر وموسيقى من تأليف محمد حداد)، الأيام للنشر والتوزيع. البحرين 2005 .
- قمر وحيد ( Lune Solitaitre ) مختارات شعرية ترجمها إلى الفرنسية المعطي قبال. دار NON LIEU. باريس 2006 م.

**أوبريت :**

- صانع المجد، ألحان الفنان جاسم الحربان – إنتاج وزارة التربية والتعليم لعيد العلم. البحرين 1996 .
- انتظرناك طويلا ، ألحان الفنان خالد الشيخ – المؤسسة العامة للشباب والرياضة. مملكة البحرين 2001 .
- شمالي الروح، ألحان الفنان خالد الشيخ – محافظة مدينة المحرق. مملكة البحرين 2002 .

**الدراسات و الأبحاث:**

- ديوان حسن الفرحان، تحقيق وشرح وتقديم – 1980 .
- فنون الموال، بحث ميداني لجمع وتحقيق وتوثيق نصوص الموال في الخليج العربي – 1971 .
- خليج الأغاني ، بحث ميداني لتوثيق الأغاني والرقصات الشعبية في الخليج العربي – 1979 .
- أشكال ومضامين النصوص الشعرية في فن (الفجري) – 2001 .
- الشعر العامي الحديث والتقنيات الجديدة – 2002 .
- استلهام التراث الشعبي في الأعمال الإبداعية – 2003 .
- تجربة تأسيس وإغلاق مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية – 2006 .
- الفنون الشعبية . . انسجام وتناغم شعوب الأرض – أكتوبر 2007 .
- الشكوى من الزمان وذم الخلان في فن الموال 2009.

**الجهود والمواقع الثقافية:**

- التحق وهو طالب بالثانوية دليلا للبروفيسور الدانماركي بول روفسنج أولسن أستاذ علم موسيقى الشعوب(Ethnomusicology) في جولته الميدانية لجمع الموسيقى الشعبية في البحرين 1963
- رافق البروفيسور السويسري سايمون جارجي في بحثه الميداني لجمع نصوص الأغاني الشعبية في البحرين عام 1966
- أسس في البحرين عام 1974 دار الغد للنشر والتوزيع.
- أسس في البحرين عام 1976 المجلة الأدبية الفصلية ( كتابات ) وتولى رئاسة تحريرها.
- تولى وضع وثائق تأسيس مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية عام 1982 وأشرف على تأسيسه وتولى إدارته لخمس سنوات.
- أسس بدولة قطر عام 1984 المجلة العلمية المتخصصة (المأثورات الشعبية) وتولى رئاسة تحريرها لثلاث سنوات.
- تولى عام 1989 مهام تأسيس الأمانة العامة للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بمملكة البحرين ومهام الأمين العام المساعد للمجلس للفترة من 1989 – 1997.
- أسس في البحرين عام 1994 لإصدار مجلة (البحرين الثقافية) التي تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وتولى إدارة التحرير بها حتى عام 2000.
- تولى مهام مدير إدارة الثقافة والفنون بوزارة الإعلام للفترة من 97 – 2000
- تولى مهام تأسيس إدارة البحوث الثقافية بالديوان الملكي بمملكة البحري 2001 ويتولى إدارتها حاليا.
- شارك في عدد من المؤتمرات والملتقيات الأدبية والفكرية داخل وخارج البلاد العربية.
- أحيا العديد من الأمسيات وشارك في عدد من المهرجانات الشعرية العربية ( مهرجان الشعر العربي ، المربد ، جرش ، ملتقى الشعر العالمي ، خريف فرنسا ، ملتقى رومانيا للشعر العالمي).
- شارك في اجتماعات الخبراء غير الحكوميين لوضع الاتفاقية الدولية لحماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة بباريس بتكليف من

منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم 1978 (UNESCO).
- شارك في اجتماعات الخبراء غير الحكوميين لوضع اتفاقية عربية نموذجية لحماية التراث الشعبي، بتكليف من المنظمة العالمية لحماية الملكية الفكرية 1983 - W I PO.
- شارك في وضع مشروع الخطة الشاملة للثقافة العربية بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1984 – ( ALECSO ).
-اختيرت نماذج من قصائده وأدرجت ضمن المقررات الدراسية على طلبة الإعدادية والثانوية العامة بمدارس البحرين.
-ترجمت مختارات من أشعاره إلى الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والبولندية والرومانية والفارسية.
-تولى تحرير وصياغة ( الاستراتيجية الوطنية للشباب بمملكة البحرين ) عن تقارير ثمانية خبراء وطنيين 2005.
-انتخب في مايو 2007 أمينا عاما مساعدا لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا للمنظمة الدولية للفن الشعبي IOV.
-أسس في البحرين المكتب الإقليمي لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا للمنظمة الدولية للفن الشعبي ـ سبتمبر 2007 .
-أسهم في تأسيس مهرجان البحرين الدولي للفنون الشعبية، بالتعاون مع وزارة الثقافة والإعلام بمملكة البحرين ـ ديسمبر 2007.
-أسس في البحرين (أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر) ـ نوفمبر 2007.
-أسس في البحرين لإصدار (الثقافة الشعبية) ، مجلة فصلية علمية متخصصة بالتعاون مع المنظمة الدولية للفن الشعبي.

***أهم الدراسات والأبحاث التي تناولت أعماله الشعرية :***

- صيادو اللؤلؤ في شعر علي عبدالله خليفة، رسالة ماجستير بالفرنسية ـ لجاكلين هوفر، مقدمة إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية الآداب بجامعة جنيف، بإشراف البروفيسور د . سايمون جارجي، جنيف ـ سويسرا، 1972 .
-الشاعر علي عبدالله خليفة في ضوء اتجاهات الشعر العربي المعاصر (رسالة ماجستير) الدكتور عودة الله منيع القيسي بإشراف الدكتورة سهير القلماوي قدمت إلى معهد البحوث والدراسات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية، نشرت في كتاب " دراسات في أدب البحرين" ، الصادر عن المنظمة نفسها ـ القاهرة 1979.
-علي عبدالله خليفة . . من أنين الصواري إلى إضاءة لذاكرة الوطن ـ الدكتور ماهر حسن فهمي ( فصل من كتاب " تطور الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج " 1981).
-قيثارة المعاصرة بين الذات والموضوع . الدكتور سليمان العطار، مجلة (البحرين الثقافية) العدد الخامس، يوليو 1995، ص 66، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ البحرين.
-أفكار في إبداعات الشاعر البحريني المعاصر علي عبدالله خليفة ـ المستشرقة البولندية البروفيسور دكتور بربارا ميخالاك بيكولسكا والدكتور يوسف شحادة ـ مجلة الدراسات العربية والإسلامية ـ العدد الثامن 2000 ـ جامعة ياجيللو نسكي ـ كراكوف ـ بولندا- زهرة اللوتس- دراسة بلاغية في شعر علي عبدالله خليفة- الدكتورة وجدان عبد الإله الصائغ- الملتقى الثقافي الأهلي- البحرين 2001.
-علي عبدالله خليفة وظاهرة البحر في شعره ـ رسالة ماجستير ـ عائشة سلمان السياس، مقدمة إلى معهد الآداب الشرقية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة القديس يوسف، بإشراف البروفيسور د. هنري العويط ، بيروت ـ لبنان، 2003.
-في عالم علي عبدالله خليفة الشعري : نظرات تحليلية نقدية ودراسة تطبيقية ، للدكتور : يوسف شحاده والبروفيسور : بربارا ميخالاك بيكولسكا. دار عبد المنعم ناشرون ، حلب ـ سوريا 2008.

***الجوائز :***

- جائزة الشعر الأولى – مجلة ( هنا البحرين ) 1966.

- درع الإبداع – في يوم الشعر العالمي 2004 عن مجمل نتاجه الشعري ودوره الريادي في حركة الشعر البحريني الحديث- أسرة الأدباء والكتاب البحرينية.
- الجائزة العالمية الكبرى في مجال الفنون – الأكاديمية العالمية للشرق والغرب – رومانيا 2006.

***الشهادات الأكاديمية الفخرية:***

- دكتوراه فخرية في الآداب من جامعة جوسيبي سيكلونا الدولية - أمريكا 1987.
- الدبلوما الشرفية للأكاديمية العالمية للشرق والغرب في مجال الفنون – رومانيا 2006 .

***الأوسمة:***

- وسام الكفاءة مقدم من الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة – مهرجان الشعر العربي 1973.
- وسام الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البحرين الراحل – البحرين 2000.
- وسام الكفاءة من الدرجة الأولى مقدم من حضرة صاحب الجلالة ملك مملكة البحرين - 2002.

***أرقام الاتصال :***


- الاتصال البريدي : ص ب 5050 المنامة – مملكة البحرين.
- الفاكس : 773935 17 ( 973 )

البريد الإلكتروني : akhalifa44@hotmail.com

الموقع على شبكة الإنترنت : www.sawary.net


## شنتال لوجندر شنات

تنحدر شانتال لوجوندر شنات من منطقة الدردوني بفرنسا. استقرت بغرونوبل سنة 1979 و بدأت تُدَرِّس الفنون التشكيلية منذ 1984. بعد دراستها بعلم النفس،أنجزت عملا تشكيليا حول حياة كاميل كلوديل سيحدِّدمصيرها الفني و مسارها المهني ابتداءً من 1987.

تنجز شانتال لوجوندر في محترفها أعمالا من الصباغة و الحفر والنحت و مؤخرا لوحات زجاجية تُوقعها باسم شنات. « استعادة الشفافية، الضوء الذي يربطنا بالفضاء... تحرير الزجاج من رصاصه، تفجير النور بدون أدنى قيد... »

أصدرت عدة كتب فنية مع كتاب وشعراء من فرنسا ومن جميع أرجاء العالم كانت المبادرة لإقامة فعاليات « كلمات فنانين من أجل السلام» بجهة غرونوبل بباريس OAT Création تنجز أيضا سُجادات معاصرة بتعاون مع عالم جديد يفتح أبوابه أمامها اليوم: إنه عالم الشعر العربي و معه لقاءات جميلة و إبداعات جديدة.

في عملها، غالبما تشتغل شانتال لوجوندر في حوار مع الكتابة و الشعر. إنها بالتأكيدتلاقحات فنية حقيقية. أعمال شنتال لوجوندر تترجم المواجهة الرفيعة بين عالمين، بين كائنين. لا يهم في فضاء الإبداع الحقيقي تراتبية إنتاج النص أو العمل الفني. ما يهم فعلا هو الإنتاج الذي ينشأ عنهما. « لقاء الشعر و الصورة، اللون و المادة يشكل سبلا لتجاوز الذات و للسعي الى الآخرسواءً بالنسبة للشاعر أو للفنان التشكيلي .

***إصدارات و كتب فنية***

1988 : جسد في حركية

أعمال حول نصوص آن ماري باسكولي و كريستيان بليز للبنيالية السادسة للشعر، بيت الشعر رون آلب

أسَّسَت في 1998، 1999، 2002 فعاليات لإقامة « كلمات فنانين من أجل السلام» . في 1999، زينت بلوحاتها مجلة «باكانال» لبيت الشعر رون آلب تحت عنوان « كلمات السلام .

- رجل الصمت ( كتاب فني) : لوحات شانتال لوجوندر، نصوص كلودين بيرتران
- موشحات الخريف ( كتاب في طبعة عادية): لوحات شانتال لوجوندر، نصوص: بيير فيوجي، ترجم إلى اللغة التشيكية من طرف جانا بوكسبرجي و صدر عن دار النشر بروتيس ببراغ.
- أحلام (كتاب فني): نصوص و لوحات شانتال لوجوندر .

: 2001

- نسيج حياة : منحوتات شانتال لوجوندر،نصوص بيير فيوجي (دار النشر لزيل أون فوبيل).
- آخر عقاب : رواية لهرفي بيانفي، أعمال فنية لشنتال لوجوندر ( دار النشر طهو بغرونوبل)
- لغز المستقبل : لوحات شانتال لوجوندر،نصوص كلودين بيرتران، كتاب فني حائز على جائزة سان دوني كارنو ( الكبيك) ، دار النشر بروتيس ( براغ) الترجمة التشيكية لجانا بوكسبرجي.
- أوريفي: أعمال شانتال لوجوندر، نصوص: جاك كوشرون (إصدار بيت الشعر رون آلب).

:2002

- نشيد المرور:كتاب فني، حفر على النحاس لشنتال لوجوندر، نصوص : كو وي كان.
- الشجر في فصله : لوحات شانتال لوجوندر،نصوص ريشار ساج، كتاب فني صدر بدار النشر بروتيس ( براغ) الترجمة التشيكية لجانا بوكسبرجي.
- الشجر في حد ذاته : نصوص شانتال لوجوندر، دار النشر ألزيو فانتلفر غرونوبل.

: 2004

- وقت العبور : لوحات شانتال لوجوندر،نصوص: كوي وي كان ، إصدار بيت الشعر رون آلب.

: 2005

- عبور : كتاب زجاجي في ذكرى الشاعر كو وي كان، كتاب فني برونزي في مهرجان الكتب الفريدة بآلبي ( مقتنيات المكتبة)
- هجرات ( كتاب فني ) : أعمال شانتال لوجوندر،نصوص دانييل ماسون صفحات فضية لمهرجان الكتب الفريدة بآلبي ( مقتنيات المكتبة).

: 2006

- مذكرات ماء : 26 لوحة زجاجية في حوار مع 46 شاعر من 11 دولة بمجلة ً باكانالً الصادرة عن بيت الشعر رون آلب.

: 2007

- بين رجفة و امتلاء : نصوص و لوحات زجاجية لشنتال لوجوندر كتاب برونزي لمهرجان الكتب الفريدة بآلبي (مقتنيات المكتبة) مقتنات الكتب الفنية : من طرف مجموعة من المكتبات.

معارض حديثة:

: 2000

- طلبية حكومية : لوحة زجاجية" نبع الحياة" لدير لمنيم بسان مارتان دير، إزير.

: 2001

- قصر سان جان شيبي تولان ، إزير
- قصر موتون سان برنارد. هوت – سافوا.
- المهرجان العالمي للشعر بتروا ريفيير، الكبيك.

: 2002

- قصر ديباي، طونون، هوت- سافوا.
- مولان دي أكاسيا فونتانيل- إزير.
- ثلاثة فعاليات للسلام" كلمات فنانين من أجل السلام" بتعاون مع تروا ريفيير ومكتبة مركز المدينة بغرونوبل، غرونوبل الدولية.

: 2003

- طلبية حكومية لمريمية، مدينة بون دو كلي ، إزير.
- اتحاد جمعيات الأدب و الفنون بالفيتنام، هانوي.
- مطاحن فيلانكور، مدينة بون دو كلي.

: 2006

- حديقة اللامرئي" متحف أنطوان لابيي (إزير) اقتناء لوحة" باب الحديقة".
- مكتبة رومان رولان. إزير .
- مذكرات ماء" لوبون باستور. إزير .

: 2007

- متحف ريفرمونت : اقتناء لوحات" تاريخ الأعشاب الصالحة "" تَوَهان ساحلي" و" شقيق النعمان الكبير" .
- مكتبة نافذة الكتاب بباريس.

## نور الهدى باديس

- مبرزة من الجامعة، دكتورة في الآداب.
- أستاذة بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس- جامعة تونس.
- عضوة فريق البحث في البلاغة والحجاج بكلية الآداب والانسانيات بمنوبة.
- صدرت لها دراسات في البلاغة والنقد الأدبي منها على وجه الخصوص:
  - بلاغة المنطوق وبلاغة المكتوب ، نحو مقاربة جديدة للبلاغة العربية القديمة، مركز النشر الجامعي ، تونس ، 2006.
  - دراسات في الخطاب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، 2008.
  - بلاغة الوفرة وبلاغة الندرة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت 2008.
- إضافة إلى مقابلات عديدة في دوريات عربية متخصصة.

## إلينا كورنيا

ولدت سنة 1959 بكلوج في رومانيا. ناقدة فنية. مارست أيضا تدريس تاريخ الفن بجامعة نانتير و تاريخ الهندسة المعمارية ب FEMIS بباريس. ألّفت أول دراسة وافية حول ريمون هاينس تشارك في عدة مجلات منها ELLE بباريس و . Artension تكتب بانتظام مقدمات كتب فنية.... مساعدة مثمن معرض امرأة أنت هناك الذي أقيم بمجلس الشيوخ من مايو إلى سبتمبر 2007.

## دافيد دومورتييه

ولد دافيد دومورتيي سنة 1967.

يعيش و يشتغل بباريس.

- أصدر خمسة كتب بدار النشر Cheyne منها:« مهدي يضع أحمر الشفاه» ،» هؤلاء الناس أشجاراً» .
- وكذلك كتاب بدار النشر Le Temps des cerises تحت عنوان « رسومات الميترو» و« مزمار القربة» .
- يشرف على ورشات للكتابة في الأوساط المدرسية و المكتبات و الجمعيات.
- يصدر له قريبا:»يا و يو» بدار النشر Motus.

## ثريا إقبال

شاعرة ، مترجمة وباحثة في التصوف الإسلامي

**الشهادات :**

الإجازة في العلوم الاقتصادية شعبة الاقتصاد القياسي بكلية الحقوق و العلوم الاقتصادية بجامعة القاضي عياض ، بمراكش. المغرب

دبلوم الدراسات العليا شعبة الاقتصاد وتدبير المقاولات بكلية الحقوق و العلوم الاقتصادية بجامعة القاضي عياض ، بمراكش. المغرب

بأطروحة حول موضوع: النفوذ داخل المؤسسات Le pouvoir dans les organisations

دبلوم كلية علوم التربية جامعة محمد الخامس. الرباط ،بأطروحة حول موضوع: الصورة اللاواعية للجسد عند الطفل

L'image inconsciente du corps chez l'enfant

تشتغل حاليا حول موضوع : اقتصاد الولاية و تدبير المقدس من خلال المدرسة الأكبرية

L'économie de la sainteté et la gestion du sacré d'après l'école Akbarienne d' Ibn Arabi

**الإصدارات**

الترجمة

**من العربية إلى الفرنسية :**

اعتزال قلب: ديوان شعر لمنعم الفقير بدار النشر لارماتان، باريس 1999 ( الطبعة الأولى)

و بمنشورات A.C.M 2000 ( الطبعة الثانية)

استسقائات طوفانية ديوان شعر لإدريس العمالي بدار النش ، الدار البيضاء، 2000

نادرا: ديوان شعر لمنعم الفقير بدار النشر مرسم، الرباط،2002

أنظر إليك: : ديوان شعرلمرام المصري بدار النشر مرسم، الرباط،2003

«الحمار و البقرة» و « أشميسة لالا» ديواني شعر للأطفال لأحمد الطيب لعلج بدار النشر مرسم، الرباط، 2006

ورق عاشق: ديوان شعر لفاتحة مرشيد بدار النشر مرسم، الرباط،2007

**من الفرنسية إلى العربية**

ترجمة رواية Allah n>est pas obligé للكاتب أحمدو كوروما الحائزة على جائزة «كونكور 2001» عن المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة، مصر 2005

الإصدارات الشخصية

ديوان شعر Propos précoces عن دار النشر Marsam بالرباط المغرب 2003

ديوان شعر l'épître du désir عن دار النشر أواصر بمراكش المغرب 2004

ديوان شعر Fulgurations عن دار النشر Marsam بالرباط المغرب 2007

**المشاركـات :**

شاركت في فعاليات ونشاطات عديدة محلية و وطنية و دولية حول الشعر و الترجمة و التصوف

الأنطلوجيات

صدرت أشعارها في مجموعة من الأنطلوجيات المغربية و الدولية منها:

مجلة «باكانال» عدد38 الصادرة عن بيت الشعرلجهة رون آلب بفرنسا حول موضوع « الخمريات» 2005

أنطلوجية « المغرب بعكس الضوء» ، دار النشر مرسم ، الرباط 2005

مجلة «باكانال» عدد40 الصادرة عن بيت الشعرلجهة رون آلب بفرنسا حول موضوع «الماء » 2006

أنطلوجية مهرجان « ليالي الكورتي دي أرجس» ، رومانيا 2006

أنطلوجية مهرجان «تيرانوفا» ميتز و اللورين، فرنسا 2006

**المهــام :**

مؤسسة جمعية مراكش الثقافية A.C.M التي تعنى بالتبادل الثقافي بين المغرب والدول الأخرى .

نائب رئيس جمعية منية مراكش لإحياء وصيانة تراث المملكة المغربية التي تنظم سنويا مهرجان مراكش الدولي للقاءات و الموسيقى الصوفية.

عضو مؤسسة ديوان الكتبية: حدائق المعرفة التي تعنى بحِرف الكتاب و الكُتبِيِّين .

2005
Chanath

# حتى أراك

# Que je te voie

زرعتني الأرضُ عشباً
في طريق الكلماتْ
وانفجاراً في عذابات الحروفْ
عندما قلتُ : هَضيمٌ أنت ياهذا الوَطَنْ
وجميلٌ كل شيءٍ في تباريحِ هواكْ
فاعْتَصِرْ عمريَ ماءً للنَّخيل
فأنا سُقيا ثَراكْ
ودماءُ الأهل من جيلٍ لجيلْ
صَنَعَتْ منها الأغاني والسُّيُوف
لمعةَ البرقِ وميلادَ اللُّغات
فانتفضْ، حتّى أراك
واغسل الجرحَ بماء البحرِ ، واسْكُنْ
خيمةَ النارِ
ستلقاني ، على كُلِّ الجِهات
زرعتني الأرضُ عشباً
في طريق الكلمات
وانفجاراً في عذابات الحروف.

# *Que je te voie*

حتى أراك

Herbe
la terre m'a plantée
sur le chemin des mots
explosion
dans les supplices des lettres
quand j'ai dit : lésée tu es, ô patrie
et tout est sublime dans les tourments de ta passion.
Presse mon âge aux palmiers, breuvage,
pour ta terre je serai arrosage.
Le sang des proches
de génération en génération
Épées et chants
En ont fait fulgurations
et naissance des langages.

Frissonne ! Que je te voie,
purifie la blessure à l'eau de mer
et loge sous la tente de feu.
Tu me trouveras dans toutes les directions.
Herbe
la terre m'a plantée
sur le chemin des mots
explosion
dans les supplices des lettres

# مُنتهى

# Paroxysme

لماذا يغردُ صوتُكِ في مَسمَعي
ويمتدُ حقلُ الزنابقِ حتّى المدى ؟!
لماذا أحسُّ بأنيَ حينَ أسافرُ
أطيرُ إليكِ، وحينَ أعودُ
أحسُّ بأني رجعتُ إليكِ ؟!
وإني، إذا باشتياقي اشتعلتُ
إلى المُنتهى
أحسُّ بأن اشتياقي إليكِ ابتدا ؟!
لماذا ؟!
لماذا تكونينَ منْ بينِ كل النساءِ
شذىً للورودِ
وأرجوحةً للندى ؟!
وأن احتياجي إليكِ
فضاءٌ لطيرٍ شغُوفِ الجناحينِ
في حَبْسهِ مُسْهَدا.

# Paroxysme

# منتهى

Pourquoi ta voix murmure-t-elle dans mes oreilles ?
Pourquoi le champ des lys s'étend-t-il à l'infini ?
Pourquoi m'émouvoir quand je voyage
Je vole vers toi et quand je rebrousse chemin
c'est assurément vers toi que je reviens !
Et lorsque de mon désir je me consume
jusqu'au paroxysme,
pourquoi ma flamme reprend-elle de plus belle ?
Pourquoi serais-tu, d'entre toutes les femmes,
la senteur des roses
et le hamac de la rosée ?
Pourquoi mon besoin de toi
est espace où, les ailes languissantes,
un oiseau veille dans sa prison ?

# قرنفلة الوقت

# L'œillet du temps

ها هُنا، في حَضرة الوردِ اغتسلنا
واقتسمنا شجرَ العُمرِ
ودارتْ بيننا لهْفةُ الماءِ
وأشواقُ الصحارى
كلُّ نبعٍ كانَ يَروي قصةً
ويُداري مَسّ شيءٍ
نابضٍ في القلبِ، مَستوراً ، مُدارا
آهِ ، يا بوحَ الحيارى
يا حديثَ الأعينِ النُّجلِ
قرنفلاتُ الوقتِ لا تبدي جهارا
أيُّ سيفٍ لكِ في الغِمْدِ، تعالي
ليسَ عندي غيرَ ماءِ اللهِ أسْقيهِ
لأطيارٍ وغزلانٍ سُهارى
مالَ غصنٌ من دوالي العشقِ مَفتوناً
وألقى ثمَرا يَقطرُ خمراً
لم تذقْ منهُ أباريقُ السُّكارى
فَهَلُمّي ، نَجمةَ الصُّبحِ ، تعالي
نجترحْ لحناً مُصَفىّ
نُوسِعُ الليلَ . .
وعنْ كل نجومِ الليلِ ، حباً، نَتوارى.

Chamaldi
2005

# L'œillet du temps

# قرنفلة الوقت

C'est ici, en présence des roses que nous nous sommes lavés
et que nous avons partagé l'arbre de la vie.
La fougue du flot nous a rassemblés
et le désir des déserts.
Chaque effusion racontait une histoire
et évitait de frôler dans le cœur quelque chose
de frémissant,
de sournois et de caché.
Ô aveux des âmes désemparées,
Ô propos des yeux ensorcelants !
Les œillets du temps ne se révèlent guère en plein jour.
Quelle épée as-tu dans le fourreau, allons !
Je n'ai que l'eau de Dieu pour abreuver
les volatiles et les biches insomniaques

Envoûtée, la vigne d'amour
oscilla
et délivra
un fruit suintant un vin
réfractaire aux cruches des enivrés
Alors, étoile du matin
allons
perpétrer
une mélodie épurée,
amplifier l'obscurité
et nous dissimuler
amoureusement
à toutes les étoiles de la nuit.

# في وداع السيّدة الخضراء

# *L'adieu à la dame en vert*

عندما يُغرقك المدُّ،
ويَمحو ذكركِ الإسْفلتُ
تبقينَ بجوفِ التُربةِ السّمراءِ عرقاً . .
واهناً، ذكرى حياةٌ
لملايينِ البواسقِ، سيّدات الشجرِ المُعْطي
وكنتِ أمرأةَ البحرِ، يَذوبُ البَحرُ وجْداً
عندما يَجثُو كليماً . .
يَغسلُ الأقدامَ . . حباً، ثم يَرحَلْ
فإذا عادَ، شربْتِ دمعَهُ المالحَ، كنتِ
خادمَ البيتِ، مَلاذَ المُتعَبِ المُضنى وأمّ الفقراءْ.

***

حَيثما امْتدّتْ على الأرضِ فلاةٌ
ثابتٌ أصلُكِ، فرعاءُ،
رذاذُ الغيمِ يُقرئكِ سَلامَ النهْرِ والبحرِ وأجْرامَ السماءْ

***

ما الذي يُمكنُ للطفلِ الذي يَغفُو على حُضني أقولْ
عندما يلمح ظلاً لبقاياكِ بأطرافِ الحقولْ
ويُغنّي بعضَ ما جُنَّتْ به الدنيا، وماتتْ
من تباريحِ أساهُ الشُعَراءْ؟
ما الذي يمكنُ يا سيَّدتي الخضراءُ،
والدنيا تغادرُ لونَها الأخضرَ،
والأرضُ التي كانَ لها عُرسُ البذارْ
قتلتْ أشواقَها الحرّى
وقالتْ للرجالِ الجُوفِ: هاتوا
كل ما تبقونَ إسْمَنتَ وقارْ؟!

# L'*adieu à la dame en vert*

Quand bien même la marée te noierait
et que l'asphalte effacerait ton souvenir,
tu demeurerais
dans les entrailles de la terre bleutée
artère éreintée, trace de vie
pour des milliers de palmiers, seigneurs des arbres donateurs.
Tu étais dame de l'océan
L'océan se tord de passion
lorsque, blessé, il se prosterne
purifie les pieds,
par amour, puis disparaît
À son retour,
tu siroteras les larmes salées.
Esclave des lieux tu étais, refuge des pauvres accablés
mère des indigents.

Là où s'étend sur terre le désert
ta racine reste fixe et ta chevelure fournie…
La bruine des brumes te transmet le salut du fleuve,
de l'océan et des corps célestes.

Que pourrait l'enfant qui somnole dans mon giron, me dis-je ?
Quand il verra l'ombre de tes débris dans les recoins des champs
et quelques déraisons, des calamités meurtrissant les poètes, il fera un chant

Que faire alors, Dame en vert,
quand la vie déserte sa couleur émeraude
et la terre, jubilant d'avoir été ensemencée
étouffe ses désirs embrasés
et ordonne aux hommes creux : Donnez
autant de ciment et bitume que vous voulez !

# في حضرة من أهوى

# En *présence de l'adoré*

جلستُ إلى بحر نورِكَ
في هدأة الليلِ . .
ذاتَ مساءْ
وكانَ خريفُ الأغاني
يمدُّ على الأفقِ خيطَ ابتسامٍ ،
وخيطَ بكاءْ
نشيجٌ منَ العمرِ ، يشبهُهُ الضّحْكُ ، لكنهُ
ليسَ بالضّحْكِ، يُوجعُ، نزفُ دماءْ .
وقد كنتَ كالعهدِ، في كلِّ شيءٍ خبيئاً
بَهيَّ الوضاءةِ، يَسطعُ سيفُكَ فينا،
ويَسطعُ قلبُكَ وجهَ نبي
يُغيِّرُ في الزّمنِ المُرّ طعمَ العطاءْ .

***

وأفتحُ في الظلماتِ عليكَ المنافذَ
كيْ أجتلي منكَ سراً، ولكنّ روحي،
تُعذّبُ في اليُتمِ حيناً ، وحيناً
يعذبُ روحيَ منكَ جفاءْ
وأصغي، خُشوعاً، إلى العَزفِ منكَ
على وترٍ، لا ينامُ ، يقلّبُ سيفاً
شديدَ الدّهاءْ
وأرنو، فأنتَ هناكَ تنادي ،
فيغمرُ نورُكَ قلبي
وأصحو عليكَ احتمالاً،
يقودُ إليه قطيعُ ظباءْ .

Chanath
2006

# En *présence de l'adoré*

## في حضرة من أهوى

Assis face à l'océan de ta lumière
dans la sérénité de la nuit…
un beau soir
que l'automne des chants
étendait à l'horizon un fil de sourire
et un fil de sanglot,
gémissement de l'âge, on dirait un rire
mais ce n'est pas un rire, une douleur,
une effusion sanguine.

Tu étais, comme à l'accoutumée, en tout discret,
rayonnant de splendeur, ta bravoure nous éblouissait

L'éclat de ton cœur
à la face d'un prophète
transformait
dans les temps amers le goût du don

Dans les ténèbres
j'ouvre sur toi des lucarnes
pour percer un secret, mais mon âme
souffre tantôt d'esseulement
tantôt de ton éloignement.
En toute vénération
j'écoute ta mélodie incessamment aiguisée,
je tourne le regard là où tu appelles.
Ta lumière inonde mon cœur
et je me réveille en toi
éventualité
vers laquelle me guide un troupeau de gazelles.

# غياب

# Absence

تُغادرُ الشطآنَ في خجلٍ
وترتدُّ منسحباً
تُلَمْلِمُ الموجَ إثرَ الموجِ
تَضاءلَ عنفوانُ الماءَ ، والصّخرُ يشهدُ
للبحرِ في مدِّهِ سَطْوَةً وتعالي .
***
الراسياتُ على ضفافكَ أسْلَمَتْ أطرافَها
للرَّملِ بالقاعِ ، هذي القلوعُ على الشواطئِ
حزنُها يبدِّدُ الوقتَ، مَركوناً
وبيوتُ صغارِ الكائناتِ خَوالي .
***
يا أبانا ، وقلبَنا المترعَ بالوجدِ
يا عُمرَنا المتشظّي،
لماذا تغادرُ البيتَ . .
وتسحبُ أطرافَكَ مُنسَلاً
تشربُكَ الأبعاد . . ؟!
بغتةً ، ينسربُ الحُلْمُ ، ويبدأُ في التّلاشي
ضَجيجُ / هدُوءُ حضورِكَ في مدى الأيام
منْ يا تُرى يأذنُ بالرحيلِ إليكَ ،
فتقفلُ راجعاً،
ويظلُّ يَهجسُ بالوُعودِ غيابُكَ المتنامي ؟؟!

# Absence

# غياب

Timidement
tu désertes les rivages

Puis tu reviens reclus,
rassemblant les vagues l'une après l'autre
La puissance de l'eau s'amincit.
Le rocher atteste face à la mer dans sa levée
pouvoir et transcendance

Les navires au mouillage sur tes rivages
confient leurs extrémités au fond des sables.
Ces voiles affligés sur le littoral
dispersent le temps retiré
et abandonnent les refuges des petites créatures.

Ô Père, notre cœur éprouvé par l'ardeur,
notre âge brisé,
pourquoi quittes-tu le gîte
et retires-tu discrètement tes pans
vers le breuvage de l'éloignement ?
Subitement, le rêve s'écoule
Le doux vacarme de ta présence
commence à s'anéantir
au fil des jours.

Qui t'a autorisé ainsi à partir
et à rebrousser chemin ?
Ton absence grandissante regorge
de promesses.

# أقحوانة النّدى

# *Marguerite de rosée*

نعيماً ..
يداعبُكِ الرذاذُ
وأنسامُ ليلٍ تضمَّخَ عطراً
وأسْدلَ أستارَهُ العاشقةْ
إنَّهُ الماءُ ،
يُلامسُ حُوريةً تَفُكُّ أزرارَها
وتمنحُ هذا الحريرَ بكارةَ أشواقِها الحارقةْ .

***

نعيماً ..
وخُصْلاتُ شعرِك لما تجفُّ ،
ولما تغادرُها نكهةُ العودِ والزّعفرانْ
وأنفاسُ ظبيٍ صغيرٍ
تعذَّبَ يجري منَ الطَّردِ
حتّى اسْتكانْ .

***

نعيماً ..
لقَطْرةِ الطَّلِّ هذا الشَّذا
نعيماً لها الأقْحُوانْ.

# *Marguerite de rosée*

# أقحوانة النّدى

Bonheur…
à la bruine te cajolant
et les brises d'une nuit parfumée
tirant les voiles de la passion.
C'est bien l'eau
qui caresse une pucelle,
ouvrant ses bourgeons
et offrant à ce bruissement
l'hymen de ses désirs ardents.

Bonheur…
aux mèches encore mouillées de tes cheveux
conservant les senteurs de santal, de safran
et les souffles d'un petit cerf souffrant
d'être pourchassé
jusqu'à l'abandon.

Bonheur…
à la goutte d'ombre
recevant cette senteur.
Louange…
à elle la marguerite.

# قراءة أوّل النجوى

# *Prélude à la confidence*

مهما باعدتْ بيننا الأيام
ومهما كانت الأشجانُ
منْ بيننا أقوى
مهما تراجعَ البحرُ
وماتَ في النخل زهْوُ الحياة
وانسدّتْ منافذُ السُّلوى
يا بهجةَ الدُّنيا ، وما تبقّى لنا
منْ حُلْمنا المغرورِ
يا جنةً يحنو بها المأوى .
***
يا سدرةَ العُمر، ويا ظلَّ الفؤاد
إذا جُنَّ الفؤادُ بمنْ يُحبُّ ومنْ يَهوى
يا آيةً تُتْلى على النَّخلِ في سَجَداته
ويا أسْطورةً للبحرِ في سَمَراته تُروَى .
تَعويذَةٌ للروح أنت
إذا ما خالجَ الرُّوحَ مَسٌّ منَ البَلوى
تباركَ الذي أعطاك منْ روحه قَبَساً
أضاءَ الطيّبونَ به ليلَ الحياة ، وغالبوا
أهوالَ أنْ تَبقَيْ لَهُمْ حُجّةَ الفتوى.
***
منْ رَغوة الشمس هاماتُ الرجال هُنا ،
مَشبُوبةٌ أرضَعتهمْ حدائقُ المنِّ والسُّلوى
طعامُهمْ ، بالكاد ، لكنّهُ طيّبٌ . .
وماؤهمْ يُمازجُ البَحَر لكنّهُ كوثرٌ . .
كَاسَاتُهمْ نَشوى
***

يُخامرُ الطيرَ منك هَجْسُ أغنية . .
يأتي بهِ جدولاً رقراقُهُ عطشٌ . .
يُغوي إذا روّى .
الناسُ في القُربِ منكِ يُعذّبُهمْ
شكوى الغرام إليك
وفي البُعدِ أنتِ لهمْ ترنيمةُ الشّكوى.
***
أُغني ، والهوى أُفُقٌ
قدْ فـتَّقَ الحبُّ في هواكِ عَوالماً
مكنونةَ الأسرارِ مختومةَ الفَحْوى
أنتِ التي عَلّمْتـنِي عَدَّ النجومِ
وعَلّمْتـنِي . .
قراءةَ أوَّلِ النَّجوى .

Dans l'éloignement,
tu es l'hymne de la complainte.

Je chante
ma passion à l'horizon,
l'amour a ouvert dans ton affection
des univers secrets aux sens scellés
C'est toi qui m'as appris
à compter les étoiles
et à déchiffrer le prélude de la confidence.

# Prélude à la confidence

Quoique les jours nous éloignent
Quoique les chagrins
entre nous s'intensifient,
Quel que soit le recul de la mer
et la fleur de la vie agonisant dans le palmier,
Quoique les issues de la consolation se verrouillent,
Ô gaieté de la vie !
Ce qui reste de notre rêve dédaigneux,
Ô paradis adoucissant l'abri !

Ô crête de l'âge, ombre du cœur !
Lorsque l'âme se meurt dans la passion du bien aimé
Ô verset psalmodié par le palmier prosterné !
Ô mythe de la mer raconté lors de ses veillées !
Amulette pour l'âme tu es,
lorsqu' elle est éprouvée par une quelconque calamité.
Soit glorifié celui qui, de son âme, t'a donné un tison
éclairant les grisailles des braves gens
en lutte contre l'effroi de garder la preuve de la fatwa !

Ici, en mousse de soleil, sont les fronts des hommes
en flamme sont-ils, allaités des vergers de miel et de manne.

Leur nourriture à peine suffisante, mais délicieuse…
Leur refuge se mêle à l'océan,
leur coupe enivrée est nectar.

Le chuchotement d'un chant de toi berce un oiseau
venant d'une rigole au bruissement de la soif
encore plus séduisante quand elle irrigue.
Dans la proximité, les gens endurent
la complainte de leur passion pour toi

# قمر وحيد لزنابق الماء

# *Lune solitaire pour les lys d'eau*

سَقيْتُ وُرودَ الرَّماد
وعالَجْتُ فيها الحروقْ
وأسْكَنْتُها مُهْجَةَ الفجْر قبلَ الطّلُوع
كنَسْتُ الفناءَ الفَسيح
وذَرَّيْتُ ما خَالَجَ النَّفْسَ
قُلْتُ لأَسْمال تلكَ الرُّعُود:
هَنيئًا لمنْ يَرْتجي مُطْفآت البُروق
هَنيئًا لهُ الوُجْهَةُ الخاسرةْ
أيُّ ماء تَسحُّ بهِ غيْمَةٌ ماطِرَةْ
يَضيعُ هَبَاءً..
إذا جَاءَ يوماً بأَرْض يَبَابْ
كأَنَّ رياحَ التَّشَفّي على مَوْعدٍ في الشّمالْ
تحيكُ لهُ فكرةً ماكرةْ
تُعَرِّي جُنُونَ الفَراشْ
وَتَمْتَد، تكْشفُ ما قدْ يَبوحُ بهِ غبَشُ الذاكرةْ
هلْ تُري كانَ كلُّ الجُحودِ الذي طالَ قاعَ الرَّحيلِ
دعا جُزُرًا للتَّلاقي،
و أَنْشَأَ في البَحْر يَابسَةً لاحْتشادِ الطيُورْ
ونافلَةً لاحْتراق الفُصُولْ؟
تَمادَيْتُ، أَهْجسُ بالشَّجْو للطَّيْرِ،
لكنَّها غَادَرَتْني خفَافًا،
و أَلْفَيْتُ نَفْسي على حَجَر في خضمِّ الحُطامْ
أُقلِّبُ فيما تَبَقّى وَأَبْحَثُ في داخلي عَنْ ضفَافْ
وأُقْسمُ ألاّ أَخافْ
إذا مَادت الأَرْضُ تَحْتي
ومَزَّقَ رُوحي عَذابُ الفراقْ.

أَمُدُّ يَدي فَوقَ هامات أَشْجار سَرْوٍ
وَأتْلُوعلى الظّاعنينَ زَبُورَ الغيَابْ
فلا ثَمَرٌ عنْدَهُمْ للحنانْ
ولا شَجَرٌ عنْدنا للحنينْ
فأَيُّ الجواهرِ يوماً سَتُغْنِي
بَديلاً لحنْجَرَة صادحة ؟
أيُّ خَفْق سَيَجْنيه طَيْرٌ بأَجْنحة منْ ذَهَبْ ؟
وَأيُّ البَدائلِ نُعْطي الزُّهورَ لفقْدانها الرَّائحة؟

***

لماذا على النَّهر، دَوْماً، تَراءى فتىً منْ رُخامْ ؟
لماذا لدى البَحْرِ، عندَ ضَياع النُّجوم، سؤالٌ وأشْرعة منْ زَبَدْ؟
و هذا السَّحابُ لماذا يُؤَجّجُ فينا التَّرَجِّي
وَيمْسَحُ أكتافَهُ بالمدى
يَقُودُ الأَعنَّةَ.. يَشْربُ.. يَشْربُ
في الصَّمْت نَخْب انْتحاب الأَبَدْ؟
لماذا يُؤَجّلُ هذا الغَمامْ،
بَوْحَ ما حَمَّلتْهُ الرّياحُ، ويُفْضي
بمكْنُونها المُسْتَبدْ ؟
لَيْسَ لي في خَبايا الرّياح وُعُودٌ
لَيْسَ لي عندَ هذا الزَّمان السَّريع العَطَبْ
غيَر سورةِ جُرْحٍ وملح يَذُوبْ
وأَشْداقُ هَم تَفاقَمَ في وحْشَة اللَّيلة البارحَة
لَيْس لي غير ما خَلّفَتْهُ ظنونُ
النَّوارس عنْدَ المغيب
وما أَلْهَمَتْهُ الزَّنابقُ في مَجْدها
لَيْسَ لي فَوْقَ هذا اليَباس الذي عَلَّمَتني يَداه
سوى قَطْرة منْ جبين تَفَصَّدَ نَاراً
وأذكى لَهُ النَّارَ لَفْحُ السَّمُومْ
لَيْسَ لي عنْد هذا الحصى غير لون النَّجيع
وما خَلَّفَتْهُ الدُّهورُ على صَخْرةٍ قابعة
لَيْسَ لي، عنْدَ تلكَ الفتاة التي أَحْرقَتْ خدْرَها،أَمْتعَة
لَيْسَ لي عنْدَها غَير ذاكَ الشَّذا السَّرمَديّ الذي
يُباغتُ نَحْلاً، وَيَسْمُو بأُلْفة رُوحين..

يُعطي صغَار الطُّيور جَراءَةَ خَفْقِ الجناح،
وتَهْويمةَ اللحظة البِكْر ..
يُعطي الزَّوارقَ عنْد انْجذاب
القُلوبِ إلى بَعْضِها أَجْنحةً
ليْسَ لي عنْدَها سوى قَمَرٍ آفِلٍ
وَأشْتَات ذكرى تَذُوبُ وتَخْبُو
وما منْ يَدٍ تُسْندُ اللَّحْظَةَ الفَاجِعَةْ.
***
كانَ لي عنْدَ شَطّ البُحيرة نافذةٌ في البلاد البَعيدَةْ
كأَنَّ طُيُورَ البُحيرة عنْد اشْتفاف الغَسَقْ
لم تناد ولَمْ تَرْتَجِفْ
وأَنَّ الذي أَوْقَدَ الشَّمعَ في حضْرَة « اللّوتس » الخَاشِعَةْ
أَحْرَقَ الأمْنياتْ
وماتَ لَهُ عندَ باب السّماءِ ابْتهالْ
أَيا ليْتَ أَشْجارَ باريسَ عنْدَ الخَريفْ
مُجرَّد رَسْمٍ على لافتات الطَّريقْ
أَيا ليتَ عمَّانَ..ليْتَ البَياضَ الذي شَدَّ مرأى بُيوتِ الجِبَالْ
يُنادي وَميضاً خَفُوتْ
وذاكرةً لا تَعي ذاتَها
وارتجافاً أَخيراً لقلبِ مَريضٍ يَمُوت.
***
كما عَوَّدتْني النَّيازكُ عنْدَ التَّشَظّي
دعَوْتُ الحمامَ إلى وَصْلَةٍ منْ هَديلْ.
هَجَعْتُ، وما منْ هَديلٍ يُلَمْلمُ ما قَدْ سَفَحْتُ
ويَجْمعُ ما بَاعَدَتْهُ الشَّتَاتْ
وراحَتْ به الطَّيْرُ تلْعَبُ عَبْرَ الجهاتْ.
هَجَعْتُ وَحيْداً
إلى شَجَرٍ في الضُّحى
تَوالَدَ، وامْتَدَّ غاباً، وَأَفْضى
إلى سدْرَة في بَهاء اليقين
فَأَشْعُرُ أَنَّ هوى الرَّعْدِ مُرْتَهنٌ بمزاجِ الرّياحْ
وسرَّ حُتُوف الظبّا
ظَبْيَةٌ نَافِرَةْ.

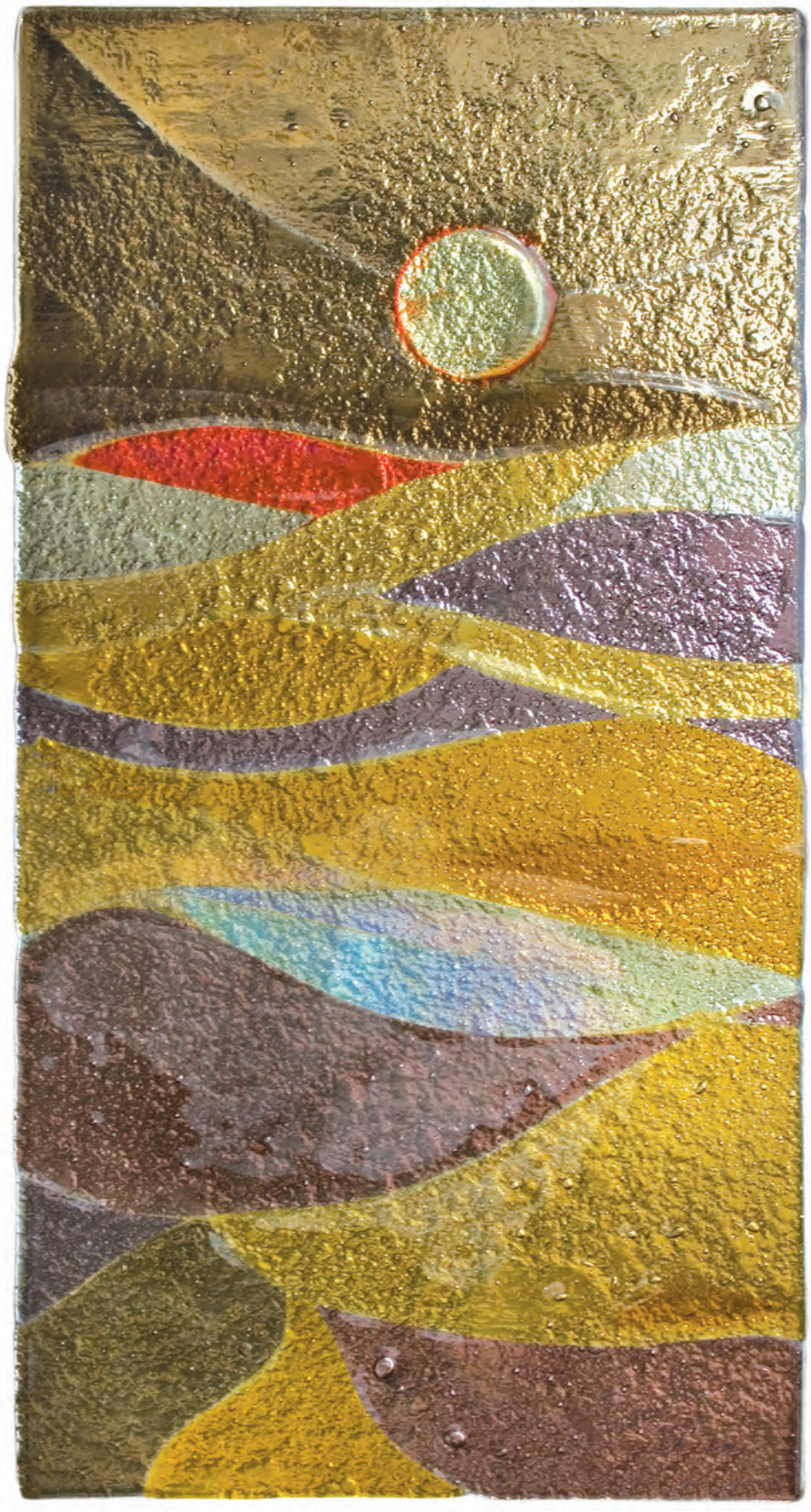

que ce parfum éternel qui surprend les abeilles
et élève l'union de deux âmes
donnant aux oisillons le courage du premier envol
et l'assoupissement du moment vierge
offrant aux voiliers des ailes
lors de l'extase des cœurs.

Je n'ai chez elle qu'une lune couchante
et les fragments d'un souvenir qui se fond et se fane,
point d'appui pour l'instant dévastateur.

J'avais sur le bord du ruisseau
une lucarne sur le pays lointain,
c'est comme si les oiseaux du ruisseau
au crépuscule
n'avaient jamais connu appels ni frissons,
c'est comme si celui qui a allumé les bougies en présence du "lotus"
a embrasé tous les vœux et enseveli une prière au seuil du ciel.
Oh ! Pourvu que les arbres de Paris ne soient plus
qu'un simple désir sur les affiches du chemin !
Pourvu qu'Amman…
Pourvu que l'immaculé qui scelle le paysage
des maisons en montagnes
appelle une fulguration timide
une mémoire inconsciente
et un frémissement ultime dans un cœur agonisant !

À la demande des météores lors de l'éclatement
j'ai invité des pigeons à un intermède de roucoulement,
je me suis assoupi, point de roucoulement.

Seul, je me suis assoupi
au milieu de la matinée
sous un arbre touffu
étendu en forêt
parvenu au paroxysme des splendeurs
de la certitude,
j'ai senti que la passion du tonnerre
était à la merci de l'humeur des vents
et que le secret des destins
n'était qu'une biche farouche.

et déclame les psaumes de l'absence.
Ils n'ont guère de fruits de tendresse
et n'avons point d'arbres de nostalgie.

Quels joyaux troquerait un jour
une voix suave ?
Quel envol récolterait un oiseau
aux ailes d'or ?
Et quels substituts donnerait-on aux roses
en échange de leur parfum perdu ?

Pourquoi un jouvenceau en marbre
apparaît-il incessamment
sur la rivière ?
Pourquoi, lors de l'égarement des étoiles
la mer déborde-t-elle de questions
et de voiles en écume ?
Et ces nuages,
pourquoi attisent-ils en nous tant d'espoir
et s'essuient-ils les épaules avec les étendues,
menant les rênes, buvant… buvant
silencieusement à la santé des sanglots de l'éternité ?
Pourquoi ces brumes blanchâtres retardent-elles de divulguer
le secret des vents et en dévoilent-elles le contenu opiniâtre ?
Je n'ai point de promesses dans les replis du vent
je n'ai chez ces temps en panne
que le verset d'une blessure, du sel soluble,
et les flancs d'un chagrin envenimé
dans la solitude de la nuit d'hier.
Je n'ai rien d'autre que quelques incertitudes laissées
par les mouettes au crépuscule
et ce que, dans leur gloire, les lys ont inspiré.
Je n'ai rien dans cette aridité éclairée de ses mains
qu'une goutte d'un front brûlé
par un feu incandescent.
Je n'ai rien dans ces gravats
que la couleur du sang
et les débris du temps sur une roche dissimulée.
Je n'ai guère de bagages chez cette jeune fille
qui a brûlé ses voiles.
Je n'ai rien chez elle

# Lune solitaire pour les lys d'eau

J'ai arrosé les fleurs des cendres,
j'y ai guéri les brûlures
et je les ai abritées dans le cœur de l'aurore
avant le levant.
J'ai dépoussiéré le vaste patio
et vanné les chaos de l'âme.
J'ai révélé aux débris des foudres :
Bonheur à celui qui désire les éclairs éteints !
Louange à lui pour la destination ratée !
Tout flot déversé d'un nuage bruineux
partira en fumée
s'il tombe un jour dans un désert dépeuplé,
comme si les vents de la vengeance
s'étaient donné rendez-vous au nord
complotant contre le flot une fourbe idée,
mettant à nu la folie des papillons,
s'étendant, divulguant le secret plausible
du crépuscule de la mémoire.
Que serait tout le déni tapi au fond du départ,
invitation des îles à la rencontre ?
Œuvre dans le large d'une terre pour la ruée des oiseaux ?
Prière pour l'embrasement des saisons ?

Je persiste à marmonner un chant triste pour les oiseaux
mais, légers, ils me désertent.
Je me retrouve sur un roc au cœur de la dévastation
fouillant dans les vestiges,
cherchant des rivages dans mes profondeurs
et jurant de ne point paniquer
si la terre vacillait sous mes pieds,
et l'effroi de la séparation brisait mon âme.
Je tends la main sur les cimes des cyprès

# مرايا الزّمن الباقي

# *Miroirs des temps restants*

مَرَّ في الحلْمِ شَجيّاً
صَوْتُهُ الآتي إلى البحْرِ منَ الصَّحْراءِ
مَشْحُوناً غَنيّاً بِعَبيرِ الهَالِ والمِسْكِ
ونَبَراتِ الحَنينْ
صوْتُهُ مَسَّ شَغَافَ القلْبِ حيّاً، وتَمنّى، وَرَحَلْ
تاركاً في قفَصِ الرُّوحِ نُدُوباً وَشظَايَا
وَبقَايَا زَهْرَةٍ عَاشقَةٍ مَاتَتْ على نَجْمٍ أفَلْ
قالَ: يَا إبْني، اللَّيَالي جُلُّها منْ شَجَنٍ
و احْتِمَالٌ للَّذي لا يُحْتَمَلْ
وفُتَاتُ الزَّمَنِ البَاقِي مِنَ اللَّيلِ مَرَايا لِلتَّشظّي والمِحَنْ
فتَأَمَّلْ..
في العَذَابِ المُرِّ للنَّهرِ الذي يَجْري عَظِيماً
عَبْرَ آفَاقِ الزَّمَنْ
ثُمَّ يَغْزُوهُ جَليْدٌ يَتَجَمَّدْ
وَتَخيَّلْ..
كَيْفَ للعُمرِ بِأَنْ يَمْضيَ
منْ دُونِ رَفيقٍ أوْ سَكَنْ
وَتَخيَّلْ..
إنَّني مِنْ بَعْدِ مَا اختَرتُ رَفيقي
ثمَّ بالكَادِ تعَرَّفتُ على الدُّنيَا
وغَالَبْتُ هَوَى النَّفْسِ
ومَاشَيْتُ ظلالاً غَيرَ ظلّي
خَابَ مَسْعايَ مَعَ الخِلِّ
وَضَيَّعْتُ الوَّطَنْ.

***

صَوْتُهُ مَسَّ شَغَافَ القلْبِ
حَيّاً، وتَمَنى، وَرَحَلْ.

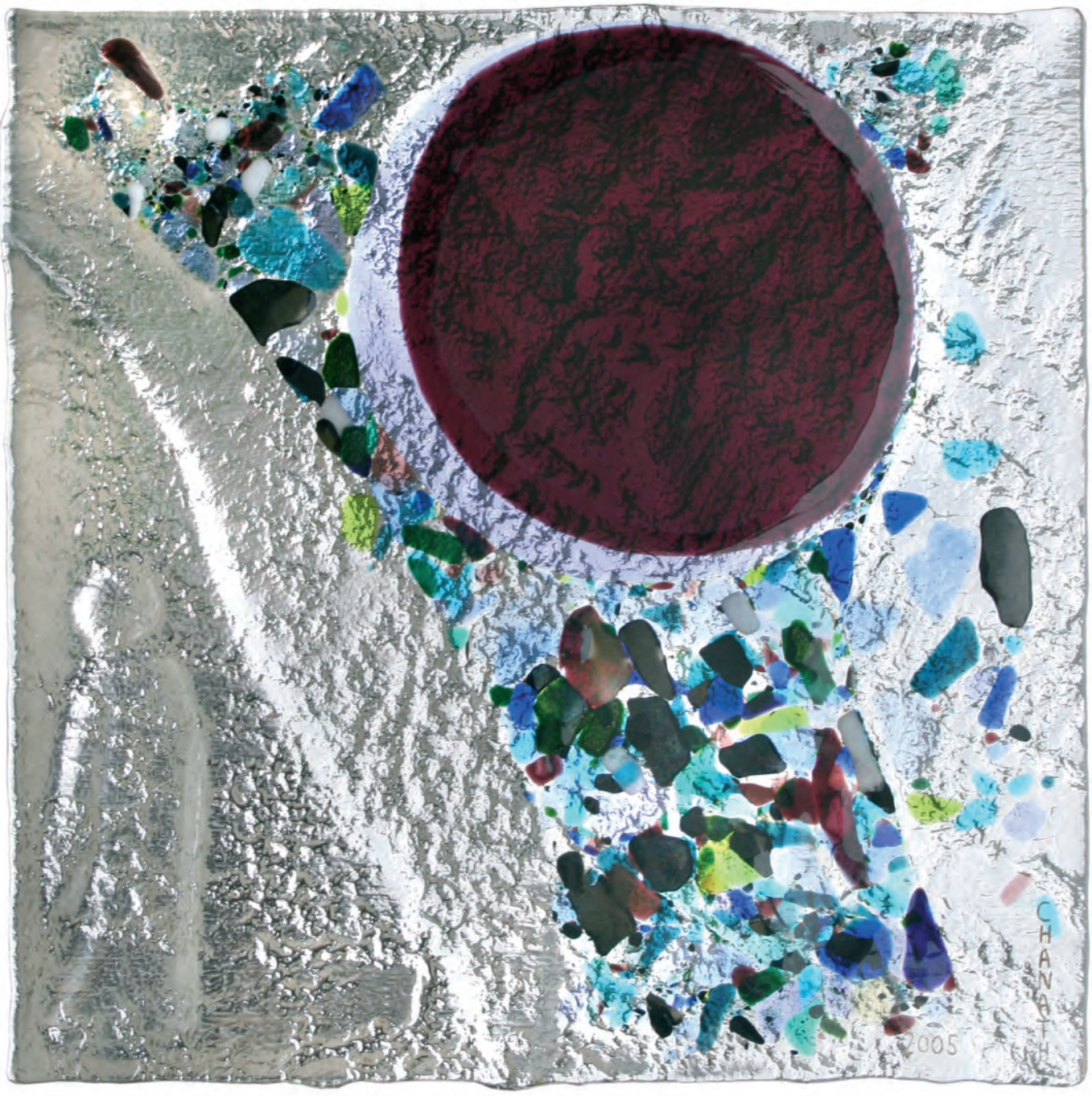
CHANATH
2005

# *Miroirs des temps restants*

# مرايا الزمن الباقي

Émouvant, il survint dans le rêve
sa voix provenant de la mer ou du désert
richement chargée
de senteurs d'amome, de musc
et d'intonations de la nostalgie,
toucha les péricardes du cœur,
il salua, formula des vœux et partit,
laissant dans les replis de l'âme
traces, fragments
et les restes d'une fleur passionnée
morte sur une étoile couchante
puis dit : Ô Fils ! le plus clair des nuits
n'est qu'amertume et éventuel improbable,
les miettes du temps restant de la nuit
ne sont que chagrin et miroir brisé.
Contemple
le chagrin amer
du fleuve qui coule grandiose
à travers les horizons du temps
envahi de givre
gelé
et imagine…
comment le temps s'écoule
sans compagnon ni refuge
et imagine…
qu'après avoir choisi un compagnon
et à peine ai-je découvert le monde,
vaincu les tentations de l'âme,
et fréquenté des ombres qui ne sont pas miennes,
l'aimé me trahit
et j'égarai la patrie.
Sa voix touchant les péricardes du cœur,
il salua, formula des vœux et partit.

# في التجلي والتضاد

# Épiphanies et contrastes

تألـَّقَ في مجْده، واسْتوى
يُراقبُ ما أَبْدعَتْهُ يداهْ
تَأمـَّل فيما تكوَّنَ، شاءَ
في غمرة التكوينِ ما لا يُضاهى
أرادَ أنْ يُسْتظلَّ بفَيْءٍ دفيْء
وشاءَ بأنْ يغْمرَ الكونَ إنسٌ رفيقٌ
فقالَ، تجلىّ، أسوّي حديقةَ عشْقٍ
وأجْعلَ رضْوانَها للبرايا
مفاتيحَ كلِّ الجنانْ
يُنادمُ.. يأكُلُ تفاحَها الأزليَّ القمَرْ
وتُفْشي سرائرَ دهشَتها لاختلاجِ الحَجَرْ
وأنْفخُ في الطّين ناراً
أصيّرهُ كوكباً مسْتثاراً
وأُعطي لهُ ما يفوقُ التوهُّجَ في الاشتعال
وأوصلُ منهُ التماعَ النُّهى
بمكنُون ما يَحتويه المدارْ.
***

وقالَ، تجلىّ، أُسوِّي بلاداً
بها جبروتُ امتداد الصَّحاري..
عنفُ شموخِ الرَّواسي
ورقةُ مَجْرى الينابيعِ ..
لطفُ هبوبِ النَّسيمِ
وسحرُ النَّدى وائتلاقُ البدورْ
وأجعلُ أهواءَها في مهبِّ جميعِ الرّياحِ
بقوة جَذْبٍ

تكوّنُ شطرَ التَّوحُّد عنْد الخليقةْ
لها نرجسُ الإحورارِ ..
فتُنُونُ رُضابِ الأَقاحي
يُمازجُ تكوينَها الطَّلحُ والطَّلْعُ
والبانُ والبيلَسانُ
فيها يكونُ التَّلاقيْ
وفيها يكون انفلاق البذور
وطورُ التَّخلُّقِ .. منها تجيءُ الثمارْ
أنادي على نطفة في الغيَاهبِ،
أَسْمَعُ نبضَ الأَجِنَّة،
أودعُ في عَزْمها قدرةً
فوقَ كلِّ احتمالْ.
وقالَ، تجلىّ، أُفَجِّر نبْعاً فريداً
وأجري على الأرض منْهُ الحنانْ
أُسوِّيه نهْراً يُغيثُ برحْمته الظَّامئينَ
تقامُ على ضفتَيْه
مَمَالكُ حبِّ البقاءْ
يُؤَسَّسُ عهدٌ وعهدٌ يبيدْ
أسوِّيه بحراً عميقاً.. بعيدَ التَّرامي
وأخْزنُ فيه التَّضادَ
وأنْشيءُ فيه العَوالمَ
أَجْعلُه كانْبثاقِ الصَّباحِ جَليّاً
وأسْدلُ منْهُ التوجُّسَ، أخْلُقُ فيه
السُّتُورَ، وأحْجبُ أسرارهُ في غموضٍ بَهيمْ
وأَجْعَلُهُ فتْنةً مُشْتهاةْ.
***
أُرادَ لها أن تكونَ الحَبيبةْ
وظلَّ الرَّفيقِ المؤانس
أُختَ التَّواؤُم .. بنتَ الدَّوالي
وأُمَّ الدَّراري.. صديقَتهُ مُدْلجاً
في حروب الظَّلامْ
شريكةَ نشْر القُلوع، وإبْحاره
لاخْتراق الشَّذا، واشْتعال الذُّرى،

وارتعاشِ اللذائذ..
سلْوى انطفاءِ جنونِ الجَسَدْ
أرادَ لها أن تكونَ الغوايةَ حتى الأبدْ
أرادَ المعاني التي لا تُرى
وتُدركُ عند انبثاقِ الشُّعورِ..
نفاذ البصيرةِ.. عندَ التماعِ الرؤى
وانْكشاف الغطاءِ.. احْتداد البَصرْ
أرادَ لها أَن تكونَ الذي لا يُحَدْ.

***

تشابكَ غيمٌ كثيفٌ
وأَسْفرَ نورٌ شفيف
تألقَ وردٌ لوَجْد يُداهمُ، يُظْميء.. يُرْوي،
وأَشْرقَ خَفْقٌ بعيدٌ.. قريب
تناءَتْ مشاعرُ تُدني وتُدْني
وشَبَّ الحريقُ الجميلُ بقلْبِ الأَزَلْ
تنامتْ على الأرض غابةْ
تفجَّرت الأرضُ ماءً زُلالاً
وقامتْ بحارٌ، ومُدَّتْ فلاةٌ
لأَغْلى وأدنى صُنوف المعادنِ. مُدَّتْ سهولٌ
وسلسلةٌ من عروق الزُّمُرّدِ
شاءَ، تجلى، اختزالَ المعاني
فأَنشأَ في الكونِ هذا التآلفَ..
هذا التضادْ
فكانَتْ عذابَ الجوى..
سكينةَ هذا الفُؤادْ.

Chanath
2006

Des nuages épais s’entremêlèrent
Une lumière transparente apparut
Des fleurs éclatèrent pour une passion envahissante
qui donne soif abreuve
Une palpitation lointaine… toute proche
Des sentiments épars s’éloignèrent
se rapprochèrent… se rapprochèrent
Le bel incendie éclata dans le cœur de l’éternité
Une forêt naquit sur terre
L’eau gicla des profondeurs
Des océans et des plaines s’édifièrent
pour les précieux et les vils minerais
Des vallées s’étendirent
et des chaînes de veines émeraude
Il voulut l’union des sens
Il créa dans l’univers cette communion
et ce contraste
Elle fut affres de la ferveur
et sérénité du cœur

la fission des graines
et l'étape de la création
D'elle naîtront tous les fruits
J'appellerai un point dans les ténèbres
j'entendrai les vibrations des gênes
je la doterai en puissance
d'une énergie insoupçonnée
Il dit : je ferai jaillir une source unique
coulant de tendresse sur terre
Je la ferai rivière
étanchant de compassion les assoiffés
Sur ses rives se lèveront
les royaumes de l'immortalité
édifiant une nouvelle ère et anéantissant une autre
Je la ferai océan profond… aux extrémités lointaines
J'y conserverai les contrastes
et érigerai des mondes
Je la ferai apparente comme l'irruption du jour
et l'entourerai d'appréhension
J'y créerai les tentures
j'en voilerai confusément les secrets
et la ferai fascination tant convoitée

Il voulut qu'elle soit l'aimée
l'ombre du compagnon
la sœur jumelle… la fille des vignes
la mère des enfants…
l'amie dans les guerres obscures
la complice dans la tension des voiles
l'embarquement pour la pénétration des senteurs
l'incandescence du maïs
le frissonnement des délices…
et la consolation pour l'étreinte de la fougue du corps
Il voulut qu'elle soit tentation de toute éternité
Il la voulut sens invisibles
accessibles à l'orée des sensations
discernement de la vue… lors du flamboiement des visions
révélation des voiles… perspicacité de l'œil
Il voulut qu'elle soit illimitée

# Épiphanies et contrastes

# في التجلي والتضاد

Flamboyant de gloire, il trône
observant son chef-d'œuvre
contemplant sa création
Il voulut, en plein ouvrage, créer l'irremplaçable
Il voulut l'abriter sous une ombre chaleureuse
Il voulut combler l'univers d'un compagnon
Il dit : je créerai un verger de passion
et ferai de ses bienfaits les clés des paradis
un verger veillant…
croquant la pomme d'éternité
et divulguant les secrets de son étonnement
aux palpitations des pierres
Je soufflerai feu dans l'argile
pour en faire un astre caché
que je doterai de l'incandescence extrême
J'en relierai l'éclat
au secret contenu dans l'orbite

Il dit : je créerai une contrée
à la puissance des étendues des déserts
à la véhémence des montagnes
à la douceur du cours des ruisseaux
à la subtilité de la tombée de la brise
à l'envoûtement de la rosée et à l'éclat des graines
Je soumettrai ses passions à la portée de tous les vents
à force d'attraction
scindant l'unité de la créature
aux narcisses de la noirceur
à l'envoûtement de la mousse des marguerites
Sa création serait mélange d'appât et d'acacia
de saule et de sureau
En elle se réaliseront les retrouvailles

# إزدواج

# Dualité

تكوَّرا، واكْتَنَزا بالدِّفْء،
والعسل المصَفّى، والمكابَرَةْ
وأجْهَشَتْ زبيبةٌ كادتْ تُمَسُّ
غيْرَ أنَّها تماسكَتْ، واسْتَنْفَرَتْ
كلَّ الحلا المعْقودِ في مكْنونها
فحدَّثَتْ عنْ موسم النَّبيذِ حينَ فاتَ
عَبَّرَتْ عنْ شَوْقها المنْهُومِ
عنْ أحْلا مها المصَادَرةْ
فَامْتَلأتَ كُلُّ العُروق ، واشْرَأَبَّ
الزَّهْرُ في الرُّمان للمُخاصَرَةْ
كيفَ اسْتَفزَّ وَجْدَها
عَزْفٌ تسلَّلَتْ لَمسَاتُه، واندَسَّ
حاضناً لهاثَ طيرٍ أشْقَرٍ
يكادُ أَنْ يفرَّ منْ سجَّانهِ
يكادُ أَنْ يَثُورْ؟
وكانَ ليلُ حَبْسه بَخُورْ
وقَيْدُهُ غُلالةٌ تهزُّهُ
على أرْجُوحة منَ الحريرْ
هديل مَوْجٍ في الحُنوِّ
بَرْد يومٍ لمْ يكنْ كالبَرْدِ
كانَ رجفَ قطرٍ للنَّدى
على الزُّهورْ.

***

أيُّ الثِّمارِ، يا تُرى، أَشْهى
لعازف يُديرُ في التَّشَهِّي خَمرةَ الحواس؟
أيُّ رشْفةٍ كالرَّشْفَةِ الأُولى

تعينُ في بكارَة التَّغذّي
قادماً، وتسْتَحثُه على انْتشاءَةِ الحياةِ
يا رُضاباً دارَ في فمي
برغوةِ الباذخِ من خمْرِ الجِنان ؟
***
تكوَّرا، وارْتعشا رغائباً، وأضمرا
بَوْحاً يهزُّ أُلفَةَ الكلام جارياً على اللِّسانِ..
يستفزُّ ظامئاً،
جرى فطامُهُ قبلَ الأَوانْ
أيُّ شَرابٍ كوثَري قبلَ هذا يُحتَلَبْ ؟
أيُّ حياةٍ دونَ هذا تُحْتَسَبْ ؟

# Dualité

## إزدواج

Ils s'enroulèrent, se couvrirent de chaleur
de miel pur et de ténacité
Une graine au bord du trouble a failli
éclater en sanglots, mais résista et effaroucha
tous les joyaux noués dans ses profondeurs
et raconta la saison des vins passée
Elle exprima son désir vorace
ses rêves confisqués
Toutes les veines s'emplirent
et la fleur dans la grenadine se hissa pour l'enlacement
Comment l'ardeur de la graine a-t-elle provoqué un chant
dont les caresses fugaces se faufilèrent
pour étreindre l'halètement d'un oiseau blond
au bord de l'évasion
de son geôlier, en instance de rébellion ?
La nuit de son emprisonnement était encens
Ses liens, une voilette la berçant
sur une balançoire en soie
Bruissement des vagues en douceur
Froid d'un jour à nul autre pareil
Frissonnement de la goutte de rosée
sur les fleurs.

Quels fruits plus délicieux
pour un musicien gérant dans la convoitise
le vin des sens ?
Quelle gorgée, à l'instar de la première
au bout des saveurs
prête assistance à un pèlerin de retour
et le stimule aux joies de la vie ?
Ô salive tournant dans ma bouche
à la mousse pompeuse des vignes des cœurs !

# أرنبة البياض

# *La lapine immaculée*

في الظّلام الكثيفْ
زَمْهرِيرُ المنام طويلٌ
ولا نأمةٌ في بعيد البيوتِ
سوى ضَوْئها المنكسِرْ
والظّلال الثّقيل
لأَدْواء ساعتها المزْمنَةْ
مالَ طيرُ التّشردُمِ ، ثُمَّ اسْتوى،
حَكَّ منْقارَهُ، نامَ قُرْبَ الهلالِ على قُبّة المئْذَنَةْ.

***

في الظّلام الكثيفْ وفي ما يُشْبهُ الحفرة الواسعَةْ
سائلٌ لَزِجٌ في القوام الثّقيل و رائحةٌ مُنْتنَةْ
عوادمُ شَتّى صُنُوف الحافلاتِ
دُخانُ احْتراقِ النُّفاياتِ
فُضْلاتُ زيتِ الوقودِ
وفُوَّهَةٌ هائلَةْ
لمجاري المدينَةْ
مُصَوَّبةٌ نحوَ هذا المكانْ .

***

كلابٌ كثيرةٌ، تُطاردُ أَرْنبةً في البياضِ الجَليلِ
تَجدُّ بكلِّ فنون النَّجاة
ولكنَّ جَمْعَ الكلاب تَشَارَسَ
يدْفعُها نحوَ هذا المكبِّ ، فتَجْري
وتجري ، وتقفزُ ، منْ دونِ وعيٍ
إلى الحفْرة الواسعَةْ
صُدْفَةً ، تَسْتقرُّ على خَشْبة طافيةٍ
كادَ ثِقْلُ الوُقوع يَغُوصُ بها

خفَّةُ الأَرْنَبَةِ
وازَنَتْ واسْتَقَرَّتْ
وَجمْعُ الكلاب يُحاصرُ منْ كلِّ صَوْبٍ
يواصلُ تَهديدَها بالنُّباحِ
ولا يستطيعُ الوثوبَ إليها
فيَشْتدُّ فيه سُعارُ الضَّوراي
يَئِنُّ، ويخْفُتُ فيه النُّباحُ
ييأسُ، لكنه كامنٌ في المكانِ
يُخاتلُ حتى ينالَ الطَّريدةَ.
***
تَشعُرُ الأَرنبةُ
بالأَمانِ قليلاً، ولكنَّها خائفةٌ
قلبُها واجفٌ كادَ يقفزُ منْ صَدْرها.
رُغْم هذا الفساد الذي يَحْتَويه المكانْ
شَعْرُها ناصعٌ في البياضِ
برُغْم كراهةِ هذا المحيطِ
برُغْم القـذارةِ
أَحَسَّتْ بأَنَّ النَّجاةَ شَطارةٌ
وأَنَّ الإلهَ إذا ما أَرادَ لحيٍّ حياةً جديدةً
تَهيَّأَت اللَّحظةُ الحاسمةُ.
***
هَبَّ طيرٌ وحيدٌ ليفْتَح في الأفْقِ
نافذةً لهواء جديد،
ولكنَّها الرَّائحةُ.
هذه الخَشَبَةُ الرَّطْبَةُ الطَّافيةُ
كمْ تسيرُ ببطء ثقيل
وبالكادِ تحْملُها وتدورُ بوَسْطِ المكان.
***
تحاولُ حفْظَ التَّوازن،
يَبْدو التَّوازُنُ أَمْراً دقيقاً
مُجَرَّدَ خَيط رَفيع
يُفرِّقُ بينَ النَّجاةِ وبينَ الهَلاكْ
فأيُّ مصيرٍ تَقاذفَ هذي الحياةْ

وأيُّ حياة تُراها تكون وأيُّ هلاكٍ تراهُ يكون
بوَسْط الدَّنَسْ ؟
فَزِعَتْ، في ارتعاش ، تحاولُ
ألاَ تزلَّ بها قدمٌ دونَ أيِّ احْتساب
تُحاولُ ألا تُبارح هذا المكان
لتنْجُوَ منْ غرقٍ مُحْتملْ
واعْتدادُ البياضِ يَجولُ مُشعّاً
ويُومضُ في رُوحها بالصُّمود
برغمِ الحصارِ ، ولكنّها الرائحةْ.
***
ثارَ منْ كلِّ صوب ، بَعوضٌ يُهاجمُ . تَصْحو على
دفْءِ أنفاسها الطازجةْ كائناتٌ غريبةْ
صغيرةٌ لكنّها آكلةْ
تَسْتميتُ، بدأبٍ تحطُّ على وَجْهها
تَسْتبدُّ، تمصُّ، وتَنْهَشُ، تُعْمي وما منْ سبيلٍ لصَدِّ أذاها
تُجمّع أرنبةٌ في البياضِ قواها
فلا تستطيعُ الحراكَ
فتَصْرُخُ لكنَّ صرْخاتها حَشْرجات
تُحسُّ بصوت بعيد يئنُّ هناكَ
وَرَهْطٌ هنا يَتوالدُ .. يكْثرُ
هذي خلايا وَباءٍ مُقيم
وترفعُ كلتا يَدَيها .. على وَجَل ..
في احتراسٍ شديد تُحاولُ إمْساكَ حَبْلٍ تدلّى
ولامَسَها .. يا لحبل النَّجاة الوحيد
تَشُدُّ .. تَشُدُّ ، وإذْ تستفيقُ عليهِ
مجرَّدَ أُنْشُوطة للهلاك السَّريع
تَعُودُ، بيأْس ، لتَرْفُضَ هذا المصير
يَمُرُّ الزُّمانُ بليداً
تُغالبُ فيه، وتَصْحُو وتَصْحُو
تَصونُ البياضَ
وتَأْمُل في بارقٍ للخلاصِ ،
ولكنَّها الرائحةْ.

1987 Chantal Legendre

résistance à son âme, mais c'est la puanteur
De tous les coins, des moustiques s'envolent
et attaquent
Des souffles chauds de la lapine, se réveillent
d'étranges créatures
minuscules mais nuisibles
attaquent… ardemment et se posent sur son visage
Cruellement, elles sucent, mordent et aveuglent
Impossible de leur faire face
Elle rassemble tout son courage
mais ne parvient pas à bouger
Elle crie de toutes ses forces
mais ses cris sont râles
Elle sent une voix gémir au loin
et tout près un clan se multiplier à profusion
Ce sont les cellules d'une endémie
Avec infiniment de précaution
elle lève furtivement les deux pattes
essayant d'attraper une corde suspendue
qui la frôle…
Ô unique corde de survie
Elle s'agrippe… s'agrippe
avant de réaliser que ce n'est qu'un nœud coulant
pour la prompte déperdition
Elle revient désespérément pour dénier ce destin
Le temps passe mollement
En éveil, en plein éveil, elle combat
pour préserver sa blancheur
espérant une lueur de délivrance
Mais c'est la puanteur

L'assemblée des chiens l'encercle de tous les côtés,
persiste à la menacer en aboyant sans cesse
mais ne peut sauter sur elle
La rage des carnassiers n'a pas d'égal
ils gémissent et l'aboiement s'affaiblit
ils désespèrent mais restent embusqués dans les lieux
louvoyant pour capturer la proie
La lapine ressent un peu de sérénité
mais elle a peur
Son cœur frissonne
au point de quitter sa poitrine
Malgré la putréfaction des lieux
ses poils sont d'une blancheur frappante
Malgré la rancœur de l'environnement
malgré la souillure
elle sent que la survie est une question d'habileté
et que si Dieu veut donner à un vivant
nouvelle vie
le moment crucial finit par arriver
Un oiseau esseulé s'envola pour ouvrir dans l'horizon
une lucarne vers l'air frais
mais c'est la puanteur
Comme ce morceau de bois flottant et humide
avance avec tant de lenteur
et parvient à peine à porter la lapine
et la faire tourner sur place

Elle essaie de garder l'équilibre
qui semble une affaire décisive
Cheveu fin
séparant trépas et survie
Quel destin réserve cette vie
et quelle vie serait-ce ?
Et quel trépas
au milieu de cette saleté ?
En frisson, elle essaie effarée
de garder l'équilibre
et de s'immobiliser
afin d'échapper à une noyade éventuelle
La fierté de l'immaculé circule radieusement
et insuffle malgré le blocus

# La lapine immaculée

# أرنبة البياض

Dans l'obscurité intense
le sommeil glacial et interminable
Pas le moindre bruit dans les refuges éloignés
hormis leur lueur brisée
et leurs ombres lourdes
pour rétablir leur vieux pendule
L'oiseau de la discorde vacilla,
se gratta le bec
et s'assoupit près de la lune
sur la coupole du minaret

Dans l'obscurité intense
dans une sorte de large cavité
un liquide gluant à la lourde stature
et une odeur puante
pollution de toutes sortes de véhicules
fumée de combustion des déchets
résidus de combustibles
énorme orifice
des égouts de la ville
pointée sur cet endroit

De nombreux chiens
pourchassent une lapine immaculée
s'évertuant à tous les arts de la fuite
mais l'assemblée des chiens la pousse violemment
vers cette fosse
Elle court, court et saute inconsciemment
dans le vaste trou
elle se stabilise sur un morceau de bois flottant
parvenant prodigieusement à ne pas sombrer à force de chute
Sa légèreté la maintient en équilibre

# زبرجدة في إناء الورد

# Topaze dans un vase

قُمْتُ والوقْتُ على النصْلِ ،
أشُقُ الحَجَرَ الصّلدَ طريقاً للنّجاةْ
وعروقُ الصّخر منْ آنٍ لآنْ
تَفْتَحُ الفتْنَةَ قُدّامي بَصيْصاً
يُوشكُ الُصبحُ بأنْ يُفضي
ولا يُفضي بهِ بَعْدَ الصّلاةْ
يا طريقاً كلما أوغَلتُ فيهِ
مَلكَ الحُبُ رتاجي، وتَولاني،
و أفْضى بي إلى غيْر طريقْ
أيُّ حُزنٍ جَاءَ عَيْنَيْها ارتجالاً
فتجلى، وَدعا برقاً
لأنْ يَتْرُكَ وشْماً للتفاسيرِ ،
ولا أسْطورةٌ تُنبئُ
بالغَيْبِ الذي وشّى العَقيقْ .
***

وردٌ لعَيْنيها . .
لعَصْف الشاطئ الفاصلِ ما بَينَ الحدودْ
غِبْطةٌ يُوحي بها ألقُ المُحَيّا
وشَمُوخُ امرأة تَكتمُ ما يُقْدَحُ في القَلبِ . .
تُعادي زَيْتَ ماً يَهْجسُ الوقتُ و ما
يُنبئُ ميلادُ حَريقْ.
***

جَاءَ ت البَحْرَ منَ النهْر مَعَ الورد
و أغْصانِ الشجَر
وَطأتْ أقْدامُها رمْلَ الخُرافاتِ
و أشْجى قَلبَها نوحُ المآذنِ
واحْتمَالُ قُدّاس الخَطرْ

لمْ يُفارقها احْتراز القُبّرات
و ما كانَتْ سوى شَعْرة المِيْزَان . .
لون المَاء ، كانَتْ ترْتَجِفُ.
كلما غافَلَها خَفْقٌ وما ارتَجّتْ به
أعْطتْ نَهَارَ الكون شَمْساً
و أدارتْ وجْهَها نحْوَ الشّفَقْ
هَمُّها ألا يَرى القابعُ في داخلِها . .
الواقِفُ عندَ المُفترَقْ
أيّ شَيء يُمْطِرُ الرّوحَ و يَسْقي
سُنْبلاتِ التّوق أو يَرْشقُ أسْوارَ القَلقْ
شَجَرٌ كانَتْ لهُ الطيْرُ تُغنّي
شاخَ، ما عادَ سوى مُتّكأً للعُشّ . . وللغَيْمِ صَديقْ
جاءَها الليلُ، وما جاءتْ لها تُفاحَةُ العُمْرِ بمَجنونٍ
يُعرّي الولهَ المَكْبُوتَ
في النّيْزك أو يُفلتُ نَجْماً يَتشظّاهُ البَريقْ.
طالَ ارتهَانُ حَريرها للرّيح ،
مَا الأفقُ سوى تلويحَة العابِر ،
وَ النّهْرُ إلى البحْرِ طَريقْ.
***

كيْفَ لي وأنا أكْتُمُ سرّ النّقْش . .
آتي بطُقوس الجبَل الجَهْم ،
وأسْتَقري تَعَاويذَ الحُواةْ
كيْفَ لي فكُّ ارتهَاني لنُصوص الحَجَرِ
الناريّ . . ما يأتي به الوَجْدُ المُخَاتلْ
وَ أنا خَارطةُ الأدْيَان
قلبي رقْعَةُ التّدْوين والحبْرُ دمَائي
و تَواريخي أسَانيدُ الرُّواةْ
لذتُ بالواحد منْ إفْك المُرابيْنَ
و قدّمْتُ قرَابيني ملحاً للبحَارْ
فأتاني كَوكَبٌ يَمْشي على الماء ويَعْشى
منْ دُخان لأساطيل الغُزاةْ
قُمْتُ مأخُوذاً أناديك :ابْرئي منْ دنَس البَحْرِ
انْهَضي، سَيّدَةَ المَاءِ، فَالبَحْرُ غَريقْ.
***

فاجَأتْني رجْفَةُ النّقْشِ على الصّخْرِ
دماءٌ سَالَت الأحْرُفُ منْهُ، فتَأمّلتُ
دمَائي تَشْهَقُ العَبْرَةُ فيها
وأنا أجْمَعُ في البَحْرِ شَتات الأرْخَبيلْ
فاسْتَويْتُ، وثبّتُ على الحَقّ يَقيني
ويْحَ روحي . . !! أيّ نارٍ تَصْطَليني
وأنا في حَضْرَة المَعْشُوق
مَصْلوبٌ ومنْ كتْبي وقُودٌ لحَريقي ؟!
كلما نَازَعَني الشّوقُ لمَولايَ
على الضّفّة الأخْرى اسْتَباحَتْني الفلاةُ
و بَكى قلبي أَسيراً للجَهالات
وما يُمْكنُ أنْ يَأتي به كيْدُ الرّماةْ
فاغْفري لي وَلعي بالبَحْرِ والنّخْلِ
وحُبّي لسُطوعِ الشّمْس . . كَشْفي ما أرَاه
سَامحي قلبي، وُفكّي عَنْ عُيُوني ظُلمَةَ الحَبْسِ الذي طَالَ مَداه.
***
لا تُراهنْ، أيُّها البادىءُ بالحُبِّ
فَقدْ مَرّتْ منَ الطّيْرِ أسْرَابُ الفُصُولْ
وتَعَرّى الشّجَرُ النّازفُ وانْفضّ سُمّارُ البُكورْ
لا تُراهنْ . .
ليْسَ في الجُبّة كائنْ
قدْ يَطُولُ الوَقْتُ والمِحْرابُ منْ دُون إمامْ
وُوُضوءُ الدّم واجبْ
وَمَخَاضُ الفَجْر ضَرْبٌ في القَتامْ
وكثافَاتُ الغُيُومْ
رُبّما لا تُمْطرُ السّهْلَ، فلا تُصغِ ولا تأبَهَ بالرّعْدِ المُداهِنْ
و إناءُ الزّهْرِ لا يَلبَثُ أنْ يَغْدوَ قَبْراً تَتَوالاهُ الزّهُورْ
والجِرَاحَاتُ التي تَبْرَأ تَبْقى نَازفاتٍ في المَكامِنْ
رُبّما تَنْسى، و لكنّ النّدُوبْ
بَاقياتٌ لا تمُوتْ
كانَ نَقْشاً على الصّخْرِ وحِبْراً وَوَرقْ.
كانَت القطّةُ في حضْنِ الحَريرْ
وَهيَ الآنَ مَعَ القَصْفِ تَجُوعْ
في خرَاباتِ المَدائِنْ.

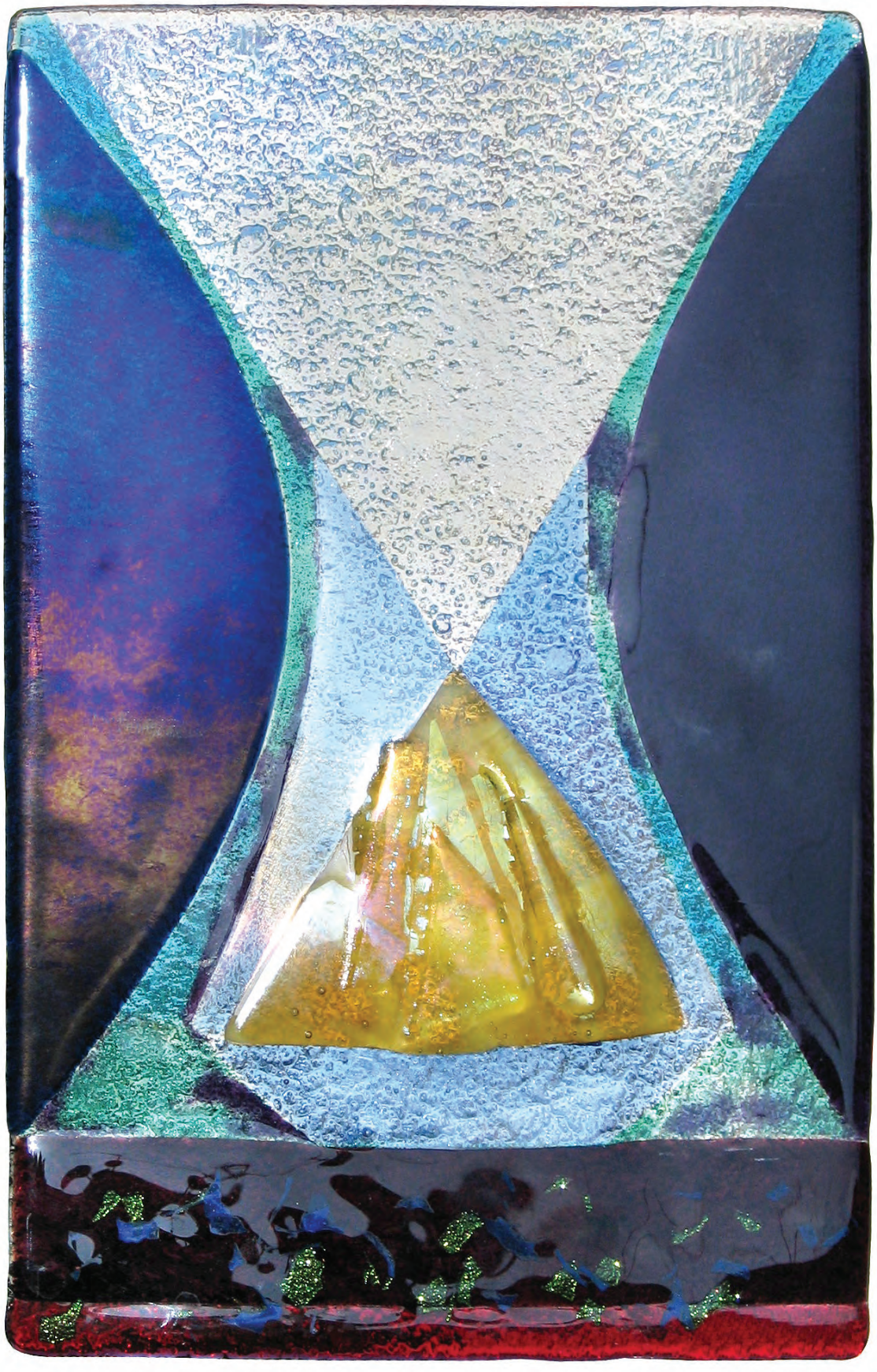

et du sang d'où coulent des lettres, je contemple
mon sang en sanglots
et moi, dans la mer en train de rassembler
la dissémination de l'archipel
mûr, la foi inébranlable
misère de mon âme ! Quel feu me consume
en présence de l'adoré
moi, crucifié, mes écrits sont-ils charbon pour mon incendie ?
Chaque fois que mon désir s'attise pour mon Seigneur
sur l'autre rive, le désert m'accapare
Mon cœur prisonnier gémit sous le poids des ignorances
et de ce qui proviendrait de l'artifice des tireurs
Pardonne mon engouement pour la mer et les palmiers
et mon amour pour l'éclat du soleil, mon dévoilement de ce que je vois
Pardonne mon cœur, et délie mes yeux de l'obscurité d'une prison
qui a trop duré
Ô toi débutant en amour, ne parie point !
Au milieu des oiseaux est passée une nuée de saisons
Les arbres hémorragiques se sont découverts
et les veilleurs des matines se sont dispersés
Ne parie point…
Il n'y a pas d'hôte dans la soutane
Cela fait longtemps que le mihrâb est sans imam
Les ablutions du sang sont obligatoires
et les douleurs de l'enfantement de l'aube
espèce de poussière noire
et densité des nuages
Peut-être ne serais-tu pas accessible, alors n'écoute pas
ne te préoccupe pas des torrents adulateurs
Le vase n'est plus que tombe où se succèdent les fleurs
Les plaies pansées demeurent saignantes dans les embûches
Peut-être oubliera-t-on, mais les traces restent et ne meurent guère
Ce fut gravure sur roc et encre sur papier.
La chatte était dans le giron de la soie
avec le bris, la voilà aujourd'hui affamée
dans les ruines des villes.

elle éclaire le jour de l'univers d'un soleil
et tourne la face vers le crépuscule
Son souci est que le dissimulé dans ses profondeurs,
le dressé dans le croisement, ne voit rien qui arrose l'âme
et irrigue les épis de la nostalgie
ou qui injurie les remparts du désarroi.
Arbres pour lesquels l'oiseau chantait
Vieillissant, ils ne deviennent qu'appui pour le nid…

Ami des nuages
La nuit avance vers elle sans que la pomme de l'âge
ne lui offre un *madjnoun* dénudant la passion refoulée
dans les météores ou délivrant une étoile
fragmentée de lueur

Sa soie a longuement hypothéqué le vent
l'horizon n'est que signe de main
d'un passant, et le fleuve à la mer passage

Comment pourrais-je
quand je tais le secret de la gravure
apporter le rituel du mont maussade
et déchiffrer les amulettes des charlatans ?
Comment pourrais-je lever mon hypothèque
sur les textes de pierre enflammée
sur ce qu'apporte la passion trompeuse ?
Carte des religions je suis
mon cœur est parchemin d'écriture,
l'encre est mon sang
mes dates, références des conteurs
Je sollicite la protection de l'Unique contre les mensonges des usuriers
et je donne mes offrandes, sel pour les mers
Alors me vient un astre marchant sur l'eau
et aveuglé par la fumée de la flotte des conquérants.
Stupéfait, je me mets à t'appeler : rétablis-toi de la souillure de la mer
Lève-toi, Dame de l'eau, la mer est naufragée

La pulsation de la gravure sur le roc m'intrigue

# Topaze dans un vase

Levé au moment où l'heure est sur l'épée
je fends les pierres dures pour frayer une voie de sauvetage
De temps en temps, les veines des rocs
ouvrent devant moi un brin de fascination
Le jour est sur le point de se révéler
mais ne se dévoile guère après la prière
Ô chemin ! chaque fois que je m'y enfonce
l'amour me possède, se charge de moi
et me guide vers un non-chemin
Quel chagrin né à l'improviste dans ses yeux
éclata et convia l'éclair à apposer
un tatouage pour les exégèses ?
Nulle mythologie pour prédire
le mystère qui orne les perles

Fleurs pour ses yeux…
pour la tempête de l'océan marquant les limites
Gaieté inspirée par l'éclat du visage
et grandeur d'une femme
dissimulant ce qui s'attise dans le cœur
méprisant les tourments des heures enflammées
et les prémices de la naissance d'un incendie

Elle regagna la mer par la rivière avec des fleurs
et des branches d'arbres
Ses pieds foulèrent le sable des légendes
Les lamentations des minarets enchantent son cœur
et l'éventualité d'une messe de danger
La prudence d'une alouette ne la quitte guère
Elle ne fut que cheveu de la balance…
Couleur de l'eau, elle tremble
Chaque fois qu'une palpitation la surprend et la fait frissonner

# ذلك الهارب مني

# *Celui qui me fuit*

خِلسَةً، تسْرقُ الوقتَ، وتَمْضي
بدماءِ غَسَلَتْها لكَ أوْجاعي
و تَمْضي، لكأنَّ الهاربَ المفْضُوحَ منـِّي
أخْطأ المَرمى، وأضْحى فتْنَةَ النـِّسْيَانِ . .
سَهْماً طائشاً، ضاعَ، ولمْ يدْرأْ وُجُوهَ الغَيْر عنـِّي
خلسَةً، تَسْتَدرجُ الأيامَ، يوماً بعدَ يومٍ
تَتَشَفىّ بضَياعِ الأمْكنَةْ،
وغيابِ الدَّهْشَةِ الأولى
و تَسْبيحِ الرُّعُودِ الماطرَةْ
و المَسَافاتُ التي بَيْنَ دُعاءِ القابلَةْ
و قطار الذاكرةْ
تَنْهَشُ القَلبَ، فَلا تَبْدو وُرُودٌ للبداياتِ
ولا تَبْدو حُدودٌ للأقاليْمِ
ولا تَبْقى سوى تِلكَ الوُجُوه النَّافِرَةْ
لأناسٍ مِنْ ألقْ
وَ أناسٍ مِنْ وَرِقْ
وَ سِوى ذاكَ الذي في الجَمْرِ لا يَغْدو رَماداً
وَ سِواها . . تتَلَظىّ في انشطاراتِ القَلَقْ
فَإذا أنتَ منْ جَمْري شَرارٌ
بَاغَتَ الرّائي وَلمْ يُشْعِلْ فَتيلَ الأمْسِ . .
لَمْ يُبق فَنَاراً للسّنينِ الضّائعَةْ
فَلماذا كلُّ هذا الفَقْدِ ، يَا صَاحِبَ الخُسْرانِ ،
يَا شَمْعَ المَرايا الذاهِلةْ ؟!
***
مَا الذي يُجْدي وَخَطْوُ الرّيْحِ إيقَاعُ الثّواني
وَ فِرَارُ الأزْمِنَةْ ؟

أنا لا أمْسكُ شيَئاً أتمَلاهُ
وَلا وقْتَ لأفْضي شَجَنَ القَلب لأشْجَار الطريقْ
كيفَ تمْضي كَما اللَّقْطة في الحُلم
كَما الوَمْض لشَيْء لا يَبِنْ ؟!
ثُمَّ تبْقى، وَلا تبْقى، سِوى تِلكَ الوُجُوه النّافِرَة
لأناس طيِّبينْ
بَارَكوا خَطْوَكَ. .
أوْصوا شَجَرَ النبْق و طيْفاً لَملاكْ
وَ دَعوا اللهَ
لا الشمسُ يَوماً دُونَ ظل تَعتَريكْ
لا وَلا وحْشةُ المُدلِجِ فَرداً تَقتَفي إثْرَ خُطاكْ
أيّها الهَاربُ منّي
يَستحِثُّ الخَطوَ في غيْر اكتِراث . . للهَلاكْ.

Puis tu restes, et ne demeurent que ces visages saillants
de braves gens
ayant béni tes pas
exhortant les jujubiers et les rêves d'anges
et implorant Dieu
Nul soleil sans ombre ne t'atteindra un beau jour
Non ! Et point de solitude de l'esseulé marchant sur tes traces
Ô toi qui me fuit
pressant sans souci le pas vers la perdition !

# Celui qui me fuit

Clandestinement, tu dérobes le temps et tu t'en vas
avec du sang purifié par mes souffrances
Tu t'en vas, mais le fuyard révélé
rate la cible et devient discorde de l'oubli
flèche égarée sans repousser les visages d'autrui
Clandestinement, tu dupes le temps, jour après jour
Tu te venges de la perte des lieux
de l'absence du premier étonnement
de l'égarement des tonnerres pluviaux
des distances sises entre les prières de la sage-femme
et du train de la mémoire
Tu broies le cœur, les fleurs des origines se dissimulent
et les frontières des régions
Seuls demeurent ces visages saillants
de gens en éclats
de gens en feuillets
et seul demeure celui qui dans les braises ne devient pas cendres
et elle seule, demeure, s'attisant dans les fragments du désarroi
Alors, de mes braises tu es tison
surprenant le regard sans allumer la mèche de la veille
sans laisser de phare pour les années perdues
Pourquoi tant de privations, Ô toi le perdant !
Ô bougie des miroirs consternés !

Qu'importe lorsque les pas du vent sont au rythme des secondes
et fuite des temps ?
Je ne tiens rien dont je jouisse
Point de temps pour révéler les tourments du cœur
aux arbres du chemin
Comment passes-tu comme une scène dans un rêve
comme la fulgurance d'une chose invisible ?

# غسول المرافئ

# *Lotion des ports*

تَـُظنـّيـنَ بـي كُـلَّ ظـَن . .
وأصْـُحو عـلى الـظـنِّ جَـمْراً
يُقـاسـُمـني زَهْـرَةً فـي الـرَّمادْ
هـيَ الـنـَّارُ نـُسْـكٌ وُطـهْـرٌ
وألـعُوبَـةٌ فـي مَـلاذِ الـتَّـجَـنـِّي
وأسْـطُورَةٌ لـلـجُـنُـونْ
أصبُّ عـلى الـنـَّار مـنْ غَـفـْلَـةِ الـرُّوحِ
مـاءَ الوُضوء ، وألـجَـأُ لـلـرَّمْـلِ
أبْـردُ مسْـمَـارَها فوقَ صدْري
وأبْـعُدُ عَـنـِّي الـدُّخـانَ، وأنـْجُـو
مـنَ الـظـَّنِّ حتى كـأنَّ الـظُّـنُـونَ
غَـسُولُ الـمَـرافـئ عـنـدَ الـمَـطَـرْ
وأنَّ الـسَّـمـاءَ بـلا رَجْـفـَةٍ لـلـغُـيُـومِ . .
بـلا رعْـدهـا والـبُـروق
مُـجَـرَّدَ لـون عـلى صَـفـْحَـةٍ مـنْ وَرقْ
وأنَّ الـنـُّجُـومَ الـلـوامـعَ فـي مَـجْـدهـا الأبَـدِيِّ
زُجـاجٌ تـَنـاثـَرَ فـَوقَ رثـيـثِ الـخـِرَقْ.

Christa Legendre
2000

# Lotion des ports

Tu doutes pleinement de moi
Braise, je me réveille dans le doute
me partageant une rose dans les cendres
C'est le feu : ascèse et pureté
jeu dans l'asile de l'incrimination
et mythe de la folie
Sur ses flammes, je verse l'eau purifiante
de la torpeur de l'âme et recours au sable
J'en rafraîchis la pointe sur ma poitrine
j'éloigne de moi la fumée et échappe au doute
comme si le doute était lotion des ports lors des pluies
et que le ciel était sans frisson pour les nuages
sans torrents, sans éclairs
comme s'il était simple couleur sur une surface en papier
et que les étoiles brillantes dans leur éternelle gloire
n'étaient que fragments de verre dispersés
sur des frocs rapiécés

# صدى الأشواق

# L'écho des désirs

زغردي ياخالتي.. يا (أمَّ جاسمْ)
زغردي قد عاد طرَّاقُ المواسمْ
جهِّزي الحنَّاءَ، هاتي الياسمينْ
هاك ماءَ الورد والعُودَ الثمينْ
عطِّري (البِشْتَ)[1] وأعطيني الخواتمْ.
طافت البشرى بأهلِ الحيِّ.. قُومي
واترُكي عنك تَعلاّتِ الهمومِ
قد سمعتُ الكلَّ في الأسيافِ يحكي
عن شراعٍ في المدى اجتاز اختبارات المحكّ
لا يُبالي الموجَ أو لَفْحَ السَّمومِ.
ساعديني، رتِّبي عني المساندْ
وانثري المشمومَ والأشواقَ في كل الجوانبْ
وأصيخي السمعَ (للهُولو)[2] على الشطآنِ عائدْ
أشهُرُ الغوص تمطَّتْ.. فتبدَّتْ
في حساب العُمر قرناً وهو غائبْ
يا لفرحي.. ساعةُ اللُّقيا دَنتْ !!
كمْ جميلٌ كلُّ ماحولي، حبيبٌ .. كلُّ من حولي، وقلبي
طفلةٌ مزهوَّةُ الأفراح في ليل الموالدْ
هل تُرى كلُّ نساء الحيِّ مثلي؟ في اندفاعي؟
عندهنَّ اللهفةُ الهوجاءُ في حرِّ التياعي؟
واشتياقٌ لو تعرَّى بانَ مجنونُ الرغائبْ؟
مالذي ألبَسُ يا مرآتيَ الرعناء.. قُولي
(نشليَ)[3] المزدانَ بالنجمات والكمِّ الطويل ؟
أمْ تُرى ذلك أنسبْ (نشليَ) الوردي المقصَّبْ ؟
إنهُ يُظهرُ والتطريزُ طولي.

***

1 - البشت: عباءة من الصوف مشغولة الأطراف بالقصب، يرتديها الرجال

2 - الهولو: لحن الغوص المشهور.

3 - النشل: زي من الازياء الشعبية الجميلة التي كانت ترتديها المرأة في الخليج.

يا حبيبي..
سوفَ ألقاكَ بتهليلي، وأنغام الطُّبولِ
سوفَ يلقاكَ ابتهالي.. وسُؤالي:
كيفَ طوَّفتَ بأعماقِ البحار؟
كيفَ حالُ البحر في صمتِ الليالي؟
كيف أنتمْ في عُيون الشمسِ .. في ذاك النَّهار؟
كيفَ كُنتمْ و اللآلي ؟
خبِّر الدنيا وخبِّرنيَ وارفعْ
آهةَ( النَّهَّام )[4] في الأجواءِ باللحنِ الموقَّعْ
روِّعِ الحيتانَ في الأعماقِ يا ابن السِّندبادْ
رَوِّعِ الظُّلَّمَ وأنصافَ الرِّجالْ.. في عنادْ
قُلْ لهمْ كيفَ يكونُ العيشُ في دُنيا حقَيرهْ
يَركبُ الكلُّ المحالْ:
ينبُرونَ الوحلَ في قلبِ الهلاكْ باصطبارٍ .. في اعتلالْ
يَفلقونَ الصَّدَفَ الموحلَ في عزِّ الظهيرهْ
حسبما شاءتْ أميرهْ
في أقاصي الأرضِ .. في أغنى البلادْ ..
في قُصورٍ منْ ضلالْ
تتشهَّى في دلالْ..
دُرَّةً حُبلى.. نضيرهْ.
***
يا سنينَ الغوص ، يا ظُلْمَ الرجالْ
يا أتوناً عشتَ كيْ تَصلى سعيرهْ
أيها المحموم في ليلِ السُّهادْ..
أيها المحروم يا ابنَ السُّندبادْ
زلزلِ الدُّنيا وأسمعني، وصعِّدْ
للسَّما صرخةَ حقٍ لا تحيدْ
إذْ متى أُنصَفُ يا ليل الجواري والعبيدْ
ومتى أرفعُ رأسي للصواري
شامخاً، مثلَ شراعي في فضا كلِّ البحارْ ؟
ومتى يعلو على (البتِّيل)[5] في النُّورِ إزاري كالبُنودْ ؟
ها هُنا الإنسان في ذاتي يُردِّدْ:

4 – النهام : مغني البحر.
5 – البتيل : من انواع المراكب الكبيرة التي تستعمل للغوص.

عادَ حقّي.. عادَ حقّي.. ويُزَغردْ.

***

يا حبيبي..
سوفَ أحكي لكَ عنْ شوقي جهارا..
عنْ جُنون الصبيةِ اللاهينَ في حقلٍ توارى
خلفَ كُثبانِ الرِّمالْ
وعنِ العينِ وضحْكاتِ الصَّبايا دُونَما أيِّ اتزانْ..
عَنْ نخيلٍ أَرطبَتْ قبلَ الأوانْ ..
عنْ حكاياتِ الزمانْ..
عنْ (مُراداة)[6] العَذارى
عصر يوم العيدِ .. عنْ كلِّ السَّهارى في أمانْ.

***

يا حبيبي،
سوفَ أحكي لكَ عن ليلِ المُحرَّقْ
حينَ يخلو منْ جُموعٍ تنزوي في كلِّ مفرقْ
تقطعُ الوقتَ بأوهامٍ وأحلامٍ ، وتطرقْ
كلَّ بابٍ للدعاباتِ وأشجانِ الحديثْ.
سوفَ أحكي لكَ عنْ ليلِ المحرَّقْ
حينما يخلو من النَّايِ المؤرَّقْ في الليالي المقمراتْ
يسكبُ اللَّحنَ العراقيَّ الحزينْ
طارقاً كلَّ الحواري والجهاتْ
ليُبَكّي قلبَ عذارءَ سَجينْ
تزرعُ الآهَ وأصداءَ الأنينْ
في أعالي حصنِها الدَّاجي الحصينْ.
سوفَ أحكي لكَ عن ليلِ المُحَرَّقْ
حينَ يَغْرَقْ في متاهاتِ الظلامْ
وطُيُورُ الليلِ حيرى .. لا تنامْ
ترصدُ السَّاحاتِ فُقراً من زحامْ..
منْ ضَجيجْ.
يا أساطيرَ الخليجْ
لي فيكِ عِبْرةٌ عِنْدَ الختامْ
عن جزاءِ الصَّبرِ للقلبِ المحرَّقْ.

6 - المراداة: رقصة شعبية مشهورة، تؤديها النساء فقط.

ch. Legendre
1994

Ô mon bien aimé…
Je te dirai mon désir à haute voix…
Je te conterai la folie des jouvenceaux badinant
dans des champs latents
derrière des dunes de sable
Je te conterai la pupille et les rires incontrôlés
des pucelles
Je te conterai les palmiers prématurés
les histoires d'antan
la *murada*[6] des pucelles
dans les après-midi de fête
et tous les veilleurs
en sécurité.

Ô mon bien aimé !
Je te conterai les nuits de M*uharraq*[7]
vides d'habitants retirés dans tous les recoins
passant le temps à fantasmer et à rêver
à frapper aux portes de l'ironie et du tourment des paroles
Je te conterai les nuits de M*uharraq*
vides de flûte insomniaque
dans les soirées étoilées
versant la mélodie iraquienne affligée
frappant à toutes les régions et les quartiers
faisant pleurer le cœur prisonnier d'une vierge
semant les soupirs et les échos des pleurs
aux cimes de sa citadelle sombre et inaccessible
Je te conterai les nuits de Muharreq
noyées dans les labyrinthes des ténèbres
et les oiseaux nocturnes perplexes, sans sommeil
guettant les places désertes, sans cohue
sans vacarme.
Ô mythes du Golfe !
Je vous suis redevable d'une leçon
à propos des bienfaits de la patience
pour le cœur incandescent

6- Célèbre danse traditionnelle effectuée seulement par les femmes. 7- Deuxième ville de Bahreïn, après la capitale Manama.

Je t'accueillerai par mes chants et le son des tambours
Ma prière t'accueillera
et ma requête :

Comment as-tu erré dans les profondeurs des océans ?
Comment va la mer dans le silence des nuits ?
Comment étiez-vous dans la prunelle du soleil ce jour-ci ?
Comment étiez-vous et comment étaient les perles ?
Dis-moi et raconte au monde entier
Déclame le soupir du *nahham*[4]
dans les vents aux rythmes scellés

Épouvante les baleines dans les abysses, Ô fils de Sinbad !
Épouvante la cruauté et les demi-humains
Obstinément
Dis-leur à quoi ressemble la vie dans un monde ignoble
où chaque être tente l'impossible
et impatiemment, invalidement
chacun hisse la boue dans le cœur de la perte
et crevasse les coquilles bourbeuses au milieu de la journée
au gré d'une princesse
au fin fond de la terre… dans un pays opulent…
dans des palais de vanité
désirant capricieusement
une perle ronde… éclatante.

Ô années de plongée ! Ô atrocité des hommes !
Ô fournaises vivant de flammes !
Ô fiévreux dans les nuits de l'insomnie !
Ô frustré, fils de Sinbad !
Remue le monde, fais-moi entendre
un cri de justice infaillible élevé au ciel
Ô nuit des esclaves ! Quand justice me sera-t-elle rendue
et quand pourrai-je lever dignement la tête
tel un voilier dans le large des eaux
et faire face aux mâtures ?
Quand mon voile dans la lumière
vaincra-t-il le *bettil*[5] ?
Auquel cas, ne cessera de répéter l'humain en moi :
justice m'est rendue ! Justice m'est rendue !
Et de crier de joie.

4- Le chantre de la mer. 5- Grand navire utilisé pour la plongée

# L'écho des désirs

Crie de joie, Ô Tante ! Ô Oumm Jasem !
Crie de joie, les annonceurs des saisons sont de retour
Prépare le henné, apporte le jasmin
Tiens l'eau de rose et le santal précieux
Parfume le *bisht*[1] et donne-moi les bagues
La bonne nouvelle vogue dans le quartier… Lève-toi
et laisse de côté les grisailles de la vie
J'ai entendu tout le monde parler d'un voilier
dans les rivages
vaincre les épreuves de l'endurance
dépasser vagues et souffles de venin
Aide-moi, range les oreillers
éparpille bouquet et nostalgie dans tous les coins
écoute attentivement le *houloulou*[2]
revenu sur les océans
Les mois de la plongée s'étirent
et semblent, quand il s'absente
un siècle dans l'horloge de l'âge
Quel bonheur ! L'heure des retrouvailles approche
Autour de moi, tout est beau, tout est chéri
Mon cœur est l'enfant allègre des fêtes nocturnes des naissances
Toutes les femmes du quartier seraient-elles comme moi ?
Auraient-elles mon élan ?
Auraient-elles le même désir ardent dans la chaleur de l'éloignement
et une convoitise, si elle se dénude
dévoilerait-elle la démence des envies ?
Que mettrai-je ô miroir étourdi ? Dis-moi
Mon *nashl*[3] garni d'étoiles aux manches longues ?
ou ce rose brodé
mettant plus en valeur ma silhouette élancée ?

Ô mon bien aimé !

1- Soutane en laine aux manches brodées, portée par les hommes. 2- Célèbre chanson de la plongée.
3- Tenue féminine traditionnelle du Golfe

# أنين الصواري

# Le *gémissement des mâts*

ويحَهُمْ قدْ أَبحروا، ويحَ الشُّجونْ
ويحَ ما يجتاحُ أعماقي
ويطغي في جنونْ
ويحَ أيَّامٍ تغذّتْ مِنْ عذابْ
ثُمَّ هدَّتْ جسميَ العاجزَ البادي الغضونْ.
ها هُمُ قدْ أَبحروا.. كلُّ الرفاقْ
شَرَّعوا بالشَّوقِ في بدءِ انطلاقْ
والمجاذيفُ مضتْ في البحرِ .. عُنفاً واتِّساقْ
بينما تلكَ الصَّواري في أنينْ ..
هيَ و( النَّهَّامُ ) في لحنٍ حزينٍ .. لا يُطاقْ .

***

وأنا وَحدي وأحزانُ المساءْ
واصْطخابُ الموجِ في لغو النِّساءْ
واختلاجاتُ الوداعْ
وانسكابُ دمعةٍ عذراءَ مِنْ طفلٍ صغيرْ
يحتمي بالأمِّ .. عيناهُ نداءْ
وسؤالٌ لجَّ في الأعماق.. مبحوحُ الرَّجاءْ
يا أبي، كيفَ اللِّقاءْ ؟؟
رُبَّما عَزَّ اللِّقاءْ.

***

يا لَعملاقِ طعينِ الكبرياءْ
بعضُ إنسانٍ على الشاطىء ملقىً كالرُّفاتِ
عافهُ البحرُ وأَردَتْهُ قوانينُ الطُّغاة
بعدَ أنْ عاشَ سنيَّ العمرِ مصلوبَ الحياةِ
بين أفواهٍ تُنادي، ومُنادٍ : هاتِ من دَيْنِكَ هاتِ [1].

1 - يأخذ البحارة في بداية كل موسم مبلغاً من المال كسلفة من رب العمل ، يقيمون أود أهلهم ويشترون منها لوازمهم الخاصة.

كمْ بكى قلبي منَ الخوف غريرا
حين رُدّتُ البحرَ ( تبَّاباً )[2] صغيرا
شيَّعتني الأمُّ بالدَّمع وأوصَتْني كثيرا
وأبي يرجو من الله بأن أغدو كبيرا..
أحملُ العبءَ وأرتادُ الغمارْ
باحثاً عن لُؤلؤ يُغري ( طَواويشَ )[3] البحارْ
أو لعلَّ الحظَّ يأتيني بـ( دانهْ )[4]
لمْ يرَ الغوَّاصُ حُسناً مثلها.. أو حوى قلبُ المحارْ
لِيَ منها نظْرةُ العابد.. أولاها الأخيرهْ
ثُمَّ تمتدُّ اليدُ النَّاعمةُ اللَّمس الأجيرهْ
تزرعُ الحَسرةَ في نفسي الكسيرهْ
فتواريها ،وحظّي قُوتُ أفواه فقيرهْ .
***
في نهار الغَوْص أحيا في الزِّحامْ
أرْقبُ البحرَ وأخشو تبغَ غوَّاص هُمامْ
يسبرُ الأغوارَ قهراً واصطدامْ
وأرى أيدي الرِّجالْ ..
خرَّشتها كثرةُ الملح وأدمتها الحبالْ
ثُمَّ يأتي الليلُ من بعد الكَلالْ
خابيَ الأنجم .. مهزوزَ الظّلالْ
فيرينُ الصَّمتُ إلاّ منْ سعالْ..
وأنين وابتهالْ
فـأقَضّي اللَّيلَ محمومَ الخيالْ
تُكثرُ الأوهامُ من حوليَ أشباحاً ثِقالْ
تُرهبُ القلبَ، وتمتصُّ الثَّباتْ.
***
ثُمَّ لفَّتْ بي سنينُ العُمر لفَّهْ
قد خبرتُ الغوصَ فيها
باجتهادات وخفَّهْ
وعشقتُ البحر .. صارتْ ليَ مَعْهُ بعضُ ألفه

2 - التباب: صبي البحر.
3 - الطواش: تاجر يجوب البحر في مركب خاص بحثاً عن سفن الغوص ليشتري منها اللآلئ، في عرض البحر تجنباً لمنافسة تجار آخرين.
4 - الدانة: اللؤلؤة الجيدة الكبيرة الحجم.

وافتقدتُ شوقيَ المنهوم لاستقبال ضفـَّةْ
هكذا من فَرط حُبِّي..
كدتُ أنسى كلَّ أولادي وقلبي
وأعيشُ العمرَ جوَّالاً بركبي
نقسمُ الرِّزقَ جميعاً بالسَّواءْ..
كلَّما جادَ لنا بالرِّزق رَبِّي .
***
شرْعَةُ البحرِ تريدُ الأقوياءْ
وأنا جسمي عَياءْ
أنفَ المجدافُ عن كفِّي إباءْ
أبداً.. يا بحرُ مالي من عزاءْ
حين صاحت بي الجمُوعْ
وَهْيَ في إحكامِ ربطٍ للقـُلوعْ:
في أمانِ الله .. لـُقيانا قريبْ
ثُمَّ لوَّحتُ ، وغشَّتني الدُّموعْ..
بينما تلك الصَّواري في أنينْ ..
هيَ و( النـَّهَّامُ) في لحنٍ حزينٍ .. لا يُطاقْ.
***
إيهِ يا بحرُ، حَكَايانا كثيرهْ
ملها اللـَّيلُ ومجَّتها الظهيرهْ
كدَّني الغوصُ، وما زلتُ أسيرَهْ
ها هُمُ قد خلـَّفُوني..
كالبقايا.. منْ نُفاياتٍ حَقيرهْ.

chantallegeadze
2002

La consolation, Ô mer ! Je n'en ai point
quand la foule me hurla
au moment où elle attacha les voiles :
à bientôt ! Les retrouvailles ne sont pas loin
Ils me firent signe et mes yeux s'emplirent de larmes
alors que ces mâts gémissants
accompagnaient le chantre d'une mélodie
d'une tristesse insupportable

Eh ! Nos histoires sont interminables, Ô mer !
La nuit en a assez et le jour les crache
La plongée m'a harassé et j'en suis encore prisonnier
Les voilà me délaissant
comme les miettes d'insignifiants déchets

et mon père d'implorer Dieu que je grandisse
que je porte le fardeau et que je me rende en pleine mer
en quête de perles aguichant les taouaches[2] de la mer
ou pourvu que la chance me sourie et m'apporte une dana[3]
d'une beauté jamais vue par un plongeur
jamais contenue dans une coquille
Je n'ai d'elle que le regard de l'adorateur
le premier étant dernier
puis une main douce salariée se tend, la dissimule
et sème le regret dans mon âme brisée
Ma part du butin, quelques vivres pour des bouches misérables
Dans la journée de plongée, je vis en foule
et guette la mer
je bourre le tabac d'un plongeur intrépide
explorant les fonds par force et abordage
et je scrute les mains des hommes
irritées par l'excès de sel et ensanglantées par les cordes
Puis, après la lassitude vient la nuit
aux étoiles fanées, aux ombres vaincues
Le silence s'épaissit hormis quelque toussotement,
prière et gémissement
L'imagination fébrile
le cœur effaré, faute de sérénité
je passe la nuit
Les hallucinations intensifient autour de moi
de lourdes visions

Les années de mon âge virevoltent
J'appris assidûment et habilement la plongée
Je me pris de passion pour la mer et nous devînmes bons amis
Je perdis mon désir avide d'accueillir une rive
à force de passion
Je faillis oublier mes rejetons, mon cœur
et vivre toute ma vie sillonnant avec mon convoi
partageant gain, pain, équitablement
chaque fois que Dieu nous en offre généreusement

La loi de la mer exige la force
mais mon corps n'est plus que faiblesse
les rames n'ont que dédain pour mes mains

2- Taouache : commerçant sillonnant la mer à bord d'un navire privé à la recherche des plongeurs pour acheter leurs perles au large afin d'échapper à la concurrence des autres commerçants. 3- Belle et grosse perle.

# Le *gémissement des mâts*

## أنين الصواري

Malheur à eux, ils ont navigué… ! Malheur aux chagrins !
Malheur à ce qui envahit mes profondeurs
et à ce qui domine en démence !
Malheur à des jours alimentés de tourments
affligeant mon corps buriné et languissant !
Les voici tous prenant le large
tous les compagnons
ramant de désir au début du voyage
Les rames dans la mer s'enfoncent
violemment et harmonieusement
alors que ces mâts gémissants
accompagnent le chantre dans une mélodie
d'une tristesse insupportable

Seul avec l'angoisse du soir
le bourdonnement des vagues dans le radotage des femmes
le tressaillement des adieux
le versement d'une larme vierge sur la joue d'un enfant
protégé par sa mère, les yeux en clameur
une question hantant ses abysses, quémandant à voix cassée
Ô Père ! Comment te revoir ?
Peut-être ne te reverra-t-on jamais ?

Ô géant transpercé d'orgueil !
Quelques débris d'un humain jetés sur la rive
dégoûtant la mer et abattu par les lois des tyrans
après avoir vécu un âge sublime, une vie suppliciée
entre des bouches qui interpellent
et un appelant : Donne de ta dette, donne[1].
Vaniteux, mon cœur a pleuré de peur
quand, jouvenceau, j'ai fréquenté la mer
Ma mère m'a accompagné en larmes et m'a longuement conseillé

1- les marins reçoivent au début de chaque saison une somme d'argent comme en règlement d'une dette de leur employeur pour subvenir à leurs besoins et à ceux de leur famille.

# حدّثيني

# Parle-moi

قد حَوانا اللَّيلُ،
والأشواقُ في الأحداقِ تُوحي
حدِّثيني يا مَهَا نجدٍ،
بأشعارِ النُّزوحِ
واسْكُبي عَذبَ حديثِ النَّفْسِ
في قلبي ورُوحي
أسْمعيني هَمْسَكِ المِغْناجَ ،
يا هيفاءُ بُوحي..
بالذي أضناكِ منْ وَجدٍ،
ومن تَوْقِ الطُّموحِ
حدِّثيني، وأفيضي..
عَلَّها تُشْفى جُروحي.

***

لا تلومي قلبيَ الصَّادي
إذا لَحَّ وغالى
في اشتياقٍ يرتجي
هَمْسَ تناجينا وِصالا
أنا لا أطلبُ إلاّ
أن أرى البَدْرَ اكتمالا
هُوَ في العَلياءِ يَزْهُو
كيفما شاءَ اختيالا
وأنا في الأرضِ يكفي
أن أراهُ يَتلالا.

# Parle-moi

# حدثيني

La nuit nous contient
et les désirs dans les pupilles nous inspirent
des poèmes de l'éloignement !
Verse le délice des propos de l'âme
dans mon cœur et mon âme
Fais-moi entendre tes murmures enjôleurs
Ô grâce de beauté, révèle
la passion qui te tourmente
et le désir ardent !
Parle-moi et déborde
pourvu que cela panse mes plaies

Ne blâme pas mon cœur altéré
s'il insiste et dépasse les bornes
et espère dans son désir
que nos murmures soient union
Je ne demande qu'à voir la pleine lune
Elle, fière, dans ses hauteurs, se pavanant à son gré,
et moi sur terre, il me suffit de la voir étinceler

# لا أحد

# Personne

عَاصِفٌ ليْلي ، ومِنْ قَلْبي أرى
فيما يَرى النائِمُ ، أنّي
شَجَرٌ في بَلَد
وجُذوري في بَلَدْ
وبأنّي حَجَرُ الياقوتِ في مَكمَنِهِ
وبأنّي الدُّرُّ في خافِي الصَّدَفْ
وبأنّي موجَةٌ خَجلى تُنَمّي سُحُباً
تَتَسَقّاها تضاريسُ الأبَدْ
وبأنّي قَادحُ البَرق، وذَوْبٌ من بَرَدْ
وشُعاعٌ عَبْقَرِيٌّ، في احْتمالاتِ النُّطَفْ
وبأنّي رجْفَةُ الظبيِ ، طَريداً
وأسى قلبٍ صَريعٍ ، قدْ هَمَدْ
***
. . وأرى فيما يَرى النائِمُ ، أنّي
أبْجَديّاتٌ وأعيادُ ميلادِ لحَرفْ
وبأنّي ذلكَ المَعْنى الخُرافيُّ الذي أوْمَضَ
في أبْهى خَلَدْ
فإذا بي نَقَراتٌ ، عَذبَةُ الإيقاعِ
في أطْرافِ دُفْ
وأراني زَهْرةً ،
وأراني نَحْلَةً ،
وفَراشاً يَتَلظّاهُ الصَّهَدْ
وإذا حَولي رجالٌ منْ رُخامٍ
يَتَسَلَّونَ بنقشٍ
كانَ يوماً في حَجَرْ
وأناسٌ في صُفُوفٍ ، ونشيدٌ

يُسكرُ الروحَ : « مَـدَدْ »
ونِـسَـاءٌ منْ خَـزفْ . .
غـارقـاتٌ في بحار المِسْك ، لكـنْ
ليسَ للمِسْك أريـجٌ ، وعلى الـشَّاطئ
سَيْفٌ لشَهيدٍ ، وحَمَامٌ يَـذرفُ الـدَّمَ بَـدَدْ.

***

. . وأرى فيمـا يَـرى النـائـمُ ، أنـِّي
بُلبُلٌ غَنَـّى . . وغَنَـّى ، واعْـتـكَفْ
وبأنـِّي غارقٌ في ابتهالات مُحيّاكِ
وأحْـزاني الصَّحارى دونَ حَـدْ
وبأنـِّي طَرفُـك النـاعِسُ عندَ الصُّبْحِ
صَلـىّ ، وارتـجَـفْ
وبأنـِّي صِرتُ عَبْـداً ، ومَـلاكـاً ،
وأسـيـراً لغَـوايات الجَـسَـدْ
ثُـمَّ أنـِّي فِي عَـذابٍ لمَخاض ، كُلـُّهُ
كانَ جَواباً ، لسُـؤالٍ مِنْ زَبَـدْ
وبأنـِّي كُلـَّما فَـاضَ بيَ الـشَّـوقُ
تَـوزّعْـتُ على البُعْـد نُـتَـفْ
ذاهـلاً أجْـري . . وأجْـري
ناكِراً كُـلَّ تَـواريخـي ، كأنـِّي
فِي زحَـام الكَـوْنِ هَـذا . . لا أحَـدْ !

Et je vois dans le songe d'un dormeur
que je suis rossignol qui chante, chante et se met en retraite
que je suis noyé dans les médidations de tes traits
et les chagrins arides de mon cœur sans limite
et que ton profil, à l'aube, somnolent,
implore et frissonne
que je suis devenu esclave, ange
et prisonnier dans l'égarement du corps
que je suis dans les tourments d'un enfantement
rétorquant pleinement à une question en écume
que, lorsque de nostalgie je déborde
en particules, je m'éparpille au loin
Effaré, je cours et cours
niant toutes mon histoire, comme si
dans la cohue de cet univers, je n'étais Personne

# Personne

# أحد

Orageuse est ma nuit, par mon cœur je vois
dans le songe d'un dormeur
que je suis arbre dans un pays
dans un autre mes racines,
que je suis rubis dans son abri
et que je suis perle dans la nacre voilée,
que je suis vague timide attisant des nuages
irriguant les reliefs de l'éternité,
que je suis étincelle d'éclairs et fusion de grêle
rayon subtil dans le potentiel des graines,
que je suis frisson du chamois pourchassé
et chagrin d'un cœur éteint, éploré

… Et je vois dans le songe d'un dormeur
que je suis alphabets et commémorations des lettres
que je suis ce sens légendaire luisant
dans un esprit resplendissant

Je suis percussions, rythme mélodieux
à l'orée d'un tambour
Je me vois fleur,
Je me vois abeille,
et papillon enflammé par la chaleur
Autour de moi des hommes
s'amusant à une gravure
qui fut un jour sur une pierre,
des gens en rangs
et un chant enivrant l'âme : Au secours !
des femmes en céramique
noyées dans des océans de musc,

sans fragrance
l'épée d'un martyr sur le rivage
et des pigeons perlant le sang à profusion

# عند الباب

# Au seuil de la porte

.. ودِش البيتْ
ولا صوتكْ ينادي : منْ في الحوشْ
هذي انت يا ريحةً هَلي هلّيتْ ؟
و لا ريحةْ زباد
و رياحين مطيّبه وياسمينْ
و لا دارِكْ وحولك جملةْ الزوّارْ
كأنْ مقعدْ عصرْ عامرْ بذاك الحي
وانتي بزمانكْ وردة الحاضرينْ
كأنّ الزمن ما مر وكأنّي بعدي في العشرينْ
وذاك الباب اللي دائماً مفتوحْ
ودلال مْهيّله وأهل الفريج بنعمتكْ يحكونْ
ذاك الباب . .
لمسته دفتين كتابٍ بلا أوراقْ
قلبي على الظلمه فتحها
ويا ما شعشعتْ فيها شموسْ
وياما قريت سطور وعناوينٍ للغوى والزينْ
وياما قريت علوم وأمثالٍ حواها
وانتي ما تدرينْ.

***

منّكْ عرفت المحبه
ودريت اللي يجيبه الشوق
اذبحتني حكمتك في الدنيا
ما يقدر بشر . . كـذّابْ
إذا يصبر على المرّ في الدّاخل تَحَتْ
ويخلّي العسل – مثل ما كنتي تقولينْ – دايمْ فوقْ
ما يقدر، إذا دايمْ يحدّه الوقتْ

واذا دايمْ ينوشه الضّـيـمْ
وتـْضيّـقْ عليه الدنيا من كل صوبْ
وانا بحضنكْ
عرفت اشلونْ تبكي ﬞفي ضَناها الروحْ
وعرفت اشلونْ يتـجـمّـل بين الناس
ُويضحك المجروحْ
وحسبت اشـقـدّ لك بارظْ
وكم عندك وساعةْ صدرْ
وانتي تجمّعين أصحابْ
ولي وين يقدر يعذر، و يغفر، ويسامح الإنسانْ
وكيف النار إلي شبّتْ صغيره ﬞفي الصدر
تاكل . . تولّـد حولها نيرانْ
اشكثر عندي ﬞفي غلاك شجونْ !
اشكثر يمكن يساعف مهجتي هالقولْ
واضـمّدْ به شقوق عطابْ
ومن يقدر ينـفـّس عن كل ما بداخله مخزونْ
ويهيل تراب
وانا بداخلي آبار غَـلْـجـه و كثير سْجونْ.

***

كأن الباب وانتي خارج المحرابْ
غدا يشكي، ضفتين الماي هاجرها
ولقى له ضفتين أغرابْ
وقول له: يا بابْ الوردْ دهـنـكْ عودْ
ومساك أحلى رحيق يجود به عـنـقـودْ
ترفـّقْ صدري ينفتح لك زينْ
يا باب الوردْ قول لي :
وينها اللي كل دقيقة تمتحني وتعن بالبالْ
وهي تسكنْ حنايا الروح معَ البحرينْ
يا باب الوردْ (حصـّه) وينْ ؟
ولا آظنك تجاوبني والليالي معاك تميلْ
وانا واقفْ وجـّدامي كثير أبوابْ.
تعـّدين الليالي والليالي تعـّد الناسْ ؟!
تريدين المنايا مْغلـّقـه البيبانْ

وهي تشرّعْ لنا أيّ بابْ
وتتلفْ كل يومْ أرواحْ ؟!
ويا كيفْ نقدرْ نغتسلْ وانتهيّأْ
وذنوبنا دايمه أحزانْ ؟!
ولا آظن بَعَدْ ألقاكْ
حمامه في صباح البيتْ
ولا آظنك على سجّادتك تقرينْ
أكيد ذاك السريرْ خالي وكان العرشْ
وانتي على شدّك وفي عدّك
تخضّين اللبنْ وتسكّرين الشايْ
و تكحّلين العينْ
ولي يه الليل طويتي سفرةْ ضيوفكْ
وفتّحتي الدرايش . . لين يهلّ سهيلْ.

***

كانت ريحةْ ( الدُّوَرمْ ) على شفافك عجيبه
تصبغ لونها خمري
وانا راسي على صدركْ
أحط قلبي على قلبكْ
وأحسّ في مهجتي لكْ دينْ
تحضنيني قبيلة وخيمة وضوى قنديلْ
واحس روحك تعتريني، وامتلي بكْ ضيمْ
وأروح أشَرّه على الدنيا مثل ما كنتي اتشرهين
شَرَهْ أحباب متصافيين
تعذبتي . . حزنتي . . وانظلمتي
كثير اشتغلتي، واجتهدتي بحب عاشق
يريد الخير كل الخير للخيرين.
عرفتكْ وردْ
وأنا أغرف من أحضانك شذا عمرك
بذيّات وحزاوي ومواويلْ
دخيلك ليش هالعصفور انهدمْ عشّه
تبعثرْ معْ رحيلكْ وانتثرْ ريشْ ؟
بغيابك ما فقدت الأم والأرض والنخله
لكني فقدتْ آعيشْ.

Tu comptes les nuits et les nuits dénombrent les gens
Tu veux que la mort scelle ses portes
alors qu'elle ouvre ses embrasures
et récolte chaque jour des vies !
Comment nous purifier et nous initier
alors que nos péchés éternels sont affliction ?
Je ne pense pas que je puisse te trouver
telle une colombe au petit matin de la demeure
Tu n'es plus sur ton tapis de prière en train de lire
Ton lit est vide
Ce fut un trône
et toi, à la fleur de l'âge
tu préparais délicatement lait et thé
tu te faisais une beauté
et quand la nuit survenait,
tu pliais le canapé de tes invités
et tu ouvrais les fenêtres sur la belle étoile

* * *

L'odeur du *douram* (2) sur tes lèvres fut exhalaison
les soulignant de sa couleur brune
Ma tête posée sur ta poitrine,
je te souscris une dette dans mon cœur
Tu me contiens tribu, tente et éclat de lumière
Ton âme me pénètre et me comble de nostalgie
Je m'ouvre alors à l'univers
comme tu le faisais
à l'image d'amis sincères
Tu as souffert… Tu as enduré… On t'a porté préjudice
Tu as besogné… Et, passionnément, tu as lutté
tel un féru désirant le triomphe de tous les vaillants
Je t'ai connu fleur
de son étreinte je cueillais l'arôme de ton âge
cantiques et chants éplorés puis adages
Prière, dis-moi pourquoi le nid de cet oisillon s'est abattu
après ton départ, s'est volatilisé et a disséminé le plumage ?
En ton absence, je n'ai pas perdu palmier, mère et terre
mais j'ai simplement cessé de vivre

2- Cure-dent traditionnel laissant une couleur brune sur les lèvres, jadis utilisé comme rouge à lèvres.

De toi, j'ai appris l'amour
et compris la portée de la nostalgie
Ta sagesse inaccessible dans la vie m'a supplicié
car inaccessible
Perfide est celui qui garderait l'amertume à l'intérieur
et qui laisserait toujours – comme tu disais – le miel culminer
Il ne pourrait guère, le temps l'en empêcherait
les grisailles de la vie
l'enveloppant de tous les côtés.
Dans ton étreinte
j'ai su comment l'âme, dans sa langueur, pleure
et comment l'éclopé, en public, s'embellit et sourit
J'ai vu combien tu étais patiente
et large d'esprit
Tu rassemblais les amis
Tu pouvais excuser, absoudre et pardonner
Les flammes naissant petites dans le cœur
finissent par se consumer provoquant une grande fumée
Combien de tourments ai-je dans ta passion !
Combien ces propos apaisent-ils mon cœur
et pansent de profondes plaies
Qui peut extirper ce qu'il refoule et tout ensevelir ?
Au fond de moi, puits épineux et maintes prisons

* * *

Quand tu as déserté le Mihrab,
répudiée de ses deux rives d'eau, la porte s'est plainte
Deux bords étrangers ont pris le relais
Je leur dis : Ô porte de rose ! Ton enduit est santal
Ta soirée, la meilleure sève de grappes
Délicatement, ma poitrine s'ouvre à toi
Ô Porte de rose ! Dis-moi :
Où est celle qui m'éprouve chaque seconde
et qui tourmente la mémoire ?
Celle qui, avec Bahreïn, hante l'âme ?
Ô Porte de rose ! Où est H*essa*[1] ?
Pourrais-tu me répondre quand tes nuits vacillent
et moi, je suis debout devant plusieurs issues ?

* * *

1- Prénom bahreïni

# *Au seuil de la porte*

## عند الباب

*Que la mort se détourne de mon enfant*
*Que ses portes soient rudement verrouillées*
*Si elle vient et survient*
*Qu'elle égare le chemin de mon enfant*
*Je compte les nuits et les nuits me dénombrent*
*Nuits et temps sont déjà bien loin*

[ Berceuse de Bahreïn ]

… Et je rentre à la maison
et ta voix de résonner : Qui est dans le patio ?
Te voilà enfin, ô senteur exhalée de mes proches !
Cette voix-là n'est plus
Ton odeur n'est plus
ni myrte, ni jasmin
Ta maison n'est plus
ni foule d'hôtes autour de toi
Ce fut une grande séance d'après-midi dans ce quartier
Et toi, en ton temps, fleur de l'assemblée
on dirait que le temps n'est pas passé
j'ai encore vingt ans
cette porte est encore ouverte
Les habitants du quartier racontent encore ta générosité
Cette porte…
Deux rives d'un livre sans pages
mon cœur dans l'obscurité l'a ouvert
Que de soleils y ont flamboyés !
Que de lignes y ai-je lues !
Que de titres de grandeur et de splendeur !
Que de sciences et de sagesses a-t-il contenu
à ton insu !

* * *

# حوريّة العاشق.. حريّة المعشوق

# Houri de l'amant… Liberté de l'aimé

كَأَنَّمَا مِنْ عَبق قَدْ خُلقَتْ
يَفُوح عطرُ يومِهاً وُيبْهجُ الحياةْ
جيَّاشَةُ الهَوى
جُمُوحُ زَوْرَقٍ يشيلُها
مِنْ موْجةٍ لِموْجَةٍ، أَبْعَدَ
ما تُومضُ في لجَّتها النَّجاةْ
مجبولَةٌ بالحُبِّ، يُشْرقُ الصَّباحُ
رَائِقاً مِنْ قلْبِها
وهَانِئاً يَحُطُّ عندَ بابِ بيتِها المَساءْ
كَرِيمَةٌ، تُرْطِبُ في جَنائنِ الرُّوحِ
أَلذَّ ما يُعْطِى، وفي الشِّتاءْ
تُغْدِقُ في أَكْوابِنا أَسْمى رَحيقٍ
في الدُنَى يُدَارْ
لَهَا نَمُوتُ في الجَوَى.. لا نَنْتَهي
والموتُ ضَرْبٌ، في هَوَاهَا، مِنْ فُنونِ الجلَّنار
عينانِ مِنْ رَحيلِ القُبَّراتْ
ومِنْ ظَمَا قَوَافلٍ محمَّلاتْ
بالبُنِّ والبَهارْ
إذا شربْتُ مِنْ أَسْفارِها
تَوَزَّعَتْ أَسْمَالُ رُوحِي في الشَّتاتْ
أَحسَستُ أَنَّني المَدى
ونَبْتَةٌ وَحيدةٌ تَئنُّ في القِفَارْ.

***

كَأنَّما قَبيلةٌ مِنَ النَّوارسِ المحجَّلَةْ

تَجْدِلُ شَعْرَها ظَفائراً بالطِّيبِ والبَخُورْ..
تُحاوِرُ النّماعةَ السَّماءِ فوقَ
سطحِ الماءِ.. تَنْثَني
والشَّمْسُ في إغْفاءَةٍ خَجُولةٍ مُؤَجَّلَةْ
حتَّى يُفيقَ البَحرُ مِنْ نَزوته
ومِنْ تَطاوُلِ الأمواجِ حتى الخَاصِرَةْ
أيَّتها التي أسيرةٌ في يَوْمِنَا
طَليقةٌ في دَمِنا، بَهِيَّةٌ في الحُلْمِ آسِرَةْ،
عَجيبةٌ بينَ الورودِ والنّخيلِ والبلادِ والنِّساءْ،
مأخوذةٌ بالرَّقْصِ والمخاصَرةْ
والعَزْفِ والغناءْ
ومَسْرحُ ابتهاجِكِ، الذي يَليقُ،
روعةُ الفضاءْ.

***

كُلَّما داهَمني معنىً لرؤياك
وقادَتْني تَضاريسُ الفصُولْ
نَحْوَ حقلٍ ألْتقي فيه بلونٍ لمحياكِ
اسْتَفَاقَتْ كُلُّ ألوانِ الحُقولْ
وبكى نجمٌ منَ الوَجْدِ، تَشَظَّاني الحنينْ
في اللَّيالي المُطْفأةْ
فإذا بي ألْتقي وَجْهَ السَّماء.

***

كأنَّما اليومَ أراك.. أو أرَى هُناكْ
خَيالَ قنديلٍ بزَيتِ اللهِ
في الدُّجى مُضاءْ
فاخْترقي الدَّيْجورَ.. واصلي
واحْترقي فَراشَةَ الطيِّبِ،
بنُورٍ سَرْمَدي،
ليسَ أجْدى مِنْ عناقِ النُّورِ
حتَّى الموت
في ليلٍ طَوِيلٍ دُونَما أيِّ انْتهاءْ.

CHANATH 2006

dialoguant avec le scintillement céleste
sur la surface de l'eau se dédouble
et que le soleil ajourné somnole timidement
jusqu'à ce que l'océan se réveille de son élan
et de l'allongement des vagues jusqu'au flanc
Ô toi ! Prisonnière dans notre journée
libre dans notre sang, fascinante dans le rêve, captivante
merveilleuse entre fleurs, palmiers, contrée
et femmes,
férue de danse, d'enlacement, de musique et de chant,
le théâtre de ta joie, idoine,
est la magnificence de l'espace !

* * *

Chaque fois que le sens de ta vision me surprend
et que les volumes des saisons
nous guident vers un jardin
où je rencontre une couleur de ton visage,
toutes celles des vergers se réveillent,
une étoile pleure de passion
et la nostalgie me morcelle dans les nuits éteintes
Subitement, je rencontre la face du ciel

* * *

On dirait que je te vois aujourd'hui… ou que je vois là-bas
l'ombre d'une divine lampe à huile
allumée dans l'obscurité
Pénètre alors les ténèbres, persévère
et brûle le papillon de parfum
d'une lumière éternelle
Rien n'est plus utile que l'étreinte de la lumière
jusqu'à la mort
dans une longue nuit sans fin

# Houri de l'amant…
# Liberté de l'aimé

On dirait que d'une fragrance elle est née
La senteur de sa journée exhale et égaie la vie
Impétueuse de passion
La fougue d'un voilier la transporte
de vague en vague, plus loin
Pas une lueur de survie
n'apparaît dans son déferlement
Pétrie d'amour, de son cœur
le jour se lève éclatant
Heureux, le soir se pose sur sa porte
Généreuse, elle fait mûrir dans les vergers de l'âme
les délices des dons, et en hiver
elle emplit nos coupes de la sève la plus subtile
qui soit
Pour elle on meurt d'amour sans se lasser
Trépasser dans sa passion
relève de l'art des fleurs de grenadier
Yeux de l'émigration des alouettes
et de la soif des caravanes chargées
d'épices et de café
Si je m'abreuvais de ses périples
les haillons de mon âme se dissémineraient
dans la dispersion
Je me sentirais immensité
et dans le désert plante gémissante esseulée

* * *

On dirait qu'une tribu de mouettes balzanes
nattant sa chevelure en tresses de parfum et d'encens

# بشَائر

# Bonnes nouvelles

أشواقي ما فتّحَتْ
أشواقي ما بانتْ
وأشواقي ما عمرها قالتْ و لا باحتْ
أحزاني عشب البَحَرْ
وهمومي عطر الليلْ
دانةْ حنيني بْصدفْ
ما صادها فْ بحر العشق غواصْ
وطيوري فْ اشجار السّحبْ
ما راعَها حابلْ ولا قنّاصْ
ازْروعي ما تنوصفْ
وأنهاري ما تِنْعَدْ
أحلامي بوسع الفضا
وقلبي عشق ينزفْ
مذبوحْ . . أرقصْ منْ ألمْ..
بين الجزر والمد
هيمان يا لحظةْ فَرحْ
عاشقْ بليّا حَدْ
خذ يا بنفسجْ ولَهْ
خذني إلي بابِكْ
خذني ندامى ليلتكْ
أعشق بشاير طلّتَكْ
واعطّر ترابِكْ
وا قول تالي العُمُرْ:
زهرْ عليّ الوردْ.

chanath

# Bonnes nouvelles

# بشائر

Mes désirs non éclos
Mes désirs non apparents
Mes désirs jamais avoués ni révélés
Mes chagrins, herbe de la mer
Mes tourments, senteur de la nuit
Dans l'océan de la passion, aucun plongeur
ne pêche la perle nacrée de ma nostalgie
Aucun chasseur n'effraie
mes oiseaux dans les baliveaux des nuages
Mes semailles sublimes
Mes ruisseaux innombrables
Mes rêves à l'étendue de l'immensité
Mon cœur passion sanglante
Décimé… Je danse de douleur
entre marées haute et basse
enamouré. Ô moment de joie
épris sans limites !
Tiens ! Ô violette d'amour !
Emmène-moi à ta porte
Prends-moi échanson de ta nuit
Laisse-moi adorer les signes de ton apparition
parfumer ta poussière
et dire au dernier quart de l'âge :
Mes roses ont fleuri

# الرمق الأخير

# Le *dernier souffle*

تأوي، ذاهلاً، إلى غسَقِ البيوتِ
فلا ترى وهَجاً يلوحُ،
ولا وعداً لبرق في متاهات الغُيومْ
تَزحَتْ عن الأرض الديارُ بأهْلها
فلا أحدٌ تَحامَلَ واستهانَ وظلَّ.. لا شَجَرٌ مُقيمْ
باللّه ممّا كانَ لا أثَرٌ
يُذكِّرُ بالحُضور أو الغيابِ ؟!
لا بُرجُ أعشاش ، ولا العُشبُ الذي غادرتَهُ بالأمسِ ؟!
لا وَردٌ يفوحُ. . لا عطرُ الصَّبايا المُترفاتِ
يأتيكَ من شُقِّ الجدارْ ؟!
لا يَبدو لأحْزانِ المنائر البيضِ مَلاذٌ
سوى عينيكَ والأفُقِ الذي يختارُهُ طيرٌ جريحْ.

***

مَهلاً ، ملاكَ الرِّيحِ دَعْ لي فرصةَ الرَّمَقِ الأخيرْ
وتعالَ نَسْتقري المزاميرَ. .
نُهدي شُعلةَ الفَتْك لأطراف الفتيلْ
قُم بنا نَستلُّ خيطَ الفجر منْ إشراقةٍ
يأتي، ولا يأتي بها الزَّمنُ البخيلْ
مَهلاً، كتبتُ بهذا الطِّرسِ حَرفاً
ومَحَوتُ أشباهَ الحُروفْ
وأنا الشَّاهدُ والقاضي
وهذا السَّيفُ سيفي،
فأنا القاتلُ عمداً..
ودَمي هذا اشتعالي
فأنا المغدورُ . . أشْهَدْ
أنني القاتلُ أيضاً والقَتيلْ.

CHANATH 2006

# Le dernier souffle

Consterné, tu te réfugies au crépuscule des demeures
Tu ne vois pas d'éclat apparaître
ni de promesses d'éclairs dans les dédales des nuages
Habitations et habitants s'expatrient de la terre
Personne ne tolère, ne brave, ne demeure
Point d'arbres permanents
Par Dieu, point de traces rappelant présence ou absence
Point de nichées, point d'herbes que la veille tu as quittées
Point de fleurs exhalant
Point de parfums des délicates demoiselles
te parvenant par la lézarde du muret
Aucun refuge ne semble abriter
les chagrins des minarets immaculés
si ce n'est tes yeux et l'horizon voué par un oiseau éclopé

Doucement, Ô Ange des vents, laisse-moi le répit du dernier souffle !
Allons sonder les cantiques,
offrir la flamme du massacre aux parages de la mèche !
Allons retirer le fil de l'aube d'un rayon de lumière
advenant ou non des temps austères !
Doucement, j'ai transcrits une lettre sur ce feuillet
et les pseudo-lettres, j'ai effacé
Juge et témoin je suis
Ce sabre est mien, je suis l'assassin à dessein
Mon sang, celui-là même est mon incandescence
Moi le trahi, je professe
que je suis à la fois assassin et assassiné

# ثمار الطريق

# Les fruits du chemin

غريبٌ أجولُ بأرضٍ بعيدةْ
وبينَ خليطٍ منَ الناسِ
لا تسعفُ بيني وبينهمُ لغةٌ واحدةْ
وتربطُ في اللهِ بيني وبينهمُ رابطةْ..
وجوهٌ عديدةْ
بباريسَ من كلِّ جنسٍ ولونٍ ودينْ
وباريسُ في مجدها الأنثويِّ
حُضورٌ يُبادلني الابتسامْ
وأشربُ نخبَ هواها نبيذَ غرامْ
أذوبُ، وروحي تشفُّ وتصفوَ عبرَ الجهاتْ
كأني رياش الثلوجِ تُراكمُ كلَّ البياضِ
وتُنشئُ حَقلاً من النورِ على الأرصفةْ.

***

وأنظرُ في خارطاتِ الطريقِ عَجُولاً
وأسألُ عندَ المحطةِ صُدفةً جاري
إذا ما تناسبُني هذه الحافلةْ ؟
تُسارعُ نحوي ابتسامتُه باهتمامٍ، يقولُ :
طريقيَ نفسُ طريقكَ والفرقُ ما بيننا وقفتانْ،
تعالَ جواريَ في الحافلةْ.
فأشعرُ دفقاً من الدفءِ والامتنانْ.

***

وفي الحافلةْ، يقولُ رفيقي : أهذي
زيارتُكَ الأولى لهذي البلادْ ؟ . .
فأخبرهُ أنني وهذا المكانَ العزيزَ صديقْ . .
ويمتدُّ بيني وبينَ رفيقي الحديثْ . . فأكسُبُ وداً خبيئاً
وأجني ثمارَ أشجارهِ في الطريقْ.

Chantal
Legendre
1999

# Les fruits du chemin

# ثمار الطريق

Étranger, je me promène dans une terre lointaine
au milieu d'une foule humaine
Aucune langue ne nous réunit
Un lien de Dieu nous unit
D'innombrables visages à Paris
de différentes races, couleurs et confessions
Paris dans sa gloire féminine
Présence partageant mon sourire
Je bois un vin d'amour à sa passion
Je fonds…
Mon âme transparaît et se purifie à travers les régions
telle la parure des montagnes amassant l'immaculé
et étalant un verger de lumière sur leurs bordures

* * *

Pressé, je jette un coup d'œil sur le plan des trajets
et je demande au hasard à mon voisin de station
si le prochain bus correspond à ma destination
Aussitôt, son sourire attentif me couvrit
Il me dit : notre chemin est le même
à la différence de deux arrêts
Prenez donc place à côté de moi
Une effusion de tendresse et de reconnaissance m'envahit

* * *

Dans le bus, mon compagnon me requit :
Est-ce votre première visite dans ce pays ?
Ce cher lieu et moi sommes amis, lui dis-je
Une longue conversation s'engagea entre nous
J'en retire une douceur secrète
et je cueille les fruits de ses arbres sur la route

# طائر النّار

# *L'oiseau de feu*

اللّه ، يا أنت ، يا قَدري ، يا اقْتداري
الشِّعرُ كُلّ خيبتي وانتصاري
والشعرُ، لو تدرينَ يا ليلى ، جُنوني وانتحاري
الشعرُ طائرُ النار يُغنّي في دَمي
وزهرةٌ مائيةُ الألوان في ذُبولي واخضراري
والشعرُ، لو تدرينَ يا ليلى،
كيفَ بالشعرِ أهيمُ في أزقّة الحَواري
وأنثرُ القلبَ شظايا صامتاتٍ . .
وأُسكتُ الرّوحَ مَليّاً ، كَيْ أُداري
غَضْبَةَ العواصفِ التي
بداخلي تُنذرُ بانفجارِ.
***
أقولُ الشعرَ ظامئاً . .
أطاردُ الذي يلوحُ لي
على مَشارف الصّحاري
عذابُ الشعرِ يستفزّني . . يُبعثر انتظاري
كلما داهمنيَ الشعرُ اعتراني
شعورُ نهرٍ لا يَقَرُّ إلى قرارِ
فاقبليها نُتفَ القلبِ ، وقومي . .
للتوحّد الجميلِ
قَدْ آنَ أوانُ الانصهارِ .

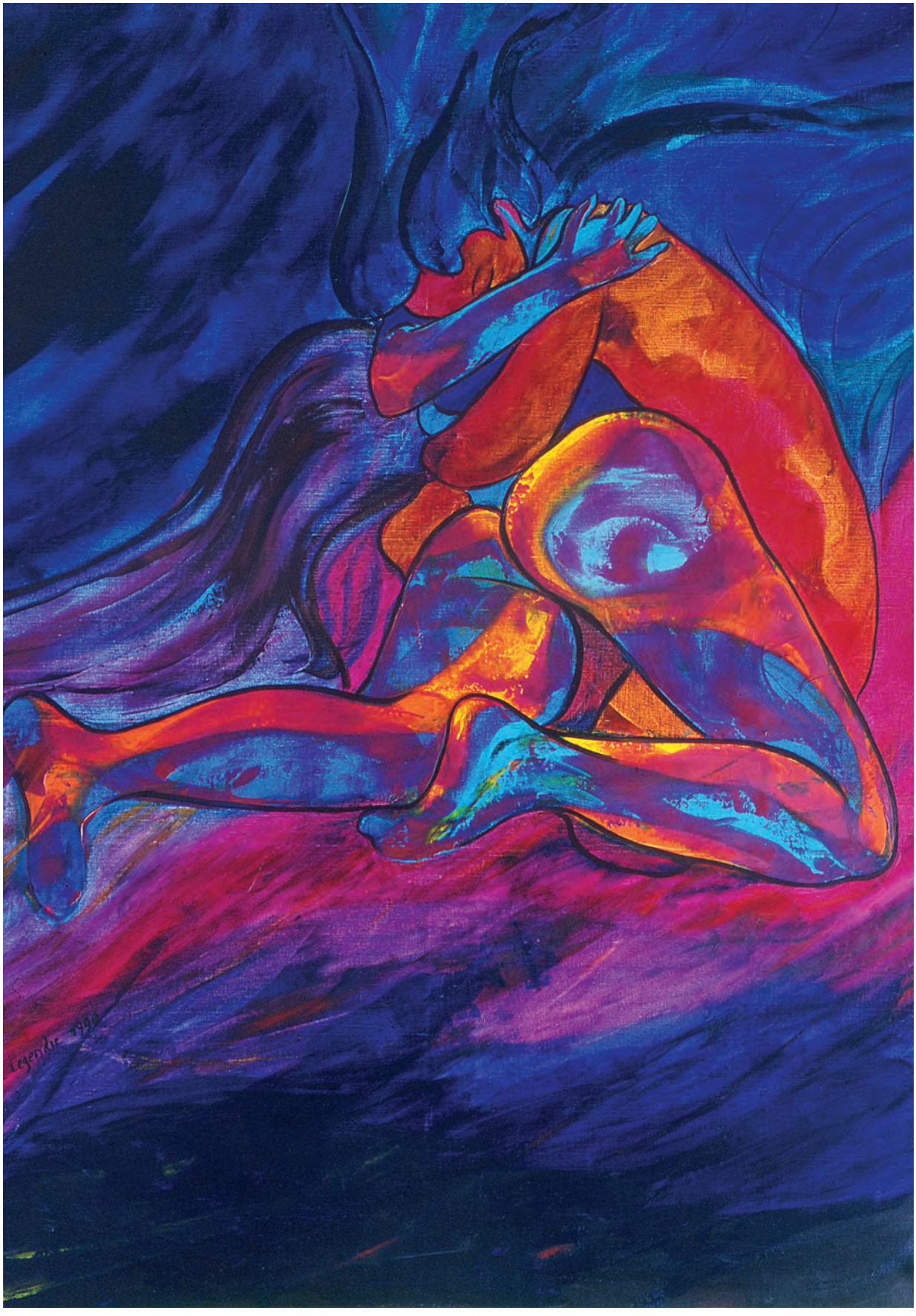
Legendre 1990

# L'oiseau de feu

# طائر النّار

Dieu, Ô Toi, mon destin, ma destinée !
Poème, ma déception, mon couronnement
Poème, oh, si tu savais Leïla, ma folie, ma dévastation
Poème, oiseau de feu, dans mon cœur gazouillant
Fleur aux couleurs aquatiques
dans ma flétrissure et ma fraîcheur
Poème, oh, si tu savais Leïla,
comment il me fait errer dans les ruelles des quartiers
et disséminer mon cœur en débris muets
Incessamment, je fais taire l'âme
pour dissimuler les tempêtes éplorées
menaçant intérieurement d'une déflagration

Assoiffé, je déclame le poème
Je poursuis le mirage à l'orée du désert
Le supplice du poème me défie
et mon attente il éparpille
Chaque fois que le poème me submerge
un sentiment diffus m'envahit
Alors, accepte les miettes de mon cœur
et viens à la belle union
car c'est l'heure de la fusion.

# إختراق

# Percée

ماذا تبَقّى منَ الحُلمِ
كيْ تأتينَ في خَلَدي. .
ذهَبَ الظّلامُ بالغافينَ. .
وجَاءَ الصُّبحُ بالبَرَدِ . .
مَعْشُوقَةٌ أنت والحُلمُ الذي يُراودني. .
ومَجْنُونٌ حُداءُ العيسِ دُونَ الأهْلِ والبَلَدِ . .
وما حَشْدُ الذكْرياتِ الذي يَأتي ويَفجَعُني. .
إلا حَنيناً إليكِ يَفتُّ في جَلدَي. .
وما عَذابُ الرُّوحِ الذي نَفْنى ويَبْعَثُنا. .
سوى أنّي وإيّاكِ نَلوُذ بنارٍ في ذُرى الأبَدِ.

***

يا فتنَةَ الحُلمِ ، أيا لغَةً للشِّعْرِ . .
مَسْحُورةً على لسانِ العاشقِ الوَجدِ . .
تأتينَ منْ وادٍ إلى وادٍ مُجَنَّحَةً
والحُلمُ يُوشكُ يُكمّلُ دَورةَ الأفْلاك
ويَقْظَةَ الجَسَد
أهواك مُشتاقاً ومُحْترقاً . .
يَجئُ هَواكِ إليَّ اخْتِراقاً
واحْتمالاتٍ بلا عَددِ.

Chantal Legendre
1991

# Percée

# إختراق

Que reste-t-il du rêve
pour que tu surviennes dans ma pensée ?
L'obscurité emporte les torpeurs
et l'aube entraîne la gelée
Désirée es-tu comme le rêve qui me séduit
Fou est le chamelier sans tribu ni contrée
Le flot de souvenirs qui vient me tourmenter
n'est que nostalgie pour toi effritant mon firmament
Le supplice de l'âme qui nous brise et nous reconstruit
n'est que toi et moi retranchés à l'incandescence de l'éternité
Ô envoûtement du rêve, langue du poème
ensorcelée sur les lèvres du fervent énamouré !
D'une rive à l'autre, tu surviens ailée
le rêve est sur le point d'achever le tour des sphères
et l'éveil du corps
Je t'aime, éperdu, embrasé
Ton amour m'advient comme une percée
et infiniment de possibilités

2005
Chanath

## DAVID DUMORTIER

David Dumortier est né en 1967. Vit actuellement à Paris. A publié 5 livres aux Éditions Cheyne dont *Ces gens qui sont des arbres*, *Mehdi met du rouge à lèvres* et *Cligne-musette*. Ainsi qu'un livre aux Éditions Le Temps des cerises intitulé *Croquis de métro*. Dirige des ateliers d'écriture en milieu scolaire, bibliothèques et associations. À paraître : *Yi et Yo* aux Éditions Motus.

## TOURIA IKBAL

Poète, traductrice et chercheur en soufisme

**Diplômes** : licenciée en sciences économiques. Lauréate de la faculté des sciences de l'éducation, option : Psychologie de l'enfant et de l'adulte, Thèse sur : *L'image inconsciente du corps chez l'enfant*. Titulaire du diplôme des études supérieures en gestion, Thèse sur : *le pouvoir dans les organisations*. Travaille actuellement sur *l'économie de la sainteté et la gestion du sacré* d'après l'école Akbarienne d'Ibn Arabi.

**Publications** :

Les traductions

- de l'arabe en français : *Retraite d'un cœur* recueil de poèmes de Muniam Al Faker aux éditions l'Harmattan Paris, 1999 (1ère édition) et aux éditions A.C. M, 2000 (2ème édition) ; *Rogations diluviennes* recueil de poèmes de Driss Oumali à P. M éditions. Casablanca. Maroc 2001 ; *Rarement* recueil de poèmes de Muniam AL Faker aux éditions Marsam, Rabat 2002 ; *Je te regarde* recueil de poèmes de Maram Al Misri aux éditions Marsam, Rabat Maroc 2003 ; *l'âne et la vache* et *Petit soleil* recueils de poèmes pour enfants de Ahmed Tayyeb Laâlej aux éditions Marsam, Rabat Maroc 2006 ; *Feuillets passionnés* recueil de poèmes de Maram Al Misri aux éditions Marsam, Rabat Maroc 2007.
- du français en arabe : *Allah n'est pas obligé* traduit à l'arabe de Ahmadou Kourouma (prix Goncourt des lycéens 2001) au conseil suprême de la culture. Le Caire. Égypte 2005.

Les recueils : *propos précoces* recueil de poèmes, aux éditions Marsam Maroc, 2004 ; *L'épître du désir* recueil de poèmes, aux éditions Awacer Maroc, 2005 ; *Fulgurations* recueil de poèmes, aux éditions Marsam Maroc, 2007.

Anthologies : ses poèmes sont parus dans plusieurs anthologies marocaines et étrangères dont : *Bacchanales n°* 36, anthologie de la poésie éditée par la Maison de poésie Rhône-Alpes sur le thème de l'ivresse, 2005 ; L'Anthologie « *Maroc à contre jour* » édition Marsam 2005 ; *Bacchanales n°* 40, anthologie de la poésie éditée par la Maison de poésie Rhône-Alpes sur le thème de l'eau, 2006 ; L'anthologie du festival « *les nuits de Curtea de Arges* » en Roumanie 2006 ; *L'anthologie du festival Teranova*, Metz 2006.

**Participations** :

Elle a participé à plusieurs rencontres nationales et internationales sur les thèmes de la poésie, la traduction et le soufisme. Elle a organisé plusieurs rencontres culturelles et deux festivals internationaux dans le cadre de l'Association Culturelle de Marrakech (A.C.M) qu'elle a fondée et présidée de 1998 à 2001.

**Titres** :

Actuellement vice-présidente d'Al Muniya de Marrakech Fondation pour la préservation et la revivification du patrimoine du royaume du Maroc qui organise annuellement le festival des rencontres et musiques soufies à Marrakech. Elle est aussi membre de la fondation la Koutoubia : les jardins du savoir qui s'occupe du livre et ses métiers.

2005 : P*assages*, livre de verre en hommage au poète Cù Huy Cân, Folio de bronze au festival du livre d'exception, Albi (Acquisition Médiathèque) ; M*igrations*, livre d'artiste, linogravures de Chantal Legendre, textes Daniel Masson, Folio d'argent au Festival du livre d'exception, Albi (Acquisition Médiathèque).
2006 : M*émoires d'eau*, 26 tableaux de verre en dialogue avec 46 poètes de 11 pays. Bacchanales édité par La Maison de la poésie Rhône-Alpes.
2007 : E*ntre sursaut et plénitude*, livre d'artiste, textes et tableaux de verre Chantal Legendre, Folio de bronze au Festival du livre d'exception à Albi (Acquisition Médiathèque).
Expose en France et à l'étranger depuis 1985 / **expositions récentes** :
2000 : Commande publique, V*itrail Source de vie*, Couvent des Minimes Saint-Martin-d'Hères, Isère.
2001 : Château de Saint Jean de Chépy, Tullins, Isère ; Château de Menthon Saint Bernard, Haute-Savoie ; Festival International de la poésie, Trois Rivières au Québec.
2002 : Château de Ripaille, Thonon, Haute-Savoie ; Moulin des Acacias, Le Fontanil, Isère ; 3 manifestations pour la paix « Paroles d'artistes pour la paix », la troisième en collaboration avec Trois-Rivières, Québec.
2003 : Commande publique d'une Marianne, Le Pont-de-Claix, Isère ; Union des associations de littérature et d'arts du Vietnam, Hanoï ; Les Moulins de Villancourt, Le Pont-de-Claix.
2006 : « L*e jardin de l'invisible* », Musée de Saint-Antoine l'Abbaye, Isère, Acquisition de l'œuvre « L*a porte du jardin* » ; Bibliothèque Romain Rolland, Saint-Martin-d'Hères, Isère ; « M*émoires d'eau* », Le Bon Pasteur, Isère
2007 : Musée du Revermont, Ain, acquisition des œuvres « H*istoire de bonnes herbes* », « E*rrances océanes* », « G*rand Coquelicot* » ; Librairie La lucarne des écrivains, Paris.
Contact :
Adresse postale : Le village 38320 - Herbeys (France) / E-mail : chantallegendre@free.fr

## MUSTAPHA AMNAINE

Né en 1957 à Marrakech, il a suivi des études en arts appliqués, et enseigne aujourd'hui les arts plastiques dans sa ville natale. En 2000, il se spécialise en art numérique. Il est également calligraphe et artiste peintre.
Expositions :
Cap d'Agde (France – 1990) ; La Grande Motte (France – 1992) ; Ballaruc-Les-Bains (France – 1996) ; Galerie 104 A à El Jadida (2006) ; Hôtel Amenjena (2007).
Les œuvres de l'artiste sont actuellement exposées dans les galeries Qoba à Marrakech, Fandok et Marsam à Rabat, Memoart à Casablanca.

## NOUREL HOUDA BADIS

Agrégée d'université, docteur es-lettres. Professeur à la faculté des sciences humaines et sociales, université de Tunis. Membre du groupe de recherche rhétorique et argumentation à l'université de La Manouba, Tunis. Auteur de plusieurs ouvrages en rhétorique et critique littéraire, notamment : R*hétorique de l'écrit, rhétorique de l'oral : vers une nouvelle approche de l'histoire rhétorique arabe ancienne*, Centre de Publication Universitaire, Tunis, 2006 ; É*tudes de discours*, L'Institution Arabe des études et de publication, Beyrouth, 2008 ; A*bondance et concision en rhétorique*, L'Institution Arabe des études et de publication, Beyrouth, 2008.

## ILEANA CORNEA

Née en 1959 à Cluj, en Roumanie. Critique d'art, elle a également enseigné l'histoire de l'Art à l'université de Nanterre et l'histoire de l'architecture à la FEMIS à Paris. Auteur de la première monographie de Raymond Hains. Elle collabore à plusieurs magazines dont E*lle* à Paris et A*rtension*. Elle écrit régulièrement des préfaces.

## CHANTAL LEGENDRE (CHANATH)

Elle est originaire de Dordogne en France. Elle s'installe à Grenoble en 1979 et enseigne les arts plastiques depuis 1984. Après des études de psychologie, un travail en peinture sur la vie de Camille Claudel déterminera une carrière artistique professionnelle dès 1987.

Chantal Legendre réalise dans son atelier des œuvres en peinture, gravure, sculpture, et plus récemment des œuvres en verre qu'elle signe Chanath : « Retrouver la transparence, la clarté qui nous relie à l'espace… libérer le vitrail de ses plombs, laisser jaillir la lumière sans entrave aucune… »

Elle a réalisé de nombreux livres d'artiste avec écrivains et poètes de France et des quatre coins du monde.

Elle est l'initiatrice dans la région Grenobloise des manifestions « Paroles d'artistes pour la paix ».

Elle réalise également des tapis contemporains en collaboration avec OAT Création à Paris.

Un nouvel univers s'ouvre à elle aujourd'hui, celui de la poésie arabe avec laquelle se préparent de belles rencontres et de nouvelles créations. C'est ainsi que Chantal Legendre travaille souvent en dialogue avec l'écriture et la poésie. Il s'agit de véritables rencontres artistiques. Ses œuvres traduisent le subtil face à face entre deux univers, entre deux êtres. L'ordre de réalisation du texte ou des œuvres n'importe pas dans l'espace vrai de la création. Ce qui compte c'est la part commune qui en résulte. « La rencontre de la poésie et de l'image, de la couleur et de la matière constituent des façons d'aller au-delà de soi-même, vers l'autre, pour le poète comme pour le plasticien. »

Éditions et livres d'artistes :

1998 : *Corps en mouvement*, estampes sur les textes des chorégraphes Anne-Marie Pascoli et Christiane Blaise pour la 6e Biennale de poésie, Maison de la poésie Rhône-Alpes.

1999 : Initiatrice en 1998, 1999 et 2002 de la manifestation « Paroles d'artistes pour la paix », en 1999, elle illustre un numéro de Bacchanales, revue de la Maison de la poésie Rhône-Alpes, *Paroles de paix*. Édition de tête en sérigraphie.

2000 : *Homme de silence*, livre d'artiste, estampes Chantal Legendre, textes Claudine Bertrand ; *Ballades d'automne*, livre d'artiste et édition courante, estampes Chantal Legendre, textes Pierre Vieuguet, traduit en tchèque par Jana Boxberger, et édité chez Protis, Prague ; *Songes*, livre d'artiste, textes et estampes Chantal Legendre.

2001 : *Tissages de vie*, Sculptures Chantal Legendre, textes Pierre Vieuguet, éd. Les îles en feuilles ; *Le dernier Supply*, roman de Hervé Bienfait, estampes et huile de Chantal Legendre, éd. Thôt à Grenoble ; *Enigme du futur*, huiles Chantal Legendre, textes Claudine Bertrand, livre d'artiste Prix Saint Denys Garneau (Québec) et éd. Protis Prague, traduction tchèque Jana Boxberger ; *Orphiques*, encres et fumées Chantal Legendre, textes Jacques Gaucheron, éd. Maison de la poésie Rhône-Alpes, Saint-Martin d'Hères, Complicités, Grignan).

2002 : *Le chant des passages*, livre d'artiste, gravures sur cuivre Chantal Legendre, textes Cù Huy Cân.

*L'Arbre en sa saison*, huiles Chantal Legendre, textes Richard Sage, livre d'artiste et éd. Protis à Prague, traduction tchèque Jana Boxberger ; *L'arbre en soi*, texte de Chantal Legendre, éd. Alzieu-Fontalivres, Grenoble.

2004 : *Le temps des passages*, huiles Chantal Legendre, textes Cù Huy Cân, éd. Maison de la poésie Rhône-Alpes / Les Écrits des Forges / Le Temps des Cerises.

présentés par huit experts nationaux.
* A été élu en mai 2007 Secrétaire général adjoint pour la région Moyen-Orient/Afrique du Nord de l'Organisation mondiale des arts populaires (IOV).
* A fondé en septembre 2007 au Bahreïn le Bureau régional pour la région Moyen-Orient/Afrique du Nord de l'Organisation mondiale des arts populaires.
* A contribué en décembre 2007 à la création du Festival international de Bahreïn des Arts populaires, en collaboration avec le Ministère de l'information du Royaume du Bahreïn.
* A créé en novembre 2007 au Bahreïn « Les Archives de la culture populaire pour les études, recherches et publications.
* A créé au Bahreïn, en collaboration avec l'Organisation mondiale des arts populaires, la revue Ath-thaqafa ach-ch'abiya (La Culture populaire ), périodique scientifique spécialisé.

Principales études consacrées à son œuvre poétique :
* « *Les chercheurs de perles dans la poésie de Ali Abdallah Khalifa* ». Mémoire de Master présenté par Jacqueline Houvert au Département de la langue arabe et des études islamiques de la Faculté des lettres de l'Université de Genève, sous la direction du Professeur Simon Gerget. Genève, Suisse. 1972.
* « *Le poète Ali Abdallah Khalifa, à la lumière des grandes orientations de la poésie arabe contemporaine* ». Mémoire de Master présenté par le Dr Awdatallah Mani'a Al Qissi, sous la direction du Professeur Souhir Al Qalmawi à l'Institut des études et recherches arabes de l'Organisation arabe de l'éducation, de la culture et des sciences (ALECSO), et publié dans l'ouvrage Etudes sur la littérature bahreïnie (en arabe) édité par la même Organisation.
* « *Le poète Ali Abdallah Khalifa de Anin as-sawary* (*La Plainte des mâts*) *à Idha'atun li dhakirati elwatan* (Pour éclairer la mémoire de la patrie) », chapitre de l'ouvrage du Dr Maher Hassen Fahmy : L'Evolution de la poésie arabe contemporaine dans la région du Golfe arabe (en arabe). 1982.
* *La guitare de la modernité entre le moi et l'objet* Dr Suleiman Al Attar. Revue Al Bahreïn ath-thaqafiya ( Bahreïn culture), n°5, juillet 1995, p.66, revue publiée par le Conseil national de la culture, des arts et des lettres. Bahreïn.
* *Idées sur la création littéraire chez le poète bahreïni Ali Abdallah Khalifa*. Pr Barbara Mikhalak-Bykolska (orientaliste polonaise) et Dr Youssef Shehadé. Majallat ad-dirassat al arabiya wal islamiya (Revue des études arabes et islamiques), n°8, 2000, Université Jagillonsky. Cracovie. Pologne.
* *La fleur de lotus. Etude stylistique sur la poésie de Ali Abdallah Khalifa* . Dr Wajdan Abdelilah Essayegh. Forum culturel populaire. Bahreïn. 2001.
* *Ali Abdallah Khalifa : la présence de la mer dans sa poésie* , Mémoire de Master présenté, sous la direction du Professeur Henri Al Aouit, par Aïcha Selman Essayes à l'Institut des lettres orientales de la Faculté des lettres et des sciences humaines de l'Université Saint Joseph. Beyrouth, Liban. 2003.
* *Sur l'univers poétique de Ali Abdallah Khalifa* : analyses critiques et étude pratique . Dr Youssef Shehadé et Pr Barbara Mikhalak-Bykolska. Editions Dar Abelmona'm. Alep, Syrie 2008.

Prix :
* *Premier Prix de poésie* décerné par le magazine Houna al Bahreïn (Ici Bahreïn). 1966.
* *Ecusson de la créativité*, décerné dans le cadre de la Journée de la poésie mondiale, 2004, pour l'ensemble de sa production poétique et pour son rôle avant-gardiste au sein du mouvement poétique moderne au Bahreïn. Usratu al udaba' wal kuttab. (Société bahreïnie des écrivains et hommes de lettres). Bahreïn. 2005.
* *Grand Prix mondial des Arts*. Académie mondiale des arts de l'Orient et de l'Occident. Roumanie. 2006.

Distinctions académiques et titres honorifiques :
* *Doctorat honoris causa ès lettres* de l'Université Internatioanle Giuseppe Siclona. Etats-Unis. 1987.
* *Diplôme honorifique décerné* par l'Académie mondiale des arts de l'Orient et de l'Occident. Roumanie. 2006.

Médailles :
* *Médaille de la compétence* décernée par feu le Président Habib Bourguiba au Festival de la poésie arabe. 1973.
* *Médaille de feu Cheikh Aïssa ben Selman Al Khalifa*, ancien Emir de Bahreïn. Bahreïn. 2000.
* *Médaille de la compétence* décernée par Sa Majesté le Roi, Souverain du Royaume de Bahreïn. 2002.

Contacts :
* Adresse postale : B.P. 5050. Manama. Royaume du Bahreïn. * Fax : (973) 17 773935.

Bahreïn. 2002.

Etudes et recherches :

* Le Diwan (Recueil de poésies) de Hassan Al Farhan. Annotation et présentation. 1980.
* Founoun al mawwal (Les arts du mawwal). Enquête et collecte sur le terrain pour archiver les textes de mawwals (couplets chantés par une seule personne) du Golfe arabe. 1979.
* Khalîj al aghâni (Le Golfe des chansons). Enquête et collecte sur le terrain pour archiver les chansons et les danses populaires du Golfe arabe. 1979.
* Formes et contenus des textes poétiques dans l'art du « fajari » (en arabe). 2001.
* La poésie populaire moderne et les nouvelles techniques (en arabe). 2002.
* Le patrimoine populaire comme source d'inspiration dans les créations modernes (en arabe). 2003.
* Sur une expérience : la création puis la fermeture du Centre du patrimoine populaire des Etats du Golfe arabe (en arabe). 2006.
* Les arts populaires… facteur d'intégration et d'harmonie entre les peules de la terre (en arabe). Octobre 2007.
* Les motifs de la plainte devant le temps qui passe et du réquisitoire contre les compagnons (en arabe). 2009.

Itinéraire et actions culturelles :

* Elève de l'enseignement secondaire, a servi de guide au Professeur danois Paul Rofseng Olsen, Professeur d'ethnomusicologie, au cours de son périple qu'il a effectué en 1963 au Bahreïn pour la collecte de la musique bahreïnie.
* A accompagné en 1966 le Professeur suisse Simon Gerget dans sa recherche sur le terrain pour la collecte des textes des chansons populaires du Bahreïn.
* A fondé au Bahreïn en 1974 Dar Al Ghad li'nnachr (les Editions de demain).
* A fondé au Bahreïn en 1976 le périodique littéraire Kitabat (Ecrits) dont il est le directeur de la rédaction.
* A élaboré en 1982 les textes statutaires en vue de la création du Centre du patrimoine populaire des Etats du Golfe arabe dont il fut le fondateur et qu'il a dirigé pendant cinq ans.
* A créé en 1984 à Qatar la revue scientifique spécialisée « Al mae'thourat ach-cha'abyia » (les Mémorables populaires) dont il a dirigé la rédaction pendant trois ans.
* A été chargé en 1989 de créer le Secrétariat général du Conseil national de la culture, des arts et des lettres du Royaume du Bahreïn avant d'exercer de 1987 à 1997 les fonctions de Secrétaire général adjoint du Conseil.
* A créé au Bahreïn en 1994 le magazine « Al Bahreïn ath-thaqafiya », qui est publié par le Conseil national de la culture, des arts et des lettres du Royaume du Bahreïn, et en a dirigé la rédaction jusqu'en 2000.
* A exercé les fonctions de Directeur du Département de la culture et des arts au Ministère de l'information, de 1997 à 2000.
* A été chargé en 2001 de créer le Département des recherches culturelles au Cabinet royal du Royaume du Bahreïn qu'il dirige actuellement.
* A participé à nombre de conférences et rencontres littéraires et intellectuelles, tant à l'intérieur qu'à l'extérieur du monde arabe.
* A animé de nombreuses soirées culturelles et participé à plusieurs festivals arabes de poésie (Festival de la poésie arabe d'Al Marbad, Jarash, Jordanie ; Rencontre mondiale de poésie « Automne de la poésie » (France) ; Forum mondial de la poésie (Roumanie)).
* A participé aux réunions des experts non gouvernementaux pour l'élaboration de la Convention mondiale pour la protection des droits d'auteur et droits voisins, tenues à Paris en 1978, à la demande de l'UNESCO.
* A participé en 1983 aux réunions des experts non gouvernementaux pour l'élaboration de la Convention arabe type pour la protection du patrimoine populaire, à la demande de l'Organisation mondiale de la protection de la propriété intellectuelle (WIPO).
* A participé en 1984 à l'élaboration du Plan d'action globale pour la culture arabe, à la demande de l'Organisation arabe pour l'éducation, la culture et les sciences (ALECSO).
* Un choix de ses poèmes a été intégré aux programmes officiels d'enseignement du premier et du second degré du Royaume du Bahreïn.
* Un choix de ses poèmes a été traduit en anglais, français, italien, polonais, roumain et persan.
* A conçu et réalisé en 2005 « La Stratégie nationale pour la jeunesse au Royaume du Bahreïn », à partir de rapports

# BIOGRAPHIES

## ALI ABDALLAH KHALIFA

* Figure éminente de la poésie arabe contemporaine et un des fondateurs du mouvement poétique moderne au Bahreïn.
* Natif de Mohreq, Royaume du Bahreïn, ville située au bord de la mer et berceau des chercheurs de perles dont les activités donnèrent naissance à des arts populaires du chant liés à la plongée sous-marine.
* Président de l'Organisation mondiale des arts populaires –*www.ioworld.org* –, section du Bahreïn, depuis 1988.
* Président du Conseil d'administration du Forum culturel populaire – *www.almultaqa.org* –, depuis 1994.
* Président du Conseil de la Faculté des Lettres de l'Université de Bahreïn : 1998-2008.
* Directeur du département des recherches culturelles au Cabinet royal du Royaume du Bahreïn, depuis 2001.
* Secrétaire général adjoint, depuis mai 2007, pour la région Moyen-Orient/Afrique du Nord de l'Organisation mondiale des arts populaires, organisation travaillant sous l'égide de l'UNESCO.
* Directeur général pour les études, recherches et publications des Archives culturelles populaires du Bahreïn, depuis novembre 2008.
* Directeur de la rédaction de la revue Ath-thaqafa ach-chaâbya (La Culture populaire) – *www.folkculturebh.org* –, depuis janvier 2008.

Publications poétiques :

* A*nin as-sawary* (La Plainte des mâts). Dar al-'ailm lilmalyin. Beyrouth. 1969.
* A*tachu annakhîl* (La Soif des palmiers). Dar al-'ailm lilmalyin. Beyrouth. 1970.
* I*dha'atun li dhakirati elwatan* (Pour éclairer la mémoire de la patrie). Dar al Adab. Beyrouth. 1973.
* A*çafiru al massa'* (Les Oiseaux du soir). Recueil de poésies en arabe dialectal du Bahreïn. (Album contenant une édition du recueil accompagnée de quatre cassettes avec la voix du poète récitant ses textes). Dar al ghad. Bahreïn. 1983.
* F*i wada'a assayida al kahdra'* (Pour un adieu à la dame en vert). Dar al ghad. Bahreïn. 1992.
* H*ouriatu al 'achiq* (La Houri de l'amant). Al Mouassassa al 'arabiya li'nnachr. Beyrouth 2000.
* Y*'achabu al waraqu* (Fleurissent les pages : choix de poèmes.) Usratu al udaba' wal kuttab (Société bahreïnie des écrivains et hommes de lettres). Bahreïn. 2005.
* L*a yatachabahu ach'chajar* (Nul arbre ne ressemble à l'autre). Beyrouth 2005.
* A*la qalbin wahidin* (Sur un seul cœur). (Album contenant le recueil de poésies éponyme et un CD avec la voix du poète accompagné d'une musique composée par Mohamed Haddad). Al ayyam li'nnachr wa tawzi'a. Bahreïn. 2005.
* Q*amarun wahîd* (Lune solitaire). Choix de poèmes traduits en français par El Moâti Qibal. Editions Non Lieu. Paris 2006.

Opérettes :

* S*ani'u al majd* : musique de Jassem al Hirban. Production du Ministère de l'éducation et de l'enseignement pour Aïd Al 'Alam (La Fête du Drapeau). Bahreïn. 1996.
* I*ntadharnaka tawilan* (Nous t'avons si longtemps attendu). Musique de Khaled Al Cheikh. L'Institution publique de la jeunesse et des sports. Royaume du Bahreïn. 2001.
* C*hamaliyu ar-rouh* (Septentrional d'âme). Musique de Khaled Al Cheikh. District de la ville de Mohreq. Royaume du

# *Des liens artistiques…*

PAR CHANTAL LEGENDRE

Lorsque le poète Ali Abdallah Khalifa et la poétesse Touria Ikbal ont franchi le seuil de ma maison-atelier en novembre 2005, des liens artistiques et amicaux se sont dans l'instant tissés entre nous. Compréhension immédiate, communication sensible autour de mon travail, chemins pour chacun parcourus et qui, à ce moment de la rencontre, se retrouvent au même carrefour.

Plus tard dans la soirée, j'écoutais avec attention leurs textes en arabe puis en français.

Ali Abdallah Khalifa, dont la déclamation pénétrante me fit ressentir d'emblée sa quête tourmentée, son questionnement de l'âme,

Touria Ikbal dont l'affirmation poétique m'attira irrémédiablement dans sa certitude d'exister pour soulever les voiles du mystère de la vie et du temps qui s'écoule.

Tous deux rejoignent ma soif de connaissance à travers l'œuvre à accomplir, tous deux posent avec moi comme condition première de la création, le don de soi, et l'exigence d'une sincérité absolue.

Notre désir commun grandit de jours en jours, et c'est un grand bonheur que nos échanges continus depuis lors, donnent naissance aujourd'hui à cette œuvre partagée, reflet des liens qui nous unissent.

Chantal Legendre (*Chanath*)
Le 6 février 2007

Une certaine sophistication maniériste traduit sa recherche de l'harmonie. Dans cette quête picturale de l'absolu, veut concilier les contraires.

Rien n'est complètement innocent non plus dans l'imaginaire de la femme, mais tout en elle est au service de la vie.

Ses paysages prennent une dimension atemporelle. Ils expriment quelque chose d'apocalyptique, un monde à l'état originel. L'artiste les appelle d'ailleurs : I*nspiration*, ou L*a Vallée de l'espérance*.

Dans ses peintures de verre, le printemps de glace se pose sur le relief des montagnes et vallées. Ce formidable travail sur la matière semble découpé d'une banquise ou d'un morceau de nature d'avant l'avènement du soleil. Des gouttes comme les gouttes de pluie se métamorphoseront dans des gouttes de larmes pour refléter l'image d'un monde à venir.

**I*leana* Cornea,**
Janvier 2008

# *Chantal Legendre, un imaginaire à part*

PAR ILEANA CORNEA

Les peintures de Chantal Legendre appartiennent à une esthétique et une éthique artistique singulières…

Quand certaines artistes femmes s'emparent de la peinture et qu'elles sont libres de toute préconception formelle, leur écriture picturale tourne le dos à la réalité et à la vie diurne. Elles inventent un langage personnel, un peu tarabiscoté. Leurs sujets de prédilection sont souvent la femme et la nature. Les femmes qu'elle créent ont des corps et des visages inventés, et la nature omniprésente dans leurs œuvres apparaît, non pas comme chez les impressionnistes, vivante et lumineuse, mais comme à travers un filtre.
L'imaginaire féminin est à part.

Léonor Fini cultive son « égo » se confondant organiquement avec les règnes végétal et minéral. Dans la peinture de la Vénitienne Manina, le corps de la femme est traversé par une nature spectrale.
Issues du même lignage poétique, les peintures à l'huile et les peintures de verre de Chantal Legendre participent à cette esthétique fantasque qui semble directement dictée par l'inconscient.

Elle aussi représente essentiellement des femmes et des paysages dans ses œuvres. On peut penser aux Préraphaélites.
Seulement chez les artistes anglais la représentation de la femme, de son corps et de ses charmes est redevable à une éthique « idéelle » et mystérieuse. Leur symbolisme étant conçu et construit. Chez Chantal Legendre, comme chez Léonor Fini et Manina, le symbolisme est consubstantiel à son imaginaire de femme.

Ses fragiles sylphides ignorent les lois de l'apesanteur. Des intuitions et des pressentiments font que leurs corps et leurs visages ne font qu'un avec leur être comme l'arbre avec la terre et la terre avec l'univers tout entier… Qu'est-ce qu'au juste le féminin ?
Dans les toiles de Chantal Legendre, les couleurs vont par couples.
Le jaune qui rappelle l'ambiguïté de l'or avec le rouge vermillon, Le jaune d'or avec le mystérieux cinabre. Le bleu aussi est associé à ce jaune d'or qui revient sans cesse. Rien n'est complètement innocent dans ce mariage chromatique.
Il crée des lumières et des fluides, engendre une savante alchimie des effets en mouvement, c'est l'allégorie de la nature, et la nature est femme.

habituelle dont elles sont façonnées par la mémoire. Empruntant à l'eau et la lumière le secret de leur existence, elles créent leurs entités potentielles dans l'enceinte de l'imaginaire. Aussi, plus affective que décorative, la couleur apparaît-elle dans les tableaux de Chantal Legendre comme une unité émotionnelle métamorphosée en masses n'éprouvant nullement le besoin d'épouser une réalité figurative. Elles coulent à flot et prennent leurs formes des traits qui les font naître dans l'imagination créatrice de l'artiste qui s'acharne à garder intacte la part du rêve, à lutter contre la médiocrité et l'indifférence et à soulager le monde de l'emprise d'une réalité qui le désenchante. C'est d'ailleurs de la sorte que l'artiste conçoit son travail artistique, un don de l'imaginaire qu'elle met généreusement à la disposition de l'autre.

Les autres œuvres du recueil, P*arole*, M*étamorphose*, T*raversée*, H*armonie*, S*oleils* (huile sur bois) et O*ubli*, I*ntemporel*, E*nvol* (huile sur toile) ainsi que F*olle allure*, R*êve bleu* (pastel) constituent une étape antérieure dans l'expérience artistique de Chantal Legendre. Étape non moins intéressante car elle prépare celle de la transparence. Étape qui interpelle dans l'être et les choses leur inlassable capacité de métamorphose.
La force de l'artiste réside dans l'authenticité de sa démarche, l'extrême maîtrise de ses moyens et la parfaite disponibilité aux sensations nouvelles et aux résonances qu'elles suscitent, la spontanéité d'une œuvre que n'altère aucune préoccupation d'école ou de mode.
Hantée par la symbiose du naturel et de l'humain, Chantal ne cesse d'explorer ce qui longtemps était le principe de l'être au monde. Elle arpente les images qui fondent la vie pour y chercher le sens initial, lequel n'est autre que le sens symbolique, figuré, impropre et structurellement intérieur. Elle crée, dans cette même synthèse qui esquisse une nouvelle interprétation de l'univers, plus radicale et fructueusement réflexive. Chantal tend ainsi à fonder devant nous un nouvel univers sans antinomies, ni dichotomies. Un univers où tout a un sens, toujours harmonie. Tout est porteur de message, caché ou apparent, toujours issu de la nécessité intérieure. Point de faille, jamais d'insignifiance. Un univers tel que l'originaire se laisse explorer en lui.
En dehors de toute vraisemblance, Chantal réinvente, dans A*ffinités* la texture de ses espaces et de ses personnages, les parant tantôt d'une figuration doublement animée par la minutie du geste et la majestueuse et éclatante transparence, tantôt d'une abstraction où le tracé est travaillé conjointement avec la couleur, la forme formulée afin de jouir de sa propre transcendance pré pensée. Une conscience et une vision du monde se dégagent manifestement de ces travaux conçus dans le plus infime des détails.
Encore une fois, Chantal nous invite à un voyage à travers A*ffinités* sur le chemin d'un art qui devient une recherche intérieure et une quête qui se poursuit inlassablement. Une quête issue d'une liberté intérieure construite et toujours recommencée sans laquelle rien n'est possible et par laquelle l'aspiration à ce qui dépasse et transcende ne se sépare plus de l'ensemble que constitue à la fois l'œuvre et l'artiste. Celui-ci initie un langage qui touche et qui pénètre, où chaque geste est symbole, chaque mouvement est signe, où chaque trace trouve ses sources dans un vécu singulier et profond aspirant à un art, l'art de la vie, art éclairant la nuit incessante qui nous love, art qui ouvre l'accès à une expression artistique qui assume l'immensité de la vie et la finitude de la mort. L'art qui perpétue la vie, vainc la mort dans l'inlassable recherche du beau, de l'harmonieux, du poétique, du spirituel et de l'humain dans tout un chacun.

***Touria Ikbal***

P*uis aujourd'hui, j'ai toujours… soif de connaissance… je cherche le fil à attraper pour me relier à nouveau à ce chemin qui me semble le plus important*, me dit-elle encore.
C'est l'autre bout du même fil que je cherche à attraper de mon côté pour me connecter à ce chemin-là, à ce secret qui me lie à jamais à la vie, au bonheur et au partage.
Notre quête, quoique différente, a le même sens. Les expériences que chacune de nous a vécu à travers les pratiques de la vie sont tellement différentes et proches à la fois, extraordinaires parfois, incroyables, parsemées de clairvoyance et sagesse féminine.
En deux ans, Nous avons travaillé ensemble, écrit ensemble, partagé plein de moments forts et significatifs ensemble. J'ai présenté avec bonheur quelques expositions de Chantal Legendre.
… Et puis ce fut l'aventure que nous avons tentée toutes les deux avec notre ami le poète Ali Abdallah Khalifa. Et ce fut la naissance d'*Affinités*. Ce n'est point un hasard que ce soit avec Ali, grand poète de Bahreïn, avec une longue et riche expérience poétique, mais aussi et surtout, homme de foi et de cœur, homme d'une sensibilité à fleur de peau et d'une générosité à revendre.
Dès notre première rencontre, un lien très fort autour du beau, du poétique et de l'humain en nous s'est établi. Très tôt, on a compris qu'on avait un bout de chemin à faire à trois. *Affinités* est né de notre volonté de faire quelque chose en commun.
Quoi de plus subtil que la lumière de l'œuvre, l'alchimie du verbe et la magie de la traduction pouvaient s'offrir à notre soif de laisser une petite empreinte dans le grand livre de la vie ?
Et c'est dans ce cadre que Chantal a réalisé 27 tableaux (17 tableaux en verre, 8 huiles sur bois ou sur toiles, 2 pastels). Les œuvres ont en commun le souci de dialoguer avec les poèmes dans un face à face indélébile qui tente de saisir l'invisible et de capter l'indicible. Ainsi, des poèmes qui partent du cœur font écho à des œuvres qui par leur beauté, traversent sans peine les cœurs.
Les vitraux *Rendez-vous*, *Intensité*, *Éffeuillaison*, *Jaillissement*, *Embrasure*, *Reflux*, *Prémisses*, *Traversée du désert*, *L'enfant et l'éclipse*, *Reflet de lune*, *Grand coquelicot*, *Écrin*, *Confidence*, *La mère*, *Invitation au jardin*, *Marche astrale*, *Transparence du temps*, dont la plupart sont conçus spécialement pour le recueil *Affinités* expriment un dialogue qui renvoie au-dedans, à l'intérieur là où tout est ténèbre, mais là où se cache la vraie lumière. Un dialogue qui frappe de beauté, élève la voix du cœur et ouvre la voie de l'inconnu. Un dialogue mystérieux car impérative y est la vision du cœur pour percevoir son message caché dans les abysses des textes et dressé sur les cimes des vitraux. Mais c'est aussi un cri, à la fois d'amour et de révolte, de joie et de douleur face aux affres de l'injustice et des cruautés, un murmure d'espoir dans l'humain et le beau.
Le verre, support surprenant car loin d'être lisse et fragile comme le suggère son apparence, demande un travail initiateur pour s'apprêter à cette alchimie transformatrice équivalente à l'expérience mystique. Sa transparence le dispose à capter la lumière, suivant les heures de la journée et à refléter une représentation chaque fois renouvelée, à l'image de l'âme profonde jamais inerte.
Des images qui muent, se transforment et se renouvellent en fonction du regard posé sur elles car elles prennent leur sens de leur nécessité intérieure. Telles un miroir, elles renvoient à chaque regard sa propre essence. Aussi, tout tableau est unique et pluriel à la fois, jamais le même.
Des images qui dissimulent plus qu'elles ne dévoilent car elles ne s'ouvrent qu'à l'œil vif et éveillé capable de traduire l'invisible et capter le débordement de l'intérieur vers l'extérieur.
Les couleurs des vitraux revêtent une apparence singulière et rompent diamétralement avec la manière

Les premières œuvres de Chantal qu'il m'a été donné de voir et de contempler s'étaient déjà offertes à mon regard lors de cette première rencontre et depuis elles n'ont pas cessé de nourrir mon imaginaire et de ressourcer autant ma démarche créatrice que ma vision interprétative de l'art.
je fus d'abord impressionnée par ses tableaux en verre et saisie par cette beauté foudroyante avant de devoir m'initier petit à petit à la magie de la transparence, des couleurs, des formes et de l'art de recréer le monde selon une vision cosmologique singulière et profondément ancrée dans la nécessité intérieure de l'artiste. Des échanges à distance, intensifs et ininterrompus, m'ont permis de connaître profondément Chantal et de constater à quel point nos démarches artistiques et poétiques étaient proches, et depuis, une amitié profonde née de nos sensibilités, nos fragilités, nos forces, nos complicités communes nous lient.
Depuis, j'ai également été témoin de la manière dont travaille Chantal Legendre. Avec acharnement, amour, passion, révolte, crainte et espoir, elle sculpte le verre, matériau où réside une force inépuisable qui, comme un miracle, s'offre à l'imagination ouverte.
Chantal produit selon un rythme insoutenable, contemplant l'univers à travers son image intériorisée, traçant ses multiples sens sur ses vitraux pour consigner le lien sans fin avec l'univers. Pour elle, les représentations n'en sont d'ailleurs que le faible moyen utilisé. C'est le regard qui va se poser, qui sera rempli par les transparences et les lumières. Le spectateur averti, pénétré par toute cette beauté, apparente et cachée, doit s'envoler très haut au-delà de lui-même…
Rêver l'infini devant la mer, accompagner le ruisseau, faire la mise-bas de chevrettes, marcher le long des berges dans le sens de l'eau qui coule, se familiariser très tôt avec l'univers des plantes et des jardins, se sentir envahie d'une sorte de mélancolie lente devant les lacs calmes et songeurs, accompagner le troupeau, se faire grignoter les cheveux lors de la traite… Autant d'expériences qui font de la rêverie un univers en émanation. Autant de démarches d'exploration dans différents domaines, qui font du retour à la nature en bas âge, un ancrage très fort de la personnalité de Chantal Legendre, sa vie et son parcours.

*Mais j'avais soif de connaissance*… me dit-elle.
C'est cette connaissance intuitive qui transforme l'amour que Chantal porte en puissance et les aspirations poétiques de son âme vibrante en véritable œuvre d'harmonie et de beauté.
Aussi, dans chaque tableau, il y a une part d'elle, la plus intime, la plus douloureuse peut-être, mais la plus sincère sûrement. Dans chaque tableau, elle offre à nos regards et à nos cœurs tout ce qu'elle possède de plus beau : couleur, lumière, transparence, contrastes, émotions et espérances.
"Projeter la lumière dans les profondeurs du cœur humain, telle est la vocation de l'artiste" écrivait Schumann.
La lumière se dégageant de l'œuvre de Chantal Legendre apaise le doute qui torture les âmes inquiètes et l'angoisse qui les épuise. Le regard borné qui a l'habitude de se heurter aux ténèbres se trouve tout d'un coup surpris par une telle lumière.
Les doigts trempés dans la rosée des profondeurs, l'artiste fait éclore l'étincelle qui éclaire le chemin de la sensibilité intérieure.
C'est ainsi que j'ai connu Chantal et que je me suis familiarisée avec son œuvre et son travail.

# *Chantal Legendre, dans l'affinité et la transparence*

PAR TOURIA IKBAL

---

*Ma bouche est encrier*
*pour que tu puises*
*le carmin de tes mots,*
*nos pas épousent*
*les empreintes du temps*
*dans la poussière*
*des sentiers invisibles*
*lorsque nos regards*
*se croisent*
*pour tracer l'Horizon*

**Chantal Legendre**

*Mes doigts à l'orée du temps*
*Je plonge dans ton encrier*
*Ma bouche s'emplit de tes mots*
*Je m'enfonce dans le nombril du monde*
*Un univers surgit sur tes lèvres*
*et elles sont miennes*
*Texte nous sommes*
*aimanté par la soif de la beauté*
*porté par l'incandescence d'une passion*
*cherchant l'introuvable*
*dans les méandres*
*de l'invisible et de l'indicible*

**Touria Ikbal**

La première fois que j'ai rencontré l'artiste peintre et sculpteur Chantal Legendre, c'était en novembre 2005 sur invitation de notre ami le poète Pierre Vieuguet. J'étais en compagnie du poète bahreïni Ali Abdallah Khalifa. Nous étions les deux invités prévus à la dernière minute au programme du premier Festival d'automne en poésie organisé par la Maison de la poésie Rhône-Alpes, invités surprise puisque chacun de nous était juste de passage.

Soif de connaître la soif des autres ; pour ce faire, le poète se poste dans l'escalier d'un bordel, le meilleur endroit pour être au cœur de l'intarissable :

***Sur le marché, j'étais l'intermédiaire entre les***
***Prostituées***
***Et les soldats étrangers***
(in *Le Langage pourpre de la soif*, Éd. *Non Lieu*)

Le poète est *dans le désert une plante gémissante esseulée*. Dans le commerce entretenu des hommes, il éprouve la soif *des caravanes chargées d'épices et de café et tous les compagnons revenant de désir au début du voyage* ont dans leur sac le Houloulou des hommes de la mer. Désormais, un poète exporte leur langue vers le pays des assoiffés et des assoiffeurs de livres car tout bon écrivain invite à d'autres lectures.

Ali Abdallah Khalifa est celui qui chante aujourd'hui les perles du Bahreïn, les îles et les mouettes, les mots rares des plongeurs, le grain de sable caché dans la ressemblance de ses frères.

***David Dumortier***

*une voix suave* ?
(…)
P*ourquoi un jouvenceau en marbre*
A*pparaît-il incessamment*
*sur la rivière*?
(in L*une solitaire pour les lys d'eau*)

Le poète sait que son chant est éphémère comme le chant de la Zambinella dans la nouvelle de Balzac, S*arrasine*, et Sarrasine travaille la pierre… Il est des arts plus périssables que d'autres… La reproduction des sociétés et de leur ordre sera toujours plus solide et mieux incrustée qu'un chant, qu'un poème, qu'un nuage… C'est dans cette conscience que le poète, comme l'homme pieux, se contente de tourner autour de la pierre, dont la Ka'aba de La Mecque reste le plus fort symbole…

Tourner, marcher, chercher, être en quête, se perdre dans le désert, toute cette errance déshydrate et fait d'Ali Abdallah Khalifa le poète de la soif de l'Autre.

## A*li* A*bdallah* K*halifa, le poète de la soif*

Être né entre le désert le plus aride du monde et les eaux salées des deux mers met la soif au cœur de tous les combats.

A*ssoiffé, je déclame le poème*
J*e poursuis le mirage à l'orée du désert*
L*e supplice du poème me défie*
(in L'*oiseau de feu*)

La création d'un poème est un supplice aussi douloureux que former une perle pour une huître. C'est le prix de la rareté… Les roses des sables poussent peut-être dans cette même soif de combat pour la beauté… Car la soif n'est pas une sensation de manque, elle est au contraire une surabondance de sécheresse intérieure qui drogue le poète et lui offre des visions. Noé entouré de la masse d'eau du déluge a dû lui aussi éprouver cette soif, plonger son seau et boire. Preuve est donc faite que même si de belles pluies nous tombaient du ciel subsisterait encore dans nos mots cet appel du corps.

Soif d'un chemin à inventer tous les jours :

Ô *chemin ! chaque fois que je m'y enfonce*
L'*amour me possède, se charge de moi*
E*t me guide vers un non-chemin.*
(in *Topaze dans un vase*)

Il y a quelque chose de sibérien dans ses mots, des amulettes pour l'âme, mais aussi un air de tribalisme antéislamique : animaux gravés dans le poème comme des lions sur la façade des tombes nabatéennes, poèmes qui réveillent les tribus arabes portant des noms d'animaux, telle la tribu des Qoraïsh, la tribu du petit requin, rendue célèbre par le prophète Mohammad dont l'Envoyé de Dieu était membre.

*Peut-être oubliera t-on, mais les traces restent et ne meurent guère*
*Ce fut gravure sur roc et encre sur papier.*
*La chatte était dans le giron de la soie*
*avec le bris, la voilà aujourd'hui affamée*
*dans les ruines des villes.*
(in *Topaze dans un vase*)

ou encore :

*Pourquoi mon besoin de toi*
*est espace où, les ailes languissantes,*
*un oiseau veille dans sa prison.*
(in *Paroxysme*)

La dame verte, les animaux, l'Aimé, autant de thèmes qui nous rapprochent de la mystique soufie. Il est un dernier élément qu'il conviendrait de noter ici : la présence des minéraux.

## *Les pierres*

*Autour de moi des hommes*
*S'amusant à une gravure*
*Qui fut un jour sur une pierre*
(in *Personne*)
ou encore :

*Des vallées s'étendirent*
*et des chaînes de veines émeraudes*
(in *Épiphanies et contrastes*)

Le corps est un égarement qui emprisonne et les oraisons d'un visage peuvent noyer l'aimant. La topaze, l'émeraude, le marbre, le rocher, la dana (grosse perle) sont des signes incorruptibles, à la différence de la chair animale, et correspondent à la nature solide de la sagesse. Ibn 'Arabi a ui-même écrit les *Chatons de la sagesse*, plaçant ainsi la sagesse dans la loge métallique d'une pierre précieuse.
*Quels joyaux troquerait un jour*

La Fourmi en conversation avec la Huppe :

***Je persiste à marmonner un chant triste pour les oiseaux***
***mais, légers, ils me désertent.***
(in *Lune solitaire pour les lys d'eau*)

Mais le poète atteint le sublime quand il consacre toute une longue fable à une lapine immaculée.

## *La Lapine immaculée*

Il s'agit certainement du plus beau poème de ce recueil.
Tout se passe la nuit, dans le monde des ombres lourdes, la lune est à portée de main, sur la coupole d'un minaret. Nous sommes dans une ville, dans ses ordures, sa puanteur, la production de ses émonctoires est là, visible aux yeux de chacun. Des chiens pourchassent une lapine blanche. Ils veulent sa peau. Ils sont plusieurs et elle est bien seule avec ses ovaires apeurés. Les molosses la poussent dans une fosse et elle ne doit son salut qu'à un bout de bois flottant. Ils sont toujours à ses trousses, à aboyer, crocs sortis et bave haineuse. Ils ne déguerpissent pas pour autant. Ils maintiennent la pression. L'eau est aussi pourrie que la ville, seul le poil de la fugitive est propre. Pauvre lapine blanche des herbes pures qui ne désire pas mourir noyée ! Les moustiques s'y mettent à leur tour et l'assaillent de toutes parts, puis arrivent les maladies et c'est encore un collet qui l'étrangle : un cauchemar ! La cruauté touche à son apogée dans ce poème. La mise en scène satisfait autant la vue que le nez. Il ne manque que les cris des bêtes pour que le lecteur entre dans une transe d'angoisse. Antonin Artaud rôde dans les parages :

***La vie est toujours la mort de quelqu'un.***
(A. Artaud, in *Le Théâtre et son double*).

Le poète exhibe la lutte, l'agonie, les affres de la persécution ; point de mièvrerie, ce serait offrir un trop beau cadeau aux chiens. Quant aux cordes, perches, bouées qui pourraient nous sauver des périls, le poète nous invite à s'en méfier : ce sont parfois des pièges à gorges. Ce poème à la lapine blanche est un coup de hache qui vient fendre le recueil en deux. Ali Abdallah Khalifa ne serait pas poète sans cette violence du texte, le reliant ainsi aux grands textes littéraires des contes d'Andersen, des Mille et Une Nuits, des fables d'Ésope ou du personnage de Cosette au service des porcs dès sa plus jeune enfance.
Le poète tient le miroir. Il n'est coupable que de cela.
Mais revenons à notre petite bête. C'est une lapine traquée qui veut vivre comme s'acharnent à vivre les gens dont on désire la mort. Elle essaie de se donner une dernière chance, on ne sait jamais, en sachant bien qu'une fourrure épaisse sera toujours plus courue qu'une peau de chien. Le monde est habité par des prédateurs et des proies. Ces animaux-totems sont la métaphore des forces en conflit qui font de la poésie d'Ali Abdallah Khalifa une œuvre presque chamanique.
***Et fréquenté des ombres qui ne sont pas miennes***
(in *Miroirs des temps restants*)

*Tu étais dame de l'océan*
*L'océan se tord de passion*
*Lorsque blessé, il se prosterne*
*Purifie les pieds par amour, puis disparaît*

Chercher l'intériorité des choses ne va pas de soi. C'est un long apprentissage qui mérite une adresse aux enfants et à celui qui grandit encore en nous. Dans un recueil publié en France aux Éditions Non Lieu, Ali Abdallah Khalifa parle ainsi au lecteur sans âge :

*Demain quand tu grandiras*
(…)
*Tu découvriras les choses sous un autre jour.*
*Tu verras que le dedans est à l'opposé du*
*Dehors.*

Le Bahreïn est un pays à double face (comme tous les pays, probablement). D'un côté, une riche société d'hommes d'affaires, de riches héritiers d'une monarchie arabe du Golfe, et de l'autre, une classe ouvrière, souvent asiatique, au service de la première. Ali Abdallah Khalifa est un homme honnête. Il a cherché, au-delà des divisions sociales, ce qui fait le cœur de l'homme, sa générosité dans sa cruauté, et il a pointé du doigt les inégalités en mêlant la beauté à la souffrance :

*Aux mèches encore mouillées de tes cheveux*
*conservant les senteurs de santal, de safran*
*et les souffles d'un petit cerf souffrant*
*d'être pourchassé*
*jusqu'à l'abandon.*
(in *Marguerite de rosée*)

Ou encore dans ce poème publié précédemment aux Éditions Non Lieu :

*L'océan entendit mon chant et se ranima*
*Pour habiller le flux d'une couverture pourpre*
*Confectionnée avec les blessures des*
*Prisonniers*

Car explorer la lettre cachée de Dieu, c'est inévitablement, dans le quotidien de notre bas monde, ne pas se laisser aveugler par les masques de la facilité.

Son mysticisme se lit plus encore à travers l'omniprésence des animaux sculptés dans la bijouterie des poèmes. Le cerf, l'outarde, la gazelle, les mouettes balzanes, les chattes, les alouettes, les papillons, les abeilles ; quand le poète ne leur parle pas, tel Salomon dans la sourate coranique de

Fréquenter l'interdit, les passions, les ferments du vin, côtoyer toujours volontairement le blâmable pour exclure l'amour humain et ne chercher que Lui, voilà le chemin pris par le poète pour atteindre les images couvertes d'un voile.

Ce monde caché et espéré trouve tout naturellement sa résonance dans le phrasé haïku des poèmes. Il survient comme une inclusion dans le flot abondant des mots, dans la longueur des poèmes océans. Si certains poètes arabes contemporains excellent dans l'art du poème bref, tel le poète jordanien Ziad 'Annani, Ali Abdallah Khalifa a choisi l'emprisonnement du précieux, la perpétuelle métaphore de la perle enfouie dans la matrice d'une huître ou la clef des secrets coincée dans les ouïes d'un poisson, d'un conte des Mille et Une Nuits :

H*erbe*
L*a terre m'a plantée*
S*ur le chemin des mots*
(in Q*ue je te voie*)

Et encore :

S*eul, je me suis assoupi*
*au milieu de la matinée*
*sous un arbre touffu*
(in L*une solitaire pour les lys d'eau*)

Ou encore :

U*n beau soir*
*que l'automne des chants*
É*tendait à l'horizon un fil de sourire*
(in E*n présence de l'adoré*)

L'autre référence majeure au soufisme dans les *Affinités* d'Ali Abdallah Khalifa, est l'apparition de la dame verte dans un poème intitulé L'adieu de la dame verte.

La dame verte, mère des pauvres, devant qui se prosterne l'océan, incarne la verdure si nécessaire à la vie, la lutte contre le désert et le bitume des villes. C'est une oasis qui apparaît après de longues conquêtes sur l'aridité des épreuves. Cette image toute spirituelle s'incarne dans les drames écologiques que subit actuellement notre planète. Mais la présence dans ce recueil de la dame verte nous rappelle surtout le Khidr, le guide secret des Soufis. Le poète andalou Ibn 'Arabi l'aurait vu trois fois. La deuxième rencontre eut lieu dans le port de Tunis, une nuit, à bord d'un bateau. Le Khidr s'avança vers lui, marchant sur l'eau et le salua, en posant ses pieds l'un sur l'autre. Dans le poème L'*adieu à la dame en vert*, l'océan lave les pieds de la guide des poètes, par déférence :

soixante un poète engagé accompagnant, dans son écriture, l'insurrection populaire de 1965, bien avant notre mai 68 ? Au Bahreïn, la coutume ne veut-elle pas qu'un patron verse un acompte à ses marins en avance du travail qui sera accompli pendant la prochaine saison ? Le poète est riche d'une langue, il doit donc verser sa contribution à la tribu ; il dira dans cet autre poème, Au seuil de la porte :

*Je te souscris une dette dans mon cœur*
*Tu me contiens tribu, tente et éclat de lumière*

Ma lecture des poèmes à l'aimé, si séduisante soit-elle, a probablement été trompée par une ruse de l'écrivain. Ne nous faisons pas piéger par l'apparent de ces paroles. L'activité des hommes sous le soleil ou la lune est une danse envoûtante et entraînante, inlassablement répétée dans l'inconscience même des protagonistes ; danse soûle de la survie des humains où les corps n'ont plus de rôle à jouer… Et cette ivresse prend une toute autre signification dans l'esprit d'un poète ou d'un soufi, ou d'un poète soufi, qui verrait en elle un samaâ (la célèbre ronde des derviches tourneurs), entièrement voué à la gloire de l'Aimé. La langue arabe n'utilisant pas de majuscule, il est aisé pour un professionnel des mots de laisser en plein air tout un flottement de sens dans lequel la Grande Ivresse s'entortille aux minuscules brindilles œuvrant dans la poussière du vent. De même que l'invocation « Ya habibi », Ô mon amour, très répandue dans la poésie, la chanson ou les conversations ordinaires, est utilisée indifféremment pour les deux sexes, ce qui n'est pas sans créer des ambiguïtés de genre.

Dieu dit, (si c'est Dieu qui parle) :

*Je créerai un verger de passion*
*et ferai de ses bienfaits les clés des paradis*
*(…)*
*Je soufflerai feu dans l'argile*
*pour en faire un astre caché*
*que je doterai de l'incandescence extrême*
*J'en relierai l'éclat*
*au secret contenu dans l'orbite*
(in *Épiphanies et contrastes*)

ou encore :

*Chaque effusion racontait une histoire*
*Et évitait de frôler dans le cœur quelque chose de frémissant,*
*De sournois et de caché*
(in *L'œillet du temps*)

*Comme si le doute est lotion des ports lors des pluies*
*Et que le ciel était sans frisson pour les nuages*
*Sans torrents, sans éclairs*
*Comme s'il était simple couleur sur une surface en papier*
*Et que les étoiles brillantes dans leur éternelle gloire*
*N'étaient que fragments de verre dispersés*
*Sur des frocs rapiécés.*

*Querelle de Brest* traîne par là et cette sensualité des bateaux se poursuit dans le poème L'écho des désirs à travers des lignes pleines d'un vocabulaire spécifique aux marins du Bahreïn, leur chant, le *Houloulou*, le chantre des vagues, le *Nahham*, le navire des perles, le *Bettil*, et la robe des femmes, *Nashl*, pour plonger dans la nuit de ses interrogations :

*Toutes les femmes du quartier seraient-elles comme moi ?*
*Auraient-elles mon élan ?*
*Auraient-elles le même désir ardent dans la chaleur de l'éloignement*
(…)
*Que mettrai-je ô miroir étourdi ? Dis-moi*
*Mon nashl garni d'étoiles aux manches longues ?*
(in *L'Écho des désirs*)

Le poète va encore plus loin dans cet éblouissant poème, Le gémissement des mâts, poème d'amour dédié à la mer qui vogue sur la condition des ouvriers et des marins, poème surtout dédié à son père :

*Ô Père ! Comment te revoir ?*
*Peut-être ne te reverra-t-on jamais ?*

Ali Abdallah Khalifa est né dans ce milieu très modeste des pêcheurs de perles. Il connaît la valeur des dures journées de travail et de fardeaux portés sur l'épaule des gosses. Son père était de ceux-là. Le fils n'a rien oublié, pas même le charme inhérent au commerce des pépites germées dans la bave d'huître, (elles aussi travaillent), quand il faut faire de l'œil au plus offrant juché sur son taouache (marchand de perles sur bateau) :

*Et mon père d'implorer Dieu que je grandisse*
*que je porte le fardeau et que je me rende en pleine mer*
*en quête de perles aguichant les taouaches de la mer*
(in *Le gémissement des mâts*)

Le poète a une dette envers son enfance et les siens. *Donne de ta dette, donne* dit-il dans ce poème où le bois des mâts grince autant que les articulations usées des mains. N'a-t-il pas été dès les années

nette référence au patrimoine bédouin, chant pour la bien-aimée, la gazelle impossible, les paysages du bédouin, les pleurs sur les ruines de l'amour, la nuit, les tentes :

E*t les désirs dans les pupilles nous inspirent*
D*es poèmes de l'éloignement* !
(in P*arle-moi*)

Dès le premier poème, on est plongé dans l'habitacle des arabes, le désert, qui est une tente de feu :

P*urifie la blessure à l'eau de mer*
E*t loge sous la tente de feu*
(in J*usqu'à ce que je te voie*)

Ou encore ces deux vers :

L*es miettes du temps restant de la nuit*
N*e sont que chagrin et miroir brisé*
(in M*iroirs des temps restants*)

Vers directement liés à la poésie antéislamique d'Imru oul Qaïs :

A*rrêtons-nous et pleurons au souvenir d'un être aimé et d'un campement*
Imru oul Qaïs

Il ne faudrait cependant pas s'arrêter à ces influences profondément enracinées dans la littérature arabe, car Ali Abdallah Khalifa évoque surtout notre monde d'aujourd'hui, avec ses injustices et ses blessures. Et à travers notre époque, il met à nu son désir en employant le je et le tu, désir qu'il rend public dans son poème Bonnes nouvelles :

M*es désirs non apparents*
M*es désirs jamais avoués ni révélés*
(…)
P*rends-moi échanson de ta nuit*
L*aisse-moi adorer les signes de ton apparition*
*parfumer ta poussière*
*et dire au dernier quart de l'âge* :
M*es roses ont fleuri.*

Ce thème récurrent de l'aimé prend parfois des tonalités du grand poète abbasside Abu Nuwas, ou encore du poète égyptien Mouhammad al-Nawâdji, avec cependant une modernité, un érotisme et une audace dignes de Jean Genet dans ce poème magnifique intitulé Lotion des ports :

# Ali Abdallah Khalifa
# *poète*

PAR DAVID DUMORTIER

Généralement on vit de son pain, posé sur la table avec des miettes autour et par terre. Le pain s'éparpille ainsi. Les pays sont parfois différents à l'instar du Bahreïn qui ne possède que des miettes, là, tombées à côté de l'immensité désertique de la Péninsule arabique, et des vastes eaux salées. Le Bahreïn, traduit littéralement, signifie « les deux mers » : le pays des deux mers, coincé entre le Golfe persique (ou arabique) et le Golfe d'Oman.
La mer, encore elle, et toujours elle, même quand il s'agit de poésie. La mer se dit bahr en arabe, et bahr signifie aussi le mètre en poésie. Il peut être long ou court… Polysémie d'un mot qui ne pouvait pas mieux s'épanouir qu'au Bahreïn (duel du mot bahr). Un pays de poésie, parce qu'on ne saura jamais où cette langue de la nuit se parle sur la carte de notre monde. Peut-être nous donnera-t-elle rendez-vous à minuit, mais il faudra se montrer bien précis sur le jour de notre rencontre : elle pourrait être en avance d'un jour et nous en retard d'une minute.
C'est ce pays d'îles et d'étoiles que le poète, Ali Abdallah Khalifa, évoque dans ce recueil intitulé *Affinités*.

**E***t moi, dans la mer en train de rassembler*
**L***a dissémination de l'archipel*
(in *Topaze dans un vase*)

Affinités, *Washa'ij*, que l'on aurait pu traduire aussi par entrelacs, enchevêtrements, enficellements, encordements :

**E***t la fleur dans la grenadine se hissa pour l'enlacement.*
(in *Dualité*)

La poésie d'Ali Abdallah Khalifa s'obstine à rassembler tout ce qu'il y a d'éparpillé en nous, l'histoire, la vie des hommes, l'amour, l'injustice, les chants populaires, les robes des femmes, les animaux, Dieu et cette soif qui nous tenaille…
Dans les années soixante-dix et quatre-vingts, le poète a été un maître du *muwwal*, forme poétique que l'on trouve dès le 7e siècle dans le monde arabe, généralement composée de sept vers rimés et allitérés. Il l'a remise au goût du jour dans son recueil *La Soif des palmiers*, publié en 1970 ou encore dans cet autre recueil *Les Oiseaux du soir*, publié en1983. Il a ensuite tenté de s'en libérer en se tournant, dit-il, vers des vers remplis d'espace.
Aujourd'hui, sa plume pourrait sembler très classique par les thèmes abordés avec notamment une

Peut-être l'ouverture sur l'autre est-elle à cet égard le point focal de cette expérience dans la mesure où elle est chemin vers soi et élan vers l'autre, si éloigné fût-il, un mouvement expliquant et enrichissant l'autre. La recherche par le plongeur de la dana dans les profondeurs océanes fut donc le reflet de la recherche au plus profond de soi de l'être cher auquel l'âme aspire de toute son énergie. Dans le même mouvement, la poésie fut le prolongement de cette soif de l'âme qui la jette vers l'instant où elle trouve à se désaltérer, instant dont le poète sait qu'il suffit de s'en rapprocher pour que la soif reprenne de plus belle. Et c'est là que nous comprenons que cette expérience poétique fut et demeure à jamais un projet ouvert sur tous les possibles autant que l'expérience amoureuse fut et demeure espérance en un devenir dont il ne peut désespérer, même si jamais l'espérance ne se réalise. C'est cela qui explique qu'il ne trouve au fond d'apaisement qu'en lui-même, au plus profond de ce moi où la dana a trouvé son aire, la dana, chose dont il ne peut déterminer les contours mais dont il sait qu'elle est bien là, qu'elle est plus grande que toute parole, plus précieuse que toutes les perles réunies. Car toute sa valeur réside dans le fait qu'elle est le lieu du possible et que de la trouver serait signer la fin de l'expérience poétique.

Ce livre n'est pas seulement un miroir de l'itinéraire du poète Ali Abdallah Khalifa, il est un témoignage véridique de son âme. Il est la main constamment tendue vers l'autre afin que se réalisent l'entraide, la solidarité, l'amour et la symbiose qui devraient être la loi de tous les rapports entre les hommes. Cette âme qui le fait vivre ne peut trouver la quiétude que si elle réalise pleinement son humanité en rapprochant les êtres les uns des autres. S'il a été le poète de l'inquiétude et du désarroi c'est parce que son âme ne peut trouver sa sérénité que dans la sérénité des autres et rencontrer le bonheur que dans le bonheur de son peuple, en lutte pour la vie, et dans le bonheur des autres peuples qui, trop souvent, s'affrontent autour d'enjeux qui n'en valent guère la peine.

Expérience au service de l'homme qui est en lui et de l'homme qui est en l'autre, cette poésie plonge ses racines dans le patrimoine de l'humanité à la recherche du talisman qui apporte paix, sécurité et quiétude à toutes les âmes. C'est un itinéraire amoureux qui a une consonance platonique ou soufie, qui renvoie à toute forme d'élan propre à nouer la passion à la passion et à élever l'âme vers les hauteurs où elle étreint l'autre âme et accède à ces lieux invisibles et mystérieux où se cache la dana suprême, la perle des perles, l'âme que seuls désaltèrent l'amour, l'élan vers l'autre, l'espoir, la paix, la justice.

Voilà pourquoi ce recueil, *Affinités*, s'adresse à l'autre, Arabe et non Arabe – surtout non Arabe – pour l'appeler à l'amitié, à l'amour, à la fraternité, au partage.

N'est-il pas vrai que l'homme, par delà les divergences politiques, la diversité des croyances, la multiplicité des législations, est, pour commencer et pour finir, le frère de l'homme ? Le monde s'efface, seule demeure la loi d'amour, transcendante, appelant à concrétiser la fraternité entre les hommes.

**Dr. Nour El Houda Badis**
Université de Tunis. Faculté des Sciences Humaines et Sociales
Traduit par Bachir Guerbouj

le premier avec une étonnante fluidité. Sur un seul cœur contient en effet des poèmes en dialectal d'une singulière maturité qui témoigne de réelles avancées dans la connaissance de soi et l'approfondissement de la quête de la dana. Toutes les formes poétiques, la plus classique comme la plus proche du mawwal, la plus respectueuse de l'arabe littéral comme la plus imprégnée des rythmes du dialectal s'équivalent désormais ; seuls importent la richesse, la vastitude et la gravité de l'expérience poétique. La dana à laquelle il aspire pourra alors se trouver aussi bien hors de l'écriture que dans la conception même de l'acte d'écriture, le poète ne s'étant toujours pas arrêté à une forme ou à une « manière » d'écrire définitives qui puissent satisfaire à ses aspirations car les désirs et les aspirations qui sont en lui dépassent tous les possibles. Il dit, dans le poème en dialectal, intitulé « Heureux présages » :

*Mes désirs n'ont pas éclos*
*Mes désirs n'ont pas paru*
(…)
*La dana de ma nostalgie est dans un écrin*
*Qu'en nulle mer d'amour plongeur ne rencontra*
*Et mes oiseaux dans des arbres de nuées*
*Que nul trappeur ou chasseur jamais n'effraya*
*Ineffables sont mes plantations*
*Innombrables mes fleuves*
*Vastes comme l'immensité mes rêves*
*Tandis que mon cœur s'en va*
*D'amour saignant*
(in *Sur un seul cœur*)

Le poète se voit porteur d'un message d'amour, même s'il vit en un temps qui ne croit plus aux messagers, un temps qui ne serait pas le sien car il n'y trouve quasiment pas d'espace pour la passion, pour toute cette ardeur de la foi qui sourd du pus profond de son être. Si le corps est ignorance et si l'âme seule connaît son essence, c'est cette dernière qu'il va lancer par toute mer dans cette recherche par quoi il espère calmer l'enfer du corps :

*Sans cesse je cherche et ne trouve nulle trace visible*
*Chaque fois que s'ouvre une porte vers un chemin*
*S'effondrent des ponts et se referment des passages*
(in *La perle*)

Mais le poète est un plongeur qui jamais ne désespère, quand bien même il serait tant et tant de fois rentré les mains vides. Peu importe les jours de défaite, un seul instant de triomphe rachète toute la durée qui a précédé, et même si cet instant est d'une rareté extrême il ne saurait le manquer car c'est de son être le plus intime qu'il émane. Peut-être a-t-il connu, ici et là, l'échec et son espérance en les autres a-t-elle été déçue mais il a gagné sur le terrain de la connaissance de soi, s'égarant maintes fois dans les replis de son être, l'expérience étant en elle-même un acquis autant qu'un espace magnifique, ouvert au poème, à la révélation de la pureté de l'âme et à la primauté de l'amour, en tant qu'il est le centre de nos soucis, le creuset où se dissolvent nos antagonismes et s'instaurent les affinités qui concilient les contraires pour que règnent la paix et la fraternité.

L'instant de la nostalgie prolonge celui de la passion et s'y anéantit, si bien que l'amante n'est plus seulement ce langage qui donne à la poésie ses phonèmes et son lexique, elle est l'univers poétique lui-même qui élève le discours du monde de la présence jusqu'à un espace paradisiaque où la passion vole de vallée en vallée pour fusionner avec l'instant de l'accomplissement qui est précisément l'instant de l'anéantissement pour l'éternité en l'être aimé :

*Ô toi magie du rêve idiome pour le poème*
*Ensorcelée sur la langue de l'amant éperdu…*
*De vallon en vallon tu vas en ta marche ailée*
*Et le rêve a presque achevé la rotation des astres*
*Et l'éveil des sens*
*Je t'aime je brûle j'aspire à toi*
*Et la passion de toi me vient par transgression*
*Par innombrable jeu des possibles*
(in *Les Arbres ne se ressemblent point*)

L'âme s'anéantit, et alors se réveille la chair ; elle resurgit en une existence nouvelle, ailée, ouverte sur le possible, l'illimité, l'absolu. C'est la liberté sous toutes ses formes, dans toutes ses manifestations et virtualités. L'amour est, dès lors, événement cosmique et l'amante présence, aux dimensions de la vie, de l'être même. Il n'est d'épreuve, de douleur ou de péril que l'amant n'affronte pour elle. Le cœur de l'homme est la porte qui ouvre sur l'absolu et l'illimité, et l'être aimé est une entité en perpétuel renouvellement au royaume sempiternel de l'encens, des parfums, des arômes, des essences florales. La posséder c'est étreindre la liberté en sa plus sublime signification qui est abolition des frontières et entière possession de l'espace et de l'univers :

*C'est comme si en ce jour je te voyais… ou là-bas voyais*
*Le mirage d'une lampe à l'huile de Dieu*
*Allumée dans la ténèbre*
*Transperce donc la pénombre… continue*
*Brûle-toi ô libellule des parfums*
*A une lumière éternelle*
(in *La houri du poème*)

À ce désir de possession s'apparentent les images de la plongée et de la pêche à la dana, la seule perle qui soit digne de son amour et qui est peut-être l'amante ou, peut-être la liberté ou encore le voyage à la recherche de soi, le long travail d'introspection entrepris à la lumière du cœur, flambeau qui guide le poète en un périple où il découvre de nouveaux horizons, à l'aune de l'expérience qu'il fait de l'univers. La dana vaut moins en tant que conquête qu'en tant que rêve et ambition, en tant que possible à réaliser dans l'espace du rêve. Qu'elle soit image de l'amante ou image de la liberté, elle est moins l'astre qu'il rêverait d'atteindre ou d'étreindre que celui-là dont il contemplerait la beauté et s'enchanterait de la magie de sa lumière.

Or, comme si le poète savait au fond de lui-même la vastitude et l'extrême rareté de ce qu'il recherche, la langue du poème, qui est ici celle de la supplication, va multiplier ses registres et tisser des affinités entre l'arabe littéral et l'arabe dialectal, le second idiome traversant et transgressant

la pleine réappropriation de son moi qu'il tend la main à l'autre, qu'il lui apporte son amour et instaure avec lui ces affinités par quoi il réaffirme, sous la forme d'un livre, sa philosophie de la vie et la vastitude de l'espace poétique à l'intérieur duquel il se meut. Après la perdition et la désespérance face à un monde où il se sent étranger, incapable de trouver la voie de la libération et du salut, le voilà qui s'écrie :

*Ô cœur …*
(…)
*Vanité ce que tu fais*
*Si pas une fois tu n'as vibré*
*Ni vécu l'amour en son ivresse*
(…)
*Étrange tu es ô cœur*
(…)
*Le soupçon de perfidie ou d'échec*
*Remue-t-il encore en tes battements*
*Au plus profond de tes élans*
*Oui par la feinte des lunes vivent leur vie pour l'autre…*
*Oui le doute dévêt ta moitié vermoulue*
*Véridique en son éclat généreuse*
(in *La Plainte des mâts*)

Ce désarroi, cette douleur, ces doutes vont, peu à peu, se dissiper avec l'évolution et le mûrissement de l'expérience, en fait avec la proximité toujours plus grande du poète avec son moi, avec la perception de la dana qui est en lui et qui sera le flambeau à la lumière duquel il avancera sur le chemin du salut. Seul l'amour est capable de purifier les âmes et de les élever par degrés vers cette sphère du beau et de l'humain qui permet, par-delà les frontières et les entraves, d'enlacer l'autre, de l'acquérir à sa cause et de s'unir à lui – de former avec lui un seul cœur. Cheminement ardu que celui du poète avançant au milieu des douleurs et des périls pour arriver à un tel niveau de prise de conscience. L'embrasement et la transgression prennent dans de nombreux poèmes le sens d'une nécessité étroitement liée à l'aventure de la passion où le poète affirme, au long de tout un périple, cette volonté d'autopurification qui est en lui et qui implique le passage par l'épreuve du feu qui vous brûle et vous purifie en vous brûlant. Il faut ensuite que s'achève le processus de purification pour s'adonner absolument à l'amour. Dans le poème intitulé « Transgression », la troisième personne du féminin occupe la première place, mais la femme aimée est plurielle en sa singularité, elle est tout autant l'amante, la mère, la patrie, la nature ; elle est la source première qui est au commencement et au terme du mouvement poétique ; elle est la pulsion de vie en sa dynamique et son immobilité, en sa beauté et sa laideur, en son repos et en son élan, en tout ce qui en fait une vie digne d'être vécue et explorée, dans cet infini du désir, des jouissances, des merveilles qu'elle offre à l'homme. Mais le plus important n'est-il pas que le poète découvre son être profond dans son amour, qu'il ait la révélation du sens de sa vie en étant pleinement éveillé ? Toute transgression au service d'une cause est création, renouvellement et résurrection, que cette cause soit la patrie, l'amante ou tout autre projet visant à l'élévation de l'homme et de ses sentiments.

*Rayon de génie dans le virtuel des semences*
*Frémissement du chevreau traqué*
*Tristesse du cœur anéanti qui s'est tu*

« Arbre dans un pays », le poète qui a « ses racines dans un autre », se compare au « saphir », à la « perle », c'est-à-dire à des pierres rares, si difficiles à découvrir que lorsque la main s'en saisit l'être a l'impression qu'elles vont s'évanouir à la vitesse de « l'éclair » pour relancer la quête. C'est pourquoi il est constamment habité par la tristesse de celui qui voit et, en même temps, ne voit pas la noblesse et la profondeur qui sont en lui et auxquelles seuls ces êtres rares, doués d'une seconde vue peuvent accéder. Cette tristesse et cette inquiétude l'auront donc perpétuellement accompagné dans cette quête d'un moi qu'il a cherché dans sa patrie, parmi les enfants de son village, dans la totalité du monde environnant, en se heurtant, à chaque fois, aux mêmes échecs et aux mêmes déceptions. Il a cherché l'amour et s'est jeté à corps perdu dans les séductions et les ivresses de la chair, et, à chaque fois, il s'est retrouvé avec de nouvelles désillusions, ne sachant où trouver ce qu'il recherche, où découvrir la vraie vie, où réaliser ses vœux d'éternité, de fusion spirituelle avec l'absolu. Toujours la dana, la perle rarissime se dérobe à lui. Il a, néanmoins conscience de vivre un état à nul autre pareil d'effroyable gestation qui le prépare à une nouvelle naissance à la connaissance du monde et au décryptage de ses secrets par des moyens poétiques autres qui lui éclairent le chemin vers le monde qui l'entoure et le monde qui est en lui. Telle est, en somme, la torture du poète qui oscille encore et toujours entre vérité et illusion, entre amour authentique et leurre de la chair :
*Et puis je vis le tourment d'une gestation*
*Tout entière réponse à une question qui n'est qu'écume*
*Et chaque fois qu'en moi déborde la nostalgie*
*Dans les lointains je me disperse à tous vents*
*Hagard je cours… et cours*
*Oublieux des dates de ma vie*
*Comme si je n'étais dans la cohue de cet univers*
*Personne*
(in *Personne*)

Quel est donc l'objet de cette quête ? Par quels moyens le poète cherche-t-il à atteindre son but ? Son expérience avec ses multiples développements lui permettra-t-elle d'arriver à bon port ?

## *Le périple intérieur à la recherche de la dana*

Dans ce cheminement qui est quête inlassable, le cœur joue le rôle d'éclaireur qui ouvre le chemin au poète, à chaque fois que le désespoir, les déceptions que lui infligent les hommes semblent lui boucher tout horizon. Le dernier recueil de Ali Abdallah Khalifa est à cet égard profondément significatif de l'étape à laquelle le poète est parvenu, dans sa recherche d'un havre où trouver la quiétude. Sur un seul cœur : tel est le titre par lequel le poète a admirablement symbolisé l'espoir qui est en lui d'étreindre l'amour éternel et de dépasser les rancœurs et les douleurs pour se jeter dans la passion où se trouvent la délivrance et le chemin vers la connaissance de l'autre. C'est dans

du verbe authentique qui s'est dissipé dans les vains bavardages. Et c'est ainsi que le cercle se referme sur lui-même car ce mouvement de retour à soi va le ramener à celle qui va occuper toute la place laissée vacante dans son cœur :

*Souveraine du cœur fatigué*
*Je suis fatigué*
*Brisé en ce monde*
*Vaincu isolé*
*Donne-moi une goutte de ta source qui me sauve*
*Tout un âge que je cherche*
*La source pure où boire*
*Pourquoi ta source est si lointaine*
*Pourquoi un si long chemin pour l'atteindre*
(…)
*Je te sens lumières campements parfums,*
*Je te sens chose qui me brûle*
*Et je te sens chose qui éteint ma flamme*
*Et apporte sa caresse en secours*
*À ce cœur en déshérence*
(in *En adieu à la dame verdoyante*)

Il a toujours eu la certitude que le cœur est capable de voir plus loin que l'œil. C'est le cœur du poète qui le conduit à la découverte du monde qui l'entoure et, partant, du monde qui est en lui. Désormais, la lumière du jour et l'éclat de la nature lui sont indifférents car il ne peut plus se suffire d'une vision qu'il partage avec le commun des hommes, il lui faut une perspective sur le monde qui lui soit propre, celle-là qui transparaît au seul poète qui a exploré la vie en ses profondeurs, qui en a connu les périls et perçu les beautés autant que les horreurs. C'est cette lumière qui émane de l'être qui lui ouvre la voie vers cette fin dont il a tracé les contours avec l'encre qui sourd de son être profond. Il aspire à cet ordre supérieur auquel ont accédé les prophètes, les soufis, les chantres du pur amour, où la passion est anéantissement, immanence, incarnation en l'être aimé et vision du beau et de l'absolu que nul autre ne saurait voir. Peu importe, dès lors, ce que le jour exhibe et ce que l'œil nu peut déceler. La nuit est devenue sa compagne et le cœur son guide :

*Orageuse ma nuit depuis mon cœur je me vois*
*Dans le flux du sommeil*
*Arbre dans un pays*
*Avec des racines dans un autre*
*Saphir en sa cache*
*Perle en l'huître secrète*
*Vague peureuse gonflant les nuées*
*Où se désaltèrent les reliefs de l'éternité*
*Je me vois allumeur d'éclairs force de dégel*

*Des pluies et des brasiers*
*Je suis alors comme un volcan de passion*
*Endormi mille ans durant*
*À l'instant où il explose*
*En mon cœur je trouve refuge et je deviens*
*Pareil à un miroir dans l'enfer de la pureté*
*Je défais les chaînes qui m'accablent*
*Je me purifie… m'élève… m'envole*
(…)
*Me rapproche de la masse de lumière*
*Près de l'orbite*
*Me ramasse… peu à peu*
*Alors se déversent des réserves de l'être des choses douces*
*C'est l'âme mais dispersée en multiples éclats*
(in *Transgression*)

Le poème est, ici, chant soufi par quoi l'âme s'élève jusqu'à la pointe extrême de sa lumière, de son rayonnement, de sa pureté, celle-là même où le poète entrevoit sa délivrance, la fin de cette prison de glace par quoi ses ennemis tentent d'étouffer l'élan qui est en lui vers le beau, la lumière, l'amour. Poème, rêve, cœur et âme constituent autant de variations autour d'un seul thème fédérateur : la recherche d'un chemin vers la délivrance qu'il ne désespère pas de trouver et qui prend forme dans les images par lesquelles ses poésies traduisent la recherche de soi, inlassablement poursuivie, tant dans la passion que dans la création poétique. Le cœur fut et demeure le moyen par lequel le poète surmonte traîtrises et déceptions dans un monde où, à chaque fois qu'il tend la main ou ouvre son âme, il se heurte à un mur. Et c'est ce qui explique les contradictions qui émaillent ses poèmes, et en particulier ce mouvement de repli sur soi et de recherche de la solitude dans le geste qui le porte vers l'autre, vers le réel de la vie :
*Je fermerai derrière moi porte après porte*
*Condamnerai les fenêtres… baisserai les rideaux*
*Mettrai les verrous*
*Éteindrai les lumières sauf de rares lumignons*
*Une seule bougie garderai*
*Et trouverai abri dans un silence radieux*
*Qui apaiserait mon âme*
*Et pardonnerait mon babillage*
(in *Conjectures*)

Seule alternative face à une réalité où ses appels se perdent parmi des hommes qui ne veulent prêter l'oreille à la voix du poète, le silence est aussi l'expression de celui qui a choisi de contempler et d'évaluer son expérience poétique, à la recherche des vastes espaces auxquels il aspire de tout son être, si bien que sa retraite solitaire n'est nullement l'expression d'un désenchantement mais un temps de convalescence qui permet au poète de recouvrer ses forces et de retrouver la flamme

Dans l'impossibilité de trouver cette union entre le poète et le poème qu'il rêverait oiseau de légende capable de le faire voler au-dessus de toutes les peines et les épreuves que lui impose la vie en société et qu'il se sent, bien souvent, incapable de surmonter, il voit, néanmoins, que c'est la poésie qui transmue son impuissance en force :

*Pourquoi ai-je la sensation*
*Lorsque je suis en voyage*
*De voler vers toi et lorsque je rentre*
*Que c'est à toi que je retourne*
*Que si me brûle la nostalgie de l'infini*
*C'est que vient de s'allumer*
*Ma nostalgie de toi*
(…)
*Que mon besoin de toi*
*A ouvert de vastes espaces à l'oiseau*
*Aux ailes impatientes*
*Que nul sommeil ne visite*
*En sa prison*
(in *Infini*)

L'amante n'a ni forme ni visage : tout ce que le poète perçoit c'est le puissant besoin qu'il a d'elle et, d'un autre côté, cette soif inextinguible qui fait que c'est à peine s'il l'a retrouvée et étanché sa soif d'elle que le reprend la nostalgie, cette autre soif qui le relance une fois de plus vers cette quête où se dissolvent les douleurs et les incertitudes qui étaient en lui avant que le poème ne les ramène à la surface. Or, ce mouvement, où à la détresse de l'homme viennent s'ajouter les inquiétudes du citoyen impliqué dans les problèmes, les aspirations contrariées de la mère patrie, mais toujours porté par le rêve d'un lendemain meilleur, d'une vie plus vaste, est devenu conscience de l'importance de la poésie, par-delà le message dont elle est porteuse. La poésie, la recherche d'une expression autre, tel est désormais l'horizon de son nouveau combat.

Si la femme et la passion ont souvent été, au départ, étroitement liées à la présence de la nature, si l'amante a pu être perçue comme le double de ces paysages dont le palmier est le symbole, si les souffrances, les souillures même qu'elle endure ont pu être assimilées à toutes les agressions infligées par l'urbanisme en marche à la magnificence des palmeraies, l'expérience de la douleur n'a fait que renforcer le poète dans la quête d'une expression poétique toujours plus audacieuse. Le poème est désormais le refuge, l'aire de repos et de quiétude où l'âme oublie l'injustice et la perfidie des hommes, où se dissipent les brumes et les ténèbres qui l'entourent :

*Si m'assiègent*
*Les tourments du poème à naître*
*Et qu'il m'apparaît que mon ciel est brumes nouvelles*
*Qu'en moi sur les hauteurs extrêmes fulgurent les éclairs*
*Et affluent sur les sommets des reliefs de tonnerres*

*À toi j'ai offert ma vie*
*Offert ma vie pour ce qui ne se dit,*
*Ce qui point ne se dit*
(Ce qui point ne se dit)

Le poète ne serait pas parvenu à ce niveau d'évolution et de maturité, sans la poésie qui était son porte-parole dans le combat qu'il mène, mais aussi la confidente de son inquiétude et de sa sérénité, de ses peines et de ses moments de bonheur, de ses échecs et de ses réussites. Amour du poème et amour de l'être aimé étaient, au fond, les deux faces d'une même médaille :

*Par Dieu toi qui es mon destin et mon horizon*
*La poésie est tout mon échec et toute ma victoire*
*Oui la poésie – ah si tu savais*
*Layla – est ma démence*
*Et la mort que je me donne*
*L'oiseau de feu*
*Qui chante dans mes veines*
(…)
*La poésie si tu savais Layla,*
*Comme par elle amoureusement*
*J'erre par les ruelles des houris*
*Où je parsème des éclats muets*
*De mon cœur…*
*Et longuement suspends la voix de l'âme*
*Pour prévenir la colère des orages*
*Qui en moi menacent d'éclater*

Le poète est conscient de cette puissante colère, de cette immense tristesse, de ces nombreux soucis qui l'agitent et qu'il ne peut dépasser que par le seul moyen de la poésie :

*Je dis le poème et j'ai soif…*
*Je pourchasse la forme qui se profile*
*Au seuil des déserts*
*Douleur du poème qui me nargue…*
*Disperse mon attente*
*Quand le poème m'assaille*
*Je me sens devenir le fleuve*
*Qui ne connaît le repos*
*Adhère alors au cœur émietté*
*Lève-toi*
*Et consens à la belle union*
*Le moment de symbiose est arrivé*
(in L'*oiseau de feu*)

### *Le regard qui convoite et l'être indomptable*

Cet amour que le poète recherche, c'est d'abord ce sentiment qui suscite l'indomptable coursier et l'oiseau de feu qui sont en lui, qui récusent toute immobilité, toute prison, toute frontière et ne connaissent d'autre horizon à leur élan vers la liberté que l'incomparable amante, que ce cœur et cette beauté à nuls autres pareils. C'est pourquoi c'est toute son âme, c'est tout ce qu'il a de plus précieux qu'il présente à l'amante comme une offrande à son désir de bonheur, à chaque fois qu'il s'imagine proche d'elle.

*Mon cœur a soupiré et dit :*
*Amante de ce cœur esseulé, ordonne,*
*Car pour un clin de tes yeux*
*L'impossible même me ravit,*
*Ordonne, oui, je sens que la vie*
*Vient tout entière à moi*
(…)
*Ordonne. Alors elle dit :*
*Je veux une gazelle*
*Des déserts du sud*
*Et des poissons multicolores*
*Des mers perlières et des plages tristes*
*Et des essaims d'oiseaux qui chantent*
*Un air d'amour qui frappe*
*À la porte de la cité*

Rien de plus difficile que de répondre aux souhaits, ici formulés par l'amante, car de tels souhaits se veulent dépassement des contraintes et vœu d'une existence qui planerait haut dans les cieux, survolerait les cimes ou plongerait profond dans les océans, toujours en partance vers ces lieux extrêmes où seuls parviennent ceux qui luttent âprement pour les atteindre, ceux-là qui portent haut l'étendard de la liberté et de la passion amoureuse et sont, dès lors, dignes de cette amante. Et qui aux yeux de cette « enchanteresse » sera plus digne que le poète à qui elle répond :
*Je te veux, toi la voile*
*Qui mènera mon cœur comme un vaisseau*
*Et il me faut le verre de l'ivresse,*
*Une étreinte et un poème*
C'est cet élan passionné de l'âme vers la vraie vie qui est ainsi résumé, élan où s'exprime sans détour sa conception d'une existence dévolue à l'amour et à la poésie. Il n'y songeait guère au départ, attendant la survenue d'une amante répondant à certaines conditions, et c'est une tout autre femme qui lui dira ce qu'il n'a jamais dit auparavant et qui mènera le combat pour se libérer et le libérer dans le même mouvement. On comprend alors qu'elle ait dit « ce qui point ne se dit » a suscité chez le poète, en manière de suggestion, cette admirable symbolique si riche de sens et de résonance intérieure et poétique :
Mon cœur a soupiré et dit :

perle rare qu'il recherche et qui lui donne tant de tourments, alors qu'il ne pouvait la trouver hors de lui-même, ainsi qu'il le croyait aux premières étapes de son itinéraire de poète, alors qu'il cherchait les vraies perles à l'extérieur, hors de son moi, dans les profondeurs de la mer.

À présent, c'est en lui-même qu'il recherche la dana, la perle de l'âme qui se cache au plus profond de soi. Aussi a-t-il changé d'outil et s'est-il enfoncé dans les replis de son moi, de nouveau en quête de cette perle rare, espérant enfin la toucher et, par là même, accéder à ce moi qui, toujours, aspire de toutes ses forces à la liberté, à une existence éternelle, à un élan de la vie, à un absolu qu'il voudrait tant étreindre en un seul mouvement. Il savait à cet égard que, pour y parvenir, il n'avait d'autre choix que de passer par toutes les étapes qui ont précédé et que l'on n'aurait pu séparer de l'itinéraire du poète dans sa totalité sans couper l'itinéraire lui-même de ses racines et lui imposer une violence qui en aurait terni l'éclat. Un tel parcours constitue, en effet, un tout en même temps qu'une expérience créatrice incomparable.
C'est pour cette raison que l'œuvre de Ali Abdallah Khalifa doit être appréhendée comme le fruit d'une démarche cohérente qui n'a cessé de se développer d'elle-même, à travers son propre effort pour se libérer de ce qui l'enchaînait. L'insatisfaction était à cet égard sa marque dominante, le poète ne pouvant s'arrêter à ce qui lui semblait être sa dana pas plus qu'il ne pouvait se suffire de la passion d'amour. Et l'on comprend alors qu'il fût devenu ce plongeur qui explore les profondeurs de l'océan et les profondeurs du moi, à la recherche de ce qui apaiserait cette soif d'amour qui est en lui – le désir soufi d'amour éternel, dans son acception la plus haute. Expérience unique en son genre, s'il en fut, dont l'amour ou la passion forment l'épine dorsale ou, si l'on préfère, l'élément axial. Amour des plus démunis, à travers le monde, et de façon particulière dans son pays, le Bahreïn ; amour des enfants qui, dès leur plus jeune âge, travaillent et souffrent, dans leur quête du pain quotidien ; amour des mères qui attendent et pleurent en silence, mais résistent, toujours debout comme le palmier face à la colère et à la perfidie des hommes et des éléments ; amour de la femme qui fait battre le cœur et dessine un chemin d'espoir dans un monde de brumes et de ténèbres ; amour de la poésie, à la fois refuge, remède et confidente à laquelle le poète confie sa peine, qu'il rallie dans les moments de solitude, de douleur et d'accablement et célèbre dans les instants de joie, de bien-être et d'épanouissement ; enfin, amour de la vie et du moi où il plonge pour trouver la réponse aux questions et aux énigmes qui le taraudent et auxquelles la réalité extérieure ne saurait apporter réponse ou solution.
Le voyage au plus profond de l'intériorité est, dès lors, périple au sein de cette âme inquiète qui jamais ne connaît le repos, l'apaisement ou le bonheur. Car tel est le destin du poète authentique que son cœur ne rencontre jamais la joie sereine des réponses définitives :

*Mon cœur a soupiré et dit*
*À l'enchanteresse venue des pays du nord*
*Dont les flancs vibrent des chants de l'amour*
*À celle-là qui attise dans l'âme*
*Des vœux très chers…*
*Comme hors d'atteinte*
*Et marche avec langueur, superbe jument*
*Et mirage interdit, né de ma fantaisie…*

guère d'esthétique, si bien que leurs vers risquaient de perdre toute expressivité avec l'extinction de la cause défendue :

*La loi de la mer exige la force*
*mais mon corps n'est plus que faiblesse*
(…)
*Eh ! Nos histoires sont interminables, Ô mer !*
*La nuit en a assez et le jour les crache*
*La plongée m'a harassé et j'en suis encore prisonnier*
*Les voilà me délaissant*
*comme les miettes d'insignifiants déchets*
(in *Le gémissement des mâts*)

Les épreuves, l'expérience douloureuse du marin lui ont permis de connaître la mer dans toute sa vérité. Il sait combien est rude le combat qui le jette dans les bras de la mer et le soude à elle, et la longue histoire de ce combat lui a révélé cette vérité que la mer est un maître cruel qui ne reconnaît que celui qui a su se montrer d'une force, d'une violence, d'une persévérance comparables aux siennes. D'avance, il sait vers quels périls il s'embarque, et le temps est témoin des épreuves que l'individu affronte, nuit et jour, mais celui qui doit se battre pour le pain de chaque jour n'a d'autre choix que d'aller résolument vers l'inconnu en supportant la détresse et les longues attentes. Cette Plainte des mâts est, en fin de compte, celle du petit pêcheur, celle des pauvres, des prolétaires qui tentent l'aventure pour gagner leur subsistance et connaissent les plus grandes épreuves, dans l'incertitude du lendemain, car, ils le savent, la terre et le palmier ont soif. Ainsi, la plongée dans les profondeurs fut-elle, au commencement de l'aventure poétique, celle des hommes qui luttent pour la survie, mais cette plongée va passer, dans les derniers recueils, d'un mouvement vers le monde extérieur à une plongée dans l'intériorité, dans les abysses du moi.

## *La poésie comme plongée dans l'intériorité*

Le plus étonnant dans cette expérience c'est sans doute le fait que les registres et expressions idiomatiques adoptées par le poète à ses débuts n'ont pas disparu ni été remplacées par d'autres, alors que l'expérience de l'écriture évoluait et mûrissait. Mais le recours à ces registres est passé d'un emploi, pour ainsi dire simple, immédiat et explicite, lors de ce que l'on pourrait appeler la première période militante, à un emploi nettement plus conscient de l'évolution vers une plus grande maturité exigeant un travail d'écriture plus subtil afin de mieux servir la nouvelle expérience, dans sa dimension tant symbolique qu'artistique. Désormais, l'attachement à la forme ne témoigne plus d'un effort visible et l'écriture a gagné en fluidité et en congruence avec la force des images et des significations imposées par l'évolution même de l'action poétique. Le créateur est devenu, au cours de cette dernière période, moins soucieux d'améliorer ou d'embellir l'expression, là où le sens ne prêtait pas à équivoque – ainsi que nous l'avons remarqué dans ses premiers poèmes –, et son écriture s'est transformée en une vision du monde, en une attitude philosophique plus proche de celle des existentialistes que de la défense et illustration d'une position précise sur telle question sociale, économique, voire affective. La poésie est devenue sa préoccupation centrale, la dana, la

recueils de notre poète ou remettre en question leur valeur, leur originalité ou la gravité de leur propos. N'avons-nous pas vu qu'il suffit de découvrir le fil conducteur et l'architecture secrète d'une telle expérience pour mettre à jour de multiples significations ? Simplement, ce type de lecture exige d'autres méthodes et principes d'analyse.

Nous inclinerions, à cet égard, à considérer celles des premières poésies retenues dans cette anthologie comme un échantillon significatif de la manière et des spécificités de l'approche poétique de Ali Abdallah Khalifa. On ressent, par exemple, toute la saveur de la parole idiomatique lorsque le poète nous raconte la détresse du petit tebbab, au moment de se séparer de ses parents. L'on voit alors la mère en larmes qui l'escorte et le père qui lui fait ses adieux en implorant le Très-Haut ; puis, l'embarquement, le départ, les épreuves qu'il affronte dans sa recherche de la dana, la plus belle perle que jamais plongeur ait ramenée à la surface ni cœur d'huître recelée, une dana qu'il aimera jusqu'à l'adoration comme on aime le possible lointain ou le rêve que caressent nos espérances :

*S'il te vient une huître intouchée*
*En un jour heureux*
*Où en elle tu verrais la chance*
*Venir en une perle où vibre une joie virginale*
*Dis tes louanges à Dieu et bénis*
*Le jour nouveau qui te comble*

Un beau rêve dont le poids fait gémir le corps exténué, dans le temps où « La loi de la mer ne veut que les forts ».

On le voit, la parole poétique, si exacte et subtile qu'elle soit, n'en demeure pas moins une parole militante, traduisant le combat mené par le poète aux côtés ceux qui poursuivent au quotidien la lutte pour la vie :

*Sois longanime… n'aies pas peur, sois d'acier*
*Celui que tu affrontes est un tyran inflexible*
(…)
*Prends toujours la mer, fils du pauvre,*
*Toujours à tous obéissant, aimable tebbab*
*Qui… léger… de lieu en lieu ne se lasse de courir*
(in *La Plainte des cimes*)

Nul doute, ici, que le mot ne soit au service de la lutte plus que de la poésie, au sens de la parole dense et chargée qui ne saurait être décryptée à la première lecture. Les plus grands poètes, comme Mahmoud Darwish et bien d'autres, sont, eux aussi, passés par ce genre d'expérience, et notre auteur va, à son tour, se détacher de ce type d'écriture en traitant de ces questions, et sa perspective artistique va évoluer, peu à peu, au gré de la consolidation de son expérience poétique et de son exploration des chemins étroits de la création.

Car, poète attentif aux problèmes de son peuple, Ali Abdallah Khalifa a constamment été, dans la défense de la cause qui l'a occupé à cette époque, soucieux de développer une parole poétique d'une grande subtilité, d'une force d'imagination que l'on rencontrerait rarement chez les poètes de cette génération qui, tout à leur engagement au service des causes du moment, ne se préoccupaient

femme ? Quel statut lui a-t-il conféré dans sa création artistique ? Et quelles dimensions du féminin la lecture de ses poèmes peut-elle nous révéler ?

## L*a femme : souci de l'homme et maux de la société*

Le poète, qui est profondément conscient du fait que, même si elle n'a pas exploré les mers à la recherche de sa subsistance immédiate, la femme ne s'est pas croisé les doigts et ne doit pas son aura au seul verbe du poète, a su admirablement exprimer sa foi profonde en elle. Il a montré à quel point elle est tiraillée entre diverses tâches et préoccupations. Sa poésie nous conduit de celle qui est obnubilée par sa propre beauté, qui en perd la tête, à celle qui, dans l'attente de l'amant, est transportée par le grand rire de l'enfance vers l'amour et le jeu de la sensualité, à celle qui est au cœur des grandes préoccupations humaines auxquelles la ramène l'absence de l'homme, en général, et plus particulièrement de celui-là qui est parti à l'aventure, affrontant les dangers pour gagner sa vie. C'est à lui en effet qu'elle s'adresse lorsqu'elle dit :

Ô *vous, légendes du Golfe,*
E*n vous je trouve une leçon*
S*ur le salaire de la patience pour le cœur qui brûle*
(M/mohraq)

La femme est dotée d'un degré de conscience que seul le poète peut lui conférer, en une brève allusion qui fait de la femme avant tout un exemple d'humanité, un être préoccupé, endolori, attristé par les problèmes qui tourmentent, d'abord et absolument, les gens du Golfe. Mais l'association entre cœur et mohraq (qui brûle/brûlé) a une valeur de suggestion, au plan artistique, car le poète nous invite, ici, à arpenter deux pistes de lecture aussi importantes l'une que l'autre : mohraq, en tant qu'adjectif à valeur descriptive, c'est le cœur en proie à la détresse et à la souffrance ; Mohraq, comme nom en position d'adverbe, qui désigne la ville du poète en laquelle se trouve résumée l'histoire du Bahreïn en ce qu'elle a de spécifique et celle, plus vaste et générale, du Golfe.

Cette vision globale donne à la femme une double dimension militante, reflétant, d'une part, la représentation que se fait le poète des femmes de sa ville de Mohraq et, d'autre part, les épreuves et les peines que vivent les femmes, en une période cruciale de son histoire.

Relire ce poème en se remettant dans les circonstances qui furent celles de son écriture, et s'interroger sur la forme que le poète lui a donnée nous révèle tout un monde étonnant où le vers prend appui sur les épreuves vécues par une femme simple pour s'élever vers celles qui agitent tout être humain. Je ne puis croire que la femme fût de quelque façon étrangère à ces épreuves, ni que les mots qu'elle prononce lui fussent artificiellement attribués, comme d'aucuns pourraient le supposer. Un tel poème est, à la vérité, de nature à nous ouvrir de multiples chemins de lecture et à nous inviter à tenter les interprétations les plus variées. Et c'est précisément cette liberté qui est offerte au lecteur et cette perplexité à laquelle ce lecteur va se trouver confronté qui font que cette poésie est en soi un appel à l'effort de réflexion et d'analyse. Le poète ne fut pas, soulignons-le, seul à s'engager dans une expérience de ce genre ; toute une génération fut hantée par l'interrogation sur les souffrances, les inquiétudes, les malheurs qui tourmentent leur société, car chacun d'entre eux vivait en partage le malaise général. Nous devons, donc, nous garder de sous-estimer les premiers

grand mouvement des créations immortelles.
Quelles sont donc les caractéristiques de cette expérience poétique ? Qu'est-ce qui lui a conféré cette spécificité qui invite à tenter d'en saisir la poéticité ?

## *Spécificité et universalité de l'expérience poétique*

Le parcours de Ali Abdallah Khalifa est long et riche. L'auteur est en effet considéré comme l'un des pionniers de la modernité – l'un des initiateurs de la poésie moderne –, au Bahreïn. Il a même été surnommé la « guitare de la modernité » en raison de la musicalité et des rythmes de ses poèmes qui constituent un trait d'union entre la poésie ancienne avec ses tafia'ila où rimes et assonances donnent au vers ses scansions mélodieuses et cette modernité qui ne coupe pas le poète des préoccupations de la société, des problèmes du pays, des réalités historiques de son temps et des mutations qui ont marqué le monde arabe, en général, et le Bahreïn, en particulier. Car Ali Abdallah Khalifa s'est fait le chantre et l'ardent défenseur de sa nation : profondément enraciné dans son milieu qu'il connaît en ses moindres détails, proche de ses concitoyens, toutes catégories confondues, solidaire dans l'épreuve, soutenant les plus démunis, animé des mêmes rêves que les siens pour tout ce qui peut leur donner le sourire et faire leur bonheur, il a toujours aimé le Bahreïn avec toutes les étapes qui ont jalonné son histoire ; il a aimé la mer, le palmier, sa ville de Mohraq, comme il a aimé la femme qui peine et qui souffre, figure de la mère et symbole du don, du sacrifice, de l'amour. Il a passionnément aimé et chanté la passion où il a toujours vu le chemin de la délivrance, le chemin qui porte vers l'autre, vers l'adhésion au prochain et, partant, vers l'amour de soi. Il n'a cessé, dans la plupart de ses recueils, de partir à la recherche de l'être aimé, de cette perle qui gît au fond des océans et se dérobe au plus habile des pêcheurs, à celui-là même qui est passé maître dans la recherche des perles les plus belles et les plus rares.
Nombreuses sont, il faut le souligner, les œuvres publiées par Ali Abdallah Khalifa, et riche son expérience qui s'étend sur plus de trente ans et fut inaugurée par la publication de ***La Plainte des mâts***, suivi de nombre d'autres recueils poétiques. Il nous a toutefois paru important d'aborder cette expérience à partir d'un thème qui constitue le noyau premier vers lequel convergent les autres topoï de l'œuvre. Ce thème, c'est le tronc de l'arbre d'où partent et s'enchevêtrent les multiples branches, et c'est aussi le point focal de l'expérience poétique, l'axe autour duquel tournent en développant leurs affinités, les divers motifs de l'œuvre, du plus simple au plus complexe, du plus fondamental au plus contingent : nous parlons de la femme dans la poésie de Ali Abdallah Khalifa. Car la femme constitue, à notre sens, le cœur ardent de sa création poétique, le lieu nodal dont émanent les autres constructions thématiques qui ponctuent le parcours du poète. La femme, c'est la mère, et c'est aussi la femme aimée, la patrie, les hautes valeurs auxquels aspire tout être humain, dans sa recherche de la sérénité, de la quiétude – du moi profond.
Rôle axial de la femme dans la poésie de Ali Abdallah Khalifa
Dès l'abord, le lecteur de cette poésie constate que Ali Abdallah Khalifa est le poète de la femme, que la femme est présente avec force dans ses vers, à travers ses multiples visages, dont le plus simple, le plus évident, est celui de la femme aimée ou de l'amante. De quelle présence féminine nous parle donc le poète ? Avec quels moyens et selon quelle démarche a-t-il défini le rôle de la

ses attentes et ses préférences. Ici, un auditeur averti sera subjugué par l'écoute du poète récitant ses vers ; là, un lecteur exigeant trouvera son bonheur dans l'analyse de l'œuvre et l'approfondissement de ses multiples significations ; un troisième, que ses goûts inclineront également vers d'autres formes, sera interpellé par la conjonction de tous ces arts réunis et présentés sous un jour qui retient le spécialiste autant que l'amateur le moins prévenu. L'entreprise s'adresse en effet à un récepteur innombrable, chacun y trouvant sa nourriture propre – et sans doute est-ce là qu'il faut chercher le vrai secret de ce titre. Car les affinités sont artistiques. En même temps, il s'y rencontre des formes de création et de savoir autour desquelles convergent des hommes de culture venus des contrées les plus diverses et les plus éloignées.

Les *affinités* sont également, nous le verrons dans les analyses qui suivent, dans la poésie elle-même qui est la quintessence des thèmes traités, des différentes sources d'inspiration d'une vaste expérience créatrice ainsi que de la richesse et de la multiplicité des formes abordées. Ces morceaux choisis comportent à cet égard des poèmes en arabe littéral, d'autres en dialectal, d'autres encore qui relèvent du mawwel, toutes formes qui diffèrent en apparence les unes des autres, mais qui sont cousues ensemble par un fil d'or, fin mais solide, qui est l'inspiration poétique de toutes ces écritures, si diverses soient-elles quant au rôle qu'elles jouent en conférant à l'expérience de Ali Abdallah Khalifa la spécificité dont nous essayerons dans cette réflexion de saisir certains aspects et certaines des singularités artistiques et poétiques.

Si la traduction de la poésie constitue une épreuve des plus redoutables, ainsi que l'ont noté les critiques anciens et modernes – Al Jahîz fut, sans doute, dans ce domaine, le premier à avoir souligné, dès le troisième siècle de l'Hégire, les nombreuses altérations qui risquent toujours d'affecter le texte poétique et de détruire l'éclat, la fluidité et la majesté qu'il a dans sa langue d'origine –, il n'en reste pas moins que ce travail est nécessaire à la communication et à la communion du plus grand nombre de lecteurs venus de diverses contrées et parlant divers idiomes. Voilà qui constitue une autre occurrence importante – et, certes, une autre signification – des affinités dans ce travail : le poète aspire à être lu et entendu par un vaste public. Quant aux textes traduits, même s'ils perdent quelque peu de leur magie en passant d'une première version où parle l'âme du poète à une deuxième qui, fondamentalement, ne peut être qu'une nouvelle lecture proposée par le traducteur, ils n'ont d'autre visée que de mettre les thèmes et les connotations du texte poétique entre les mains du lecteur non arabophone afin de lui faire découvrir la civilisation et, de façon générale, le contexte personnel et artistique à l'intérieur desquels l'œuvre a pu être conçue. Mais, pour autant que cet objectif se trouve réalisé, la traduction aura rempli la mission qui est la sienne au regard de cette œuvre et constitué, elle aussi, une autre affinité en créant un lien très fort – non pas lien entre deux morceaux de bois mais entre deux civilisations. Dès lors, formes et sens sont mis à la portée des cœurs et des esprits.

Nous le disions, d'autres arts qui pourraient paraître, à première vue, étrangers à la substance même du travail ont également été intégrés à la texture de ce livre, en un profond et complexe entrelacement dont les composantes seraient fort difficiles à séparer. Des affinités ont ainsi été entretissées, hors de toute norme, où poésie, prose, peintures, essai et traduction forment une fresque magnifique qui a pour socle l'expérience du poète et pour horizon l'espace infini de la lecture qui s'ouvre sur l'absolu de la création, dépassant les limites du local pour se fondre dans l'universel et dans le

# *Plonger en soi à la recherche de la perle rare*

PAR DR. NOUR EL HOUDA BADIS

## L*es* A*ffinités* : *du rêve à l'accomplissement*

Ali Abdallah Khalifa a su avec Al washa'ej (L*es* A*ffinités*) donner à ce recueil un titre qui désigne, en un raccourci saisissant, la substance même du texte autant qu'il souligne les objectifs que le poète s'était assignés – qu'il aspirait à réaliser, serait-ce en partie. Rien ici qui soit arbitraire : le mot *affinités* nous renvoie à cet enchevêtrement des liens qui ne soit pas sans rappeler les branches emmêlées de l'arbre ou la complexe interaction qui fonde et raffermit les relations entre les hommes. C'est lorsqu'il s'agit tout à la fois de proximité et de profonde interpénétration que l'on parle d'*affinités*, et le mot suggère alors l'espoir de voir disparaître la distance qui éloigne les êtres, se reconstituer les liens rompus de l'amitié et renaître toute l'ardeur des affections qui se sont évanouies.

Nul doute, dès lors, que ce titre ne soit révélateur de l'âme d'un écrivain qui aspire à transformer en réalité parmi les hommes ce qui est resté un rêve auquel seul le poète pouvait donner vie.
Mais c'est aussi un titre qui résume les étapes par lesquelles le livre est passé avant de devenir cette œuvre où les multiples affluents ont convergé pour former un seul fleuve. On y voit en effet se rencontrer et se conjuguer de multiples apports où le Machrek tend la main au Maghreb et l'Orient à l'Occident, où les affres de la création croisent celles de la traduction ou de la transposition, où l'invention côtoie le travail de lecture, de commentaire et d'interprétation qui tente d'aller au cœur du sens. L'objectif dernier de ces affinités était, en réalité, de concilier les goûts et de jeter des ponts entre une civilisation et une autre, de manière à ce que d'étranger à étranger chacun puisse accéder aux grandes beautés que lui propose l'autre et, peut-être alors, comprendre combien cet autre est proche de lui.
En prenant pour point de départ la définition lexicale du mot affinités et en l'élargissant ensuite, un tant soit peu, de nombreuses significations médiates et immédiates se présentent à nous qui pourraient constituer autant d'entrées aux divers jardins que nous propose ce livre pour en étudier de près les belles efflorescences. Nombreux se révèlent alors les points de convergence, à l'intérieur de ce travail, car les affinités ne s'arrêtent pas à la simple confrontation entre le texte original en langue arabe et les textes traduits, même si une telle rencontre est importante en soi, mais s'étendent à un ensemble de dialogues insolites entre orient et occident, entre un poète bahreïni et une traductrice marocaine, entre un chercheur français et une lectrice tunisienne. Les Affinités ont en outre mobilisé divers arts du Machrek et du Maghreb, mettant en symbiose un orfèvre de la langue, le poète que nous présentons et questionnons dans le présent travail, et une création parallèle qui puise sa force de suggestion dans le texte poétique, lequel, à son tour, inspire à la peintre des formes singulières, démultipliant le texte en autant d'appels aux récepteurs, sollicités chacun selon

laisser aux travaux de Chantal tout l'espace initialement prévu. Nous convînmes donc de limiter l'intervention du calligraphe aux titres des poèmes. Nous tînmes une dernière réunion avec l'ensemble de l'équipe, à Grenoble, pour une dernière revue de l'ouvrage.
J'eus également une brève rencontre à Tunis avec le Dr Bachir Guerbouj, professeur de traduction ; je garde à l'esprit une belle image de son respect scrupuleux des délais ainsi que de la compétence qui lui est reconnue dans son domaine de spécialité. Je dois cette rencontre à l'amitié du Professeur Mohamed Néjib Nouiri qui assura, à mes côtés, de pays en pays, au cours de nos multiples voyages, le suivi méticuleux de ce travail dont il assura le suivi académique avec une rare intuition des exigences de la création littéraire.
Chantal confia à la maquettiste Stéfani Debout (Atelier Graphique) le soin de concevoir la forme et la mise en page finale du livre et d'en suivre l'impression. Celle-ci vint passer plusieurs jours à Bahreïn et put se rendre compte sur place que les équipements, en matière d'imprimerie, répondent aux normes internationales. Nous ne sommes pas intervenus dans le travail de la maquettiste, la laissant libre de ses choix, pour ce qui concerne la conception, convaincus que Stéfani saurait faire honneur au goût artistique qui fait la réputation de la France.
Je me félicite réellement de toutes les circonstances qui m'ont permis de rencontrer cette pléiade de créateurs, de conserver leur amitié et d'établir des rapports de partenariat artistique avec eux. Grande est ma considération pour les efforts remarquables qu'ils ont déployés, chacun dans sa spécialité, pour mettre au point le présent ouvrage. Je tiens de tout cœur à saluer, en ce qui concerne la France, l'artiste Chantal Legendre, le critique David Dumortier, la maquettiste Stéfani Debout et le poète Pierre Vieuguet, en ce qui concerne le Maroc, la poétesse Touria Ikbal et le calligraphe Mustapha Amnaine, et, en ce qui concerne la Tunisie, les Professeurs Nour el Houda Badis, Bachir Guerbouj et Mohamed Néjib Nouiri. Mes remerciements vont à l'Institution « Le Printemps des Poètes » pour son accueil et son soutien artistique et, il va sans dire, au grand poète Jean-Pierre Siméon pour le texte qu'il a bien voulu consacrer à la page de couverture.
Nous étions des individus dispersés, étrangers les uns aux autres, et les liens se sont tissés qui nous ont réunis, en une parfaite symbiose.
J'espère, cher lecteur, que tu trouveras dans ces pages autant de plaisir que de profit intellectuel.

*Ali Abdallah Khalifa*
Traduit par Bachir Guerbouj

dont souffre bien souvent la critique arabe contemporaine. Nous échangeâmes les visites et le Dr Badis m'interrogea longuement sur les étapes et les moments-clés de mon expérience poétique qui s'étend sur plus de quatre décennies. J'eus besoin de longs efforts de réflexion pour répondre à certaines de ses questions, mais d'autres me laissèrent complètement désemparé. J'eus alors la surprise de recevoir de sa part une étude analytique approfondie de l'ensemble de mon expérience poétique qui m'amena à relire un à un mes poèmes afin de ressaisir les directions, les symboles, les mots et les thèmes qu'elle avait regroupés et réorganisés pour m'ouvrir à de nouveaux horizons de mon itinéraire poétique. Et lorsque nous entreprîmes, par la suite, de faire ensemble la synthèse de ce travail afin de lui donner un format en rapport avec le reste de la matière du présent ouvrage, nous eûmes bien du mal à retrancher ou à résumer tel ou tel passage de l'étude : elle formait en effet un tout solidaire qui ne pouvait être défait. Mais nous fûmes, en fin de compte, dans l'obligation de retenir d'un commun accord le texte abrégé publié, ici.

L'idée de publier une anthologie de mes poèmes traduits en français est née à la suite du succès de l'expérience que j'eus avec mon ami l'écrivain marocain El Maati Kabbal, à l'occasion de la publication par l'éditeur Non Lieu de L*une solitaire*, avec une préface du grand poète français Jean-Pierre Siméon, directeur artistique de l'institution française « Le Printemps des Poètes ». Je ne connaissais pas à l'époque Siméon, mais ce qu'il a écrit dans son introduction sur mes poésies traduites dans ce recueil m'a réjoui, en raison de la profondeur de son approche et des grandes affinités que j'y perçus avec cette expérience poétique. Je me sentis proche de l'homme et du poète par plus d'un lien et, dans le même temps, impressionné par sa connaissance étendue de la poésie arabe contemporaine et par sa proximité avec les grands poètes arabes du passé. Notre amitié ne cessa, dès lors, de se renforcer et de s'enraciner. Nous voyageâmes ensemble ; nous nous retrouvâmes dans plus d'un pays, et c'est lui qui encouragea et suivit en toutes ses étapes la publication du présent ouvrage qu'il lia au nom de l'institution « Le Printemps des Poètes ».

J'estimai qu'Affinités devait nécessairement comporter une lecture critique rédigée par un écrivain français. Le poète Jean-Pierre Siméon suggéra le nom de David Dumortier qui est un critique français ayant une excellente connaissance de la langue arabe. Dumortier lut d'abord la version française de mes poèmes puis demanda à connaître l'ensemble de ma production poétique dans le texte d'origine. Il écrivit alors une étude d'une réelle originalité dans laquelle il met l'accent sur cette vision particulière où la création poétique fait corps avec la mer et avec la terre de Bahreïn, où le poème ne cesse d'exprimer une soif universelle sans limites des autres. Peut-être est-ce là une approche qui permet d'appréhender dans toute son étendue et sa multiplicité l'ensemble du parcours poétique. Lorsque je rencontrai David à Paris, il me fit connaître un autre visage de cette ville qui m'était totalement inconnu. Une solide amitié naquit entre nous et je suis aujourd'hui redevable à cet homme de toutes les nouvelles expériences émotionnelles qu'il me permit de vivre avec les différentes personnes que nous rencontrâmes ensemble et que je restituai dans les poésies que j'écrivis et publiai par la suite.

La poétesse Touria joua un rôle important dans ma rencontre avec le calligraphe Mustapha Amnaine, même si les contacts se firent, au départ, pour l'essentiel au moyen du courrier électronique. Nous discutâmes longuement alors des formes de lettres les plus appropriées à Affinités, passant en revue un nombre incalculable d'expériences. Nous pensâmes, au début, que diverses calligraphies pouvaient figurer dans l'ouvrage, puis nous décidâmes d'un commun accord d'y renoncer afin de

verre « fusing », une technique dont j'allais par la suite comprendre l'extrême difficulté. Je fis de nombreuses visites à la ville de Grenoble et rencontrai à plusieurs reprises cette artiste, cela nous permit de mettre en chantier nos premières expériences artistiques communes, lesquelles connurent un réel succès. Et ce fut Chantal Legendre qui conçut la maquette de la couverture de mon recueil de poèmes publié, dans la version française,Paris,2006, sous le titre de L*une solitaire*. Elle réalisa également, à partir de mes poésies, un magnifique tapis mural, intitulé L*'amour est inspiration de tes yeux* . Nous coopérons pour organiser une exposition de l'ensemble de ses œuvres, à Bahreïn, en juin 2008, intitulée « Échos » qui fut la première de son genre dans la région du Golfe. Je découvris, peu à peu, combien Chantal est passionnée de poésie et avec quelle ferveur elle cherche à donner au poème une forme dans l'espace et à en matérialiser les images et les suggestions afin d'en révéler les fins les plus secrètes ! Chantal ne parle pas beaucoup de son travail d'artiste, c'est ce que, du moins, j'ai compris de ce qui m'était traduit de ses paroles car, en dehors des mots échangés par le truchement de notre amie Touria, notre seule langue commune était l'art. L'âme si admirable de Chantal exprimait de magnifiques pensées humaines et artistiques qui bien souvent anticipaient, par le regard, le sourire, le silence, les paroles traduites ; je marquais alors un temps de réflexion, puis je pénétrais le sens profond de ce qu'elle disait, et, rarement, je me trompais.

En décembre 2005, je participai à un colloque sur la poésie moderne, organisé par le Conseil national de la culture et des arts de l'État du Koweït et mon attention fut attirée par une jeune universitaire tunisienne qui avait présenté une communication sur la consécration par la poésie arabe de l'image archétypale de la femme aimée. Je me préparai à lui répondre, au cours de la discussion, en lisant un de mes textes poétiques qui s'inscrit en faux contre sa démonstration, – je disais dans ce texte :

*« la chevelure de mon aimée*
*est de soie enfantine… prospère en ses parfums*
*un artisan maître en imposture le lui prêta*
*et le visage se perdit dans les fards et la cohue*
*la simplicité de nos origines est bien morte*
*au creux de la vague gloutonne » –*

mais je préférai finalement renoncer à intervenir, en raison de tous les commentaires dont la jeune universitaire était submergée et du temps limité imparti à la discussion. Lorsque je rencontrai, la nuit suivante, cette universitaire, le Docteur Nour el Houda Badis, au cours du dîner offert à cette occasion par la romancière Koweïtienne amie Layla Al Othman, et que je lui fis lecture de ce texte, nous échangeâmes quelques paroles rapides sur les échanges culturels et le fait que bien peu de productions du Golfe arabe parvenaient jusqu'en Tunisie. Nous convînmes de faire en sorte que nous puissions, nous deux au moins, nouer un contact littéraire suivi. C'est ainsi que nous commençâmes à échanger par la poste nos écrits et que je pus constater que je n'avais pas seulement affaire à une pensée critique d'une profondeur et d'une richesse rares, au plan de l'analyse littéraire et de la réflexion sur les textes, mais que j'étais en face d'un nouveau projet critique arabe qui allait bien plus loin que les études que nous lisons habituellement, dans ce domaine. J'admirai chez cette universitaire la sincérité des sentiments humains et la pureté des élans de l'âme qui, conjuguées à une grande pénétration critique, élevaient sa pensée fort au-dessus des tiraillements et équivoques

# Ces Liens si forts…

PAR ALI ABDALLAH KHALIFA

*Cher lecteur,*

La poésie… cet art sublime autant qu'ancien auquel j'ai dévolu mon existence a façonné ces merveilleux hasards, ménagés, à travers le monde, par tant de festivals, de colloques, de soirées, de rencontres poétiques qui ont contribué à tisser un véritable réseau de relations culturelles, devenues autant de liens humains étroits qui ont finalement abouti à cet ouvrage collectif que tu tiens entre tes mains.

En mars 2004, je rencontrais, en effet, pour la première fois, Touria Ikbal, poétesse marocaine d'une rare sensibilité. Nous étions à Marrakech, au Royaume du Maroc, où je participais avec un groupe de poètes au Festival mondial de la poésie qu'organise l'Institut culturel français dans les jardins, sur les marchés et les places publiques de cette ville. Touria est une excellente poétesse arabe qui écrit en français, ses œuvres sont publiées par d'importantes maisons d'édition marocaines. Ma rencontre avec la poétesse se renouvelle l'année suivante,à l'occasion du même festival marocain. vite, des liens d'amitié se sont noués entre nous qui nous ont permis de faire la connaissance du poète Pierre Vieuguet, directeur de la Maison de la poésie Rhône-Alpes, à Saint-Martin-d'Hères près de Grenoble. Puis, l'année suivante, au mois de décembre, comme je participais, à Grenoble, aux côtés de Touria au Festival d'automne de la poésie, il fut décidé que je donnerais lecture en langue arabe de mes poèmes, dans le cadre historique de la maison natale du célèbre romancier Stendhal (Marie-Henri Beyle 1783-1842), Touria devant ensuite lire en français ces poèmes qu'elle aura traduits à l'avance. Je pus, à cette occasion, sentir, tandis qu'elle lisait mes vers dans une autre langue, en vibrant à l'unisson de ma poésie, qu'une profonde symbiose s'était formée entre cette poétesse et moi. Ce fut le commencement d'une grande amitié qui allait s'étendre et se développer à travers les diverses activités culturelles et artistiques que Touria devait entreprendre par la suite, au Bahreïn et en Roumanie.

Au cours de la première visite que j'effectuai, en Novembre 2006, dans cette ville de Grenoble qui s'étend aux pieds de la majestueuse chaîne des Alpes, mon ami Pierre Vieuguet qui me faisait découvrir les hauts lieux de la ville,  me conduisit à l'atelier, qui était aussi le lieu de résidence, de l'artiste peintre Chantal Legendre. En franchissant l'entrée de cette demeure, mon attention fut attirée par le petit jardin où étaient disséminées des statues et des figurines en pierre de diverses formes et dimensions. Ma première rencontre avec Chantal eut lieu dans le salon. L'artiste me salua puis entra en conversation avec l'ami qui me l'avait présentée, tandis que je me plongeais dans la contemplation de la collection de tableaux, de peintures sur verre, de sculptures qui occupaient le moindre recoin du salon. L'artiste me fit ensuite découvrir, non sans fierté, de nombreuses créations collectives qu'elle avait réalisées, selon diverses techniques d'impression, en collaboration avec des poètes venus de différents pays. Je fus réellement impressionné par la manière dont elle s'était appropriée les textes poétiques autant que par l'art avec lequel elle a su maîtriser le travail du

# وشائع

> p. 136
Poème : **La lapine immaculée**
> p. 140
Huile sur toile : **L'oubli**

> p. 144
Poème : **Dualité**
> p. 148
Verre : **Grand coquelicot**

> p. 151
Poème : **Épiphanies et contrastes**
> p. 156
Verre : **Reflet de lune**

> p. 160
Poème : **Miroirs des temps restants**
> p. 162
Verre : **L'enfant et l'éclipse**

> p. 164
Poème : **Lune solitaire pour les lys d'eau**
> p. 168
Verre : **Traversée du désert**

> p. 172
Poème : **Prélude à la confidence**
> p. 176
Huile sur bois : **Parole**

> p. 179
Poème : **Marguerite de rosée**
> p. 182
Verre : **Prémisses**

> p. 184
Poème : **Absence**
> p. 186
Verre : **Reflux**

> p. 188
Poème : **En présence de l'adoré**
> p. 190
Verre : **Embrasure**

> p. 192
Poème : **L'adieu à la dame en vert**
> p. 194
Verre : **Jaillissement**

> p. 196
Poème : **L'œillet du temps**
> p. 198
Verre : **Éffeuillaison**

> p. 200
Poème : **Paroxysme**
> p. 202
Verre : **Intensité**

> p. 204
Poème : **Que je te voie**
> p. 206
Verre : **Rendez-vous**

# INDEX
## POÈMES ET ŒUVRES


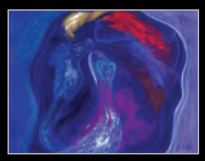

> p. 52
Poème : **Percée**
> p. 54
Pastel : **Rêve bleu**

> p. 56
Poème : **L'oiseau de feu**
> p. 58
Huile sur toile : **Envol**

> p. 60
Poème : **Les fruits du chemin**
> p. 62
Huile sur bois : **Soleils**

> p. 64
Poème : **Le dernier souffle**
> p. 66
Verre : **Transparence du temps**

> p. 68
Poème : **Bonnes nouvelles**
> p. 70
Verre : **Marche astrale**

> p. 72
Poème : **Houri de l'amant…Liberté de l'aimé**
> p. 76
Verre : **Invitation au jardin**

> p. 79
Poème : **Au seuil de la porte**
> p. 84
Verre : **La mère**

> p. 88
Poème : **Personne**
> p. 92
Pastel : **Folle allure**

> p. 95
Poème : **Parle-moi**
> p. 98
Verre : **Confidence**

> p. 100
Poème : **Le gémissement des mâts**
> p. 104
Huile sur bois : **Traversée**

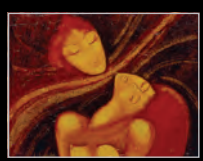

> p. 108
Poème : **L'écho des désirs**
> p. 112
Huile sur bois : **Harmonie**

> p. 116
Poème : **Lotion des ports**
> p. 118
Huile sur bois : **Intemporel**

> p. 120
Poème : **Celui qui me fuit**
> p. 124
Tableau : **Métamorphose**

> p. 127
Poème : **Topaze dans un vase**
> p. 132
Verre : **Écrin**

# EN PRÉAMBULE


- Ces liens si forts…
  Par Ali Abdallah Khalifa . . . . . P. 06
- Plonger en soi à la recherche de la perle rare
  Par Dr. Nour El Houda Badis
  Traduit par Bachir Guerbouj . . . . . P. 10
- Ali Abdallah Khalifa poète
  Par David Dumortier . . . . . P. 27
- Chantal Legendre, dans l'affinité et la transparence
  Par Touria Ikbal . . . . . P. 38
- Chantal Legendre, un imaginaire à part
  Par Ileana Cornea . . . . . P. 42
- Des liens artistiques…
  Par Chantal Legendre . . . . . P. 44
- Biographies . . . . . P. 45


Traduction française des poèmes : Touria Ikbal

# Affinités

Poèmes : © Ali Abdallah Khalifa - Bahreïn
Œuvres : © Chantal Legendre (Chanath) - France
Traduction française des poèmes : Touria Ikbal - Maroc

Reproduction des œuvres (verres et peintures) : Jean-Louis Buatois

Calligraphies arabes couverture et titres des poèmes : © Mustapha Amnaine - Maroc
: © Mahmood Al mulla - Bahreïn

Conception graphique : atelier graphique Stéfani Debout
tél. : [00-33] 04 76 80 51 84 / Les 2 Alpes - France
PAO version arabe : Mahmoud Al Hussaini - Egypt

Tous droits de reproduction réservés pour tous pays

ISBN : 978-99901-501-1-7

Dépôt légal : 7548/2009

2 eme édition Bahrein, Avril 2010
Arabian Printing & Publishing House W.L.L - Bahreïn

# Affinités

POÈMES
Ali Abdallah KHALIFA

ŒUVRES
Chantal LEGENDRE

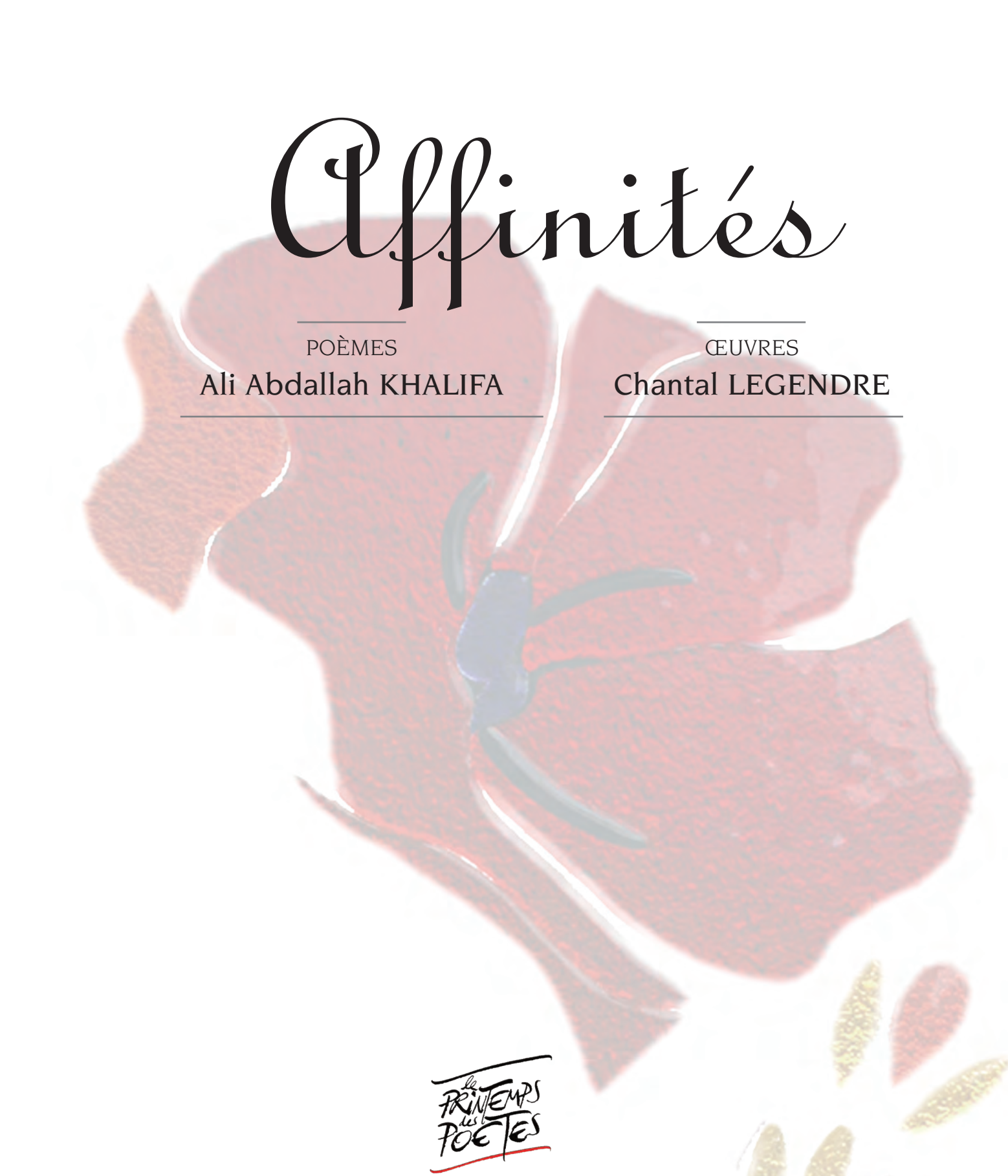

Le Printemps des Poètes

6, RUE DU TAGE - 75013 PARIS
TEL : 01 53 800 800 - FAX : 01 53 800 886
www.Printempsdespoetes.Com

2eme édition